htm



البابا شنوده الثالث

الإنسان الروحي



The Spiritual Man

By H.H. Pope Shenouda III

1St. Print

May 1992

Cairo

الطبعة الأولى

مايو ١٩٩٢م

القاهرة

الكتاب : الإنسان الروحى .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
الطبعة : الأولى - مايو ١٩٩٢م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة .



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مقدمة الكتاب

محاضرات كثيرة متفرقة ومتنوعة، ألقيناها فى الكاتدرائية الكبرى، وفى القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس، وفى الاسكندرية... ولكنها بقيت كذلك متفرقة ومتنوعة، لا يجمعها موضوع واحد.

ثم أنتقينا من تلك المحاضرات العديدة حوالى العشرين ليتألف منها هذا الكتاب، تحت عنوان [الإنسان الروحى].

وربما موضوع (الإنسان الروحى) قد يشمل الحياة كلها. فيشمل كل ما نلقيه من محاضرات روحية. ولكننا أردنا فى هذا الكتاب أن نحدثك عن اساسيات تضم فى داخلها تفاصيل كثيرة...

وكل بند من هذه التفاصيل، قد يحتاج إلى كتاب خاص.

وهناك موضوعات أخرى تتعلق بالإنسان الروحى أصدرنا لك بها كتباً من قبل، مثل حياة الإيمان، وحياة الشكر، والرجاء، والوجود مع الله، وحياة التوبة والنقاوة، واليقظة الروحية، والسهر الروحى، والغيرة المقدسة... إلخ.

وموضوعات أخرى فى صفات الإنسان الروحى، سأحاول أن أصدر عنها كتباً فى هذا العام إن شاء الله مثل المحبة، وثمار الروح، ومخافة الله، والتواضع، والوداعة... وكذلك [الوسائط الروحية] التى ينبغى أن يسلك فيها كل إنسان روحى...

وموضوعات أخرى قد تصدر فى الجزء الثانى لهذا الكتاب.

لكننى أردت فى هذا الكتاب أن أتحدث عن الأساسيات، أو بوجه أصح: عن بعض الأساسيات، تاركاً ما سبق أن نشرنا عنه من قبل...

والكتاب الذى بين يديك هو ثمرة محاضرات، ألقينا بعضها فى الستينات، والبعض فى السبعينات والثمانينات... وقد شاء الله لها أن تجتمع معاً من عبر السنين. ونشرناها قبلاً، فى مقالات اسبوعية متتابعة فى جريدة (وطنى). ثم جمعناها فى هذا الكتاب.

وهى تُنشر هنا بأسلوب مختصر. وربما بعض هذه الموضوعات نعيد نشرها فى كتاب خاص، أو فى كتيب صغير.

أتركك الآن أيها القارىء العزيز بين صفحات هذا الكتاب .

وأود فى قراءتك لكل موضوع، أن تحفظ بعضاً من الآيات الكتابية المذكورة فيه، لكى تشكل مبادىء روحية ترسخ فى نفسك.

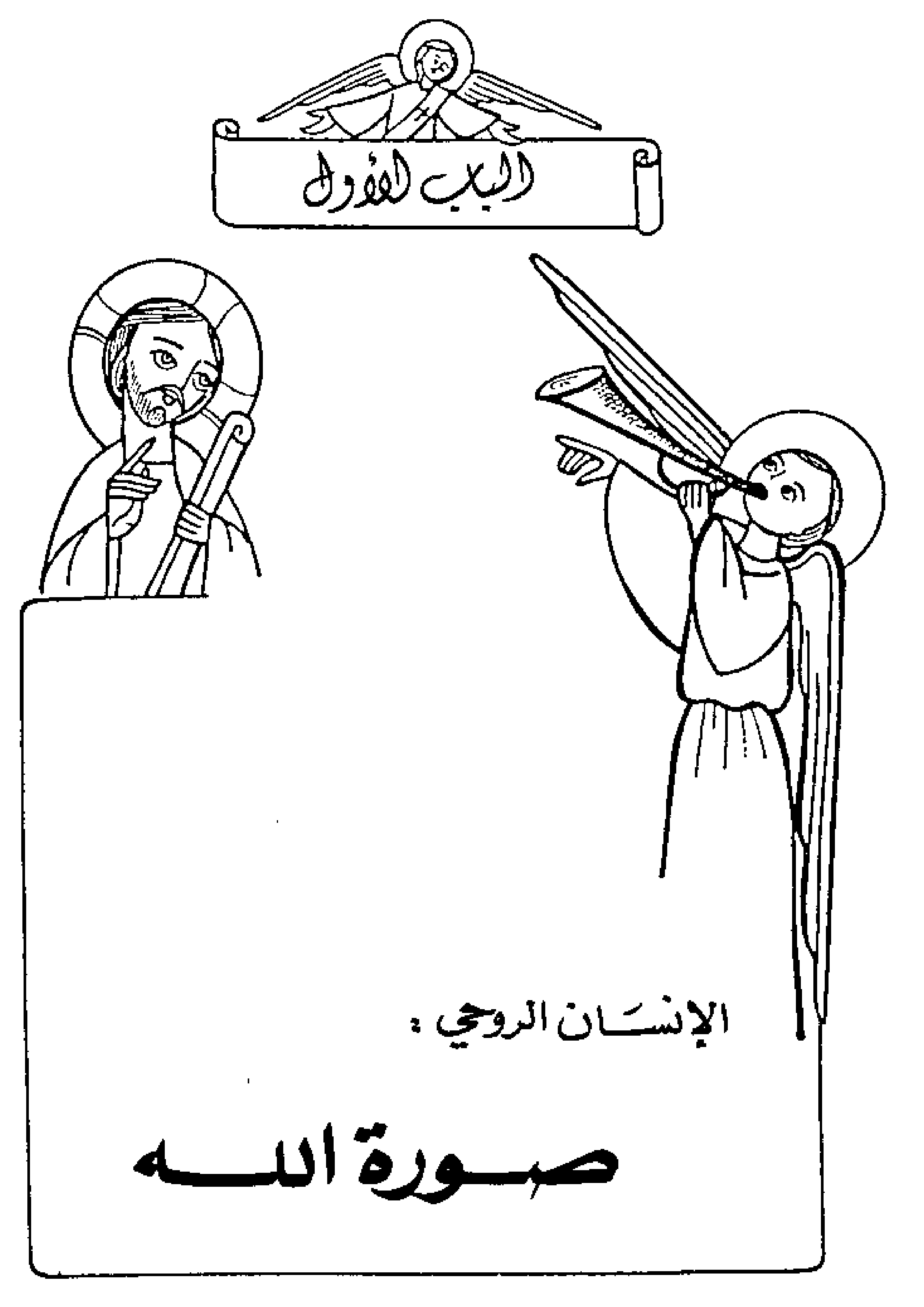
وهذه الآيات تذكرك بالمعلومات الخاصة بها، وتمثل مبادىء روحية تسير بمقضاها فى حياتك... وستجد آيات كثيرة جداً فى كل موضوع. اختر منها ما يتحرك به قلبك، وما يسهل عليك حفظه. وخذه مجالاً للتأمل...

وإلى اللقاء فى الجزء الثانى، إن أحبت نعمة الرب .

وأرجو أن تصلى لكى يعطينى الرب وقتاً .

كن بخير، معافى فى الرب ...

البابا شنوده الثالث



الإنسان الروحي :

صورة الله

لعل هذا السؤال يوجه إلى كل إنسان : من أنت ؟ وما هو الإنسان ؟

ويجيب البعض : الإنسان جسد وروح ونفس .

ويجيب آخر : إن الإنسان كائن حى عاقل ناطق حر مريد . و يقول البعض بشعور من الإتضاع إن الإنسان تراب ورماد، كما قال عن نفسه أبو الآباء ابراهيم (تك ١٨ : ٢٧) .

كل هذا يقال عن أى إنسان . فما هى أدق اجابة نقول فى تعريف الإنسان الروحى حسب الكتاب :

هو صورة الله

فهكذا قال الرب الإله فى قصة خلق الإنسان : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه » (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) .

★ ★ ★

ولعل الإنسان فى صورته الإلهية ، هو ما كان يبحث عنه ديوجين الفيلسوف ، أو هو ما يقصده المفكرون بعبارة « سوبرمان » Super Man .

وطبعاً ليس المقصود بالصورة الإلهية ، أن الإنسان يشابه الله فى صفاته الإلهية ، مثل الأزلية ، وعدم المحدودية ، والقدرة على الخلق !! حاشا أن يكون هذا ! إنما المقصود هو الصفات النسبية مثل :

خلق الإنسان على صورة الله فى الطهارة والبر :

الإنسان الروحى قبل السقوط كان بريئاً بسيطاً، لا يعرف الخطية على الاطلاق أعنى أبوينا آدم وحواء قبل السقوط، حينما كانا عريانين ولا يخجلان (تك ٢ : ٢٥). لم يكونا قد أكلا بعد من شجرة معرفة الخير والشر. لذلك ما كانا يعرفان الشر. كانا كالاطفال الأبرياء الذين أحبهم المسيح، وقال «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ١٨ : ٣).

الحية خدعت أمنا حواء وكذبت عليها. وأمنا حواء لم تشك فى كلام الحية، لأنها لم تكن تعرف شيئاً اسمه الكذب أو الخداع أو الشك. هذه آلفاظ لم تكن موجودة فى قاموسها الفكرى فى ذلك الوقت.

* * *

الإنسان خلق على صورة الله فى القداسة :

حقاً ما أجمل تلك الأوقات التى كان فيها آدم وحواء قديسين قبل السقوط. ولكن الذى حدث هو أنه بالخطية فقد الإنسان قداسته، وبالتالى فقد صورته الإلهية.

وأصبح الإنسان أسير ثنائية عجيبة تلازمه، هى الخير والشر، الحلال والحرام، وما يتبع ذلك من الحياة والموت. وهكذا قال له الله «هوذا قد جعلت اليوم أمامك: الحياة والخير، والموت والشر... البركة واللعنة. فاختر الحياة لكى تحيا» (تث ٣٠ : ١٥، ١٩).

وإذ فقد الإنسان صورته الإلهية بفقدان القداسة، فقد النقاوة والبساطة، بل فقد معرفة هذه الصورة الإلهية أيضاً...

وجاء السيد المسيح «صورة الله غير المنظور (كو ١ : ١٥)، فأعاد إلينا بتجسده صورة الله حتى نحاكيها...

* * *

فكيف يصل الإنسان الروحى إلى هذه الصورة ؟

يقول القديس يوحنا الحبيب ينبغى «أنه كما سلك ذاك، هكذا يسلك هو أيضاً» (١يو ٢ : ٦). وبهذا اختار الله قديسيه «ليكونوا مشابهين صورة ابنه» (رو ٨ :

٢٩). وإذا سلك البشر هكذا على الأرض، فإن سيدنا المسيح - فى القيامة العامة - سيغير جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (فى ٣ : ٢١) .

★ ★ ★

ومن جهة الرجوع إلى صورة الله فى القداسة ، يقول السيد الرب « تكونون قديسين لأنى أنا قدوس » (لا ١١ : ٤٥) . وكرر الرب هذه العبارة فى (لا ٢٠ : ٢٦) . واقتبسها القديس بطرس الرسول حينما قال :

« نظير القدوس الذى دعاكم ، كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة ... » (١بط ١ : ١٥) .

وأضاف « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١بط ١ : ١٦) أى ارجعوا إلى صورتكم الإلهية ...

وبهذه القداسة نستحق التناول من الأسرار الإلهية ... وهكذا يقال « القدسات للقديسين » ونسمى القداس الذى يتناول فيه الشعب « قداس القديسين » ... بالقداسة يستعد المؤمنون للتناول . وبالتناول أيضاً يتقدسون . وما أجمل العبارة التى قالها صموئيل النبى لبيت يسى يوم اختياره داود ملكاً . قال « تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة » (١صم ١٦ : ٤) . وهنا نسأل :

★ ★ ★

كيف يُدعى الإنسان الروحى قديساً ؟

★ إنه قديس ، لأنه خلق على صورة الله ومثاله .

★ وهو قديس ، لأنه هيكل للروح القدس ، وروح الله ساكن فيه (١كو ٣ : ١٦) . ولا يمكن أن يسكن روح الله فى هيكل نجس ، إذ يقول المرتل فى المزمور « ببيتك تليق القداسة يارب » (مز ٩٣ : ٥) .

★ والمفروض فى الإنسان الروحى أن يكون قديساً كابن لله . والكتاب يقول « المولود من الله لا يخطىء ... والشرير لا يمسه » (١يو ٥ : ١٨) . « ولا يستطيع أن يخطىء ، لأنه مولود من الله » (١يو ٣ : ٩) .

★ ★ ★

★ **والإنسان الروحى قديس بفعل الأسرار الإلهية .**

العاملة فيه . قديس بسر المعمودية الذى صلب فيه الإنسان العتيق (رو٦ : ٦) . وغسل من خطاياه (أع٢٢ : ١٦) . بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس (تى٣ : ٥) . وهو قديس بسر التوبة الذى تغفر فيه خطاياه ، و بسر الافخارستيا الذى به يثبت فى المسيح ، و يثبت المسيح فيه (يو٦ : ٥٦) .

* * *

★ **وهو قديس ، لأنه عضو فى جسد المسيح .**

(١كو٦ : ١٥) وجسد المسيح مقدس هو . فما دام عضواً فيه ، لابد أن يكون قديساً . لأنه أية شركة للنور مع الظلمة ؟! وأيـــة خلطة للبر مع الإثم ؟! (٢كو٦: ١٤) .

وهكذا كان المؤمنون يدعون قديسين فى الكنيسة فى أيام الرسل . وقد تكررت عبارة «المدعوين قديسين» فى رسائل القديس بولس ، كما فى (رو١ : ٧) (١كو١ : ٢) (أف١ : ٤) (كو١ : ٢٢) . و يقول فى رسالته إلى فيلبى : «سلموا على كل قديس فى المسيح يسوع» (فى٤ : ٢١) .

★ ★ ★

خلق الإنسان أيضاً على صورة الله فى الكمال ...

والمقصود طبعاً الكمال النسبى ، نسبة لما يستطيع الإنسان الروحى فى جهاده أن يصل إليه ، حسب امكانياته ومقدار عمل النعمة فيه . أما الكمال المطلق فهو لله وحده .

وهكذا قيل عن أيوب الصديق أنه « رجل كامل ومستقيم » (أى ١ : ٨) . وقيل « كان نوح رجلاً باراً كاملاً » (تك٦ : ٩) . وقال الله لأ بينا ابراهيم « سر أمامى وكن كاملاً » (تك١٧ : ١) . وقال الرب فى العظة على الجبل :

« كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) .

والسيد المسيح كان كاملاً فى كل مرحلة من مراحل السن ، اثناء تجسده على

الأرض . وهكذا أظهر لنا كيف نكون فى الصور الإلهية فى كل فترة من فترات السن : فى الطفولة والصبوة والشباب والرجولة .

علينا إذن أن نسعى باستمرار نحو الكمال ، لكى نكون صورة الله ونحقق وصيته لنا ...

* * *

ونقول كذلك أنه لما خلق الله الإنسان على صورته ، لم يخلقه على صورته فقط فى القداسة والبر والكمال ، وإنما :

خلق الله الإنسان على صورته فى السلطة :

وهكذا قال الرب « اثمروا وأكثروا ، واملأوا الأرض واخضعوها . وتسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض » (تك ١ : ٢٨) . ونفس هذه البركة منحها الله لأبينا نوح وأولاده بعد رسو الفلك ، وقال فى ذلك « ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء ... وكل اسماك البحر » (تك ٩ : ٢) . وهكذا كان نوح فى الفلك ، مع كل الكائنات الحية .

حينما كان الإنسان صورة الله ، كان ملك وسيد الخليقة وكاهنها .

ولما فقد الصورة الإلهية ، بدأت الخليقة تتمرد عليه ... الحية تسحق عقبه (تك ٣ : ١٥) . وإن عمل فى الأرض ، لا تعود تعطيه قوتها » (تك ٤ : ١٢) . و بدأ الإنسان يصيد الحيوان ، والحيوان يفترس الإنسان الذى فقد احترامه ، إذ فقد صورته الإلهية ...

* * *

أيضاً خلق الله الإنسان على صورته فى القوة :

فالإنسان الروحى هو إنسان قوى ، ولا أقصد القوة الشمشونية الجسدية ، إنما أقصد قوة الشخصية : قوة الروح ، والفكر والإرادة ، قوة الاحتمال ، القوة فى حروب الشياطين وفى الجهاد الروحى . قوة المعنويات : فالإنسان الروحى لا يهتز ولا يخاف ولا يتردد ، ولا تسيطر عليه أفكار اليأس ولا الفشل .

والذى على صورة الله ، لا يمكن أن يخاف .

وفى هذا قال داود النبى « إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ

قتال ، ففى ذلك أن مطمئن (مز٢٧ : ٣) . إن الخائف ليس هو صورة الله . لذلك فالخائفون لا يدخلون الملكوت (رؤ٢١ : ٨) . آدم بعدما أخطأ خاف (تك٣ : ١٠) . وقايين بعدما أخطأ أدركه الرعب (تك٤ : ١٤) . لأن كليهما فقدا الصورة الإلهية .

إن القديسين والأنبياء قد أعطوا صورة عميقة لعدم الخوف .

القديس الأنبا أنطونيوس سكن أولاً فى مقبرة ، ولم يخف من حروب الشياطين . ولم يخف حينما كانوا يظهرون له على هيئة وحوش تصيح بأصوات مرعبة وتهجم عليه . والشهداء لم يخافوا من كل تهديدات الحكام وتعذيباتهم . ودانيال النبى لم يخف من جب الأسود ، ولا الثلاثة فتية من أتون النار .

* * *

والذى على صورة الله يكون دائماً ناجحاً

ولذلك فالإنسان الفاشل ، أو الساقط أو الراسب ، ليس هو على صورة الله ، فالذى على صورة الله ، يكون «كالشجرة المغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى حينه . وكل ما يفعله ينجح فيه» . وهكذا قيل عن يوسف الصديق «وكان الرب مع يوسف . فكان رجلاً ناجحاً» (تك٣٩ : ٢) .

* * *

والذى على صورة الله يكون متواضعاً :

حقاً إن الله هو المتواضع الوحيد بالمفهوم الدقيق الذى للكلمة ، لأنه وهو العالى فى سمو علاه ، يتنازل إلى مستوانا ، ويتعامل معنا ، ويتخاطب معنا ويسمع صلواتنا . لكن الإنسان أيضاً يمكن أن يكون متواضعاً حسب مستواه . على الأقل يعرف ذاته أنه تراب ورماد ، ولا يقبل لنفسه أفكار وتصرفات الكبرياء والتعاظم والمجد الباطل ، والإنسان المتواضع تخافه الشياطين ، لأنها ترى فيه صورة الله المتواضع الذى هزمها وحطمها ، حينما أخلى ذاته (فى ٢ : ٦) . أما الإنسان المتكبر فهو فاقد الصورة الإلهية .

الإنسان الروحى على صورة الله فى صفات كثيرة :

فمن صفات الله المحبة . والذى يكون على صورة الله ، ينبغى أن يكون محباً مثله .

و«من يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه» (١يو٤ : ١٦). إنه وديع ومتواضع. وهو يطلب منا أن نتعلم ذلك منه (متى ١١ : ٢٩). وبالمثل فى باقى الفضائل... الله هو نور العالم (يو٨: ١٢). بل هو النور الحقيقى. (يو١ : ٩). وقد دعانا أيضاً أن نكون نوراً للعالم» (متى ٥ : ١٤)، على اعتبار أننا صورته ومثاله.

وقال الرب «أنا هو الراعى الصالح» (يو١٠: ١١). وفى نفس الوقت دعا البعض أن يكونوا رعاة (أف ٤ : ١١). ومع أنه هو المعلم، وكان يدعى هكذا، إلا أنه أيضاً دعا البعض أن يكونوا معلمين (أف ٤ : ١١) (مت ٢٨ : ١٩، ٢٠).

★ ★ ★

وقال البعض أن الله خلق الإنسان على صورته فى تجسده: كان يعرف طبعاً الصورة التى سيتخذها حينما سينزل لخلاصنا، فخلقنا بهذه الصورة التى تجسد بها. وخلقنا على شبهه ومثاله...

★ ★ ★

الله يريدنا أن نكون مثله، صورته، حتى فى العمل. نسير فى طريقه، تكون لنا نفس مشيئته وارادته، «كما فى السماء كذلك على الأرض» (لو١١ : ٢). نتكلم كما لو كان الله هو المتكلم على أفواهنا. ننطق بكلامه هو «لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم هو الذى يتكلم فيكم» (مت ١٠ : ٢٠). وفى تصرفاتنا «كما سلك ذاك، نسلك نحن أيضاً» (١يو٢ : ٦). ونعمل عمله. وفى كل ما نعمله، نسأل أنفسنا أولاً: لو كان السيد المسيح فى مكاننا، لكان يعمل هذا... وفى كل حياتنا، كل من يرانا يقول: حقاً هؤلاء هم أولاد الله، هم يشبهون أباهم، كابناء حقيقيين له...

★ ★ ★

إن رسالة أولاد الله هى أن يحملوا صورة الله فى أشخاصهم إلى العالم. كل من يراهم يعرف الله ويحبه، لأنه أحب صورته.

كل من يراهم فى محبتهم وهدوئهم وشخصياتهم المتكاملة وأمثلتهم الحية، يمجد أباهم الذى فى السموات. السيد المسيح صعد إلى السماء... ولكنه ترك صورته فى تلاميذه، يحملها جيل إلى جيل، مع تعاليمه.

★ ★ ★

ولعل البعض يسأل : كيف يكون الإنسان على صورة الله ، بينما الله وحده غير محدود ؟! فهل الإنسان على صورته فى هذا أيضاً ؟!

والاجابة هى أن الإنسان محدود بلا شك . ولا يمكن أن يكون مثل الله غير محدود . ومع ذلك فإن الله الذى خلقه على صورته ، وضع فى داخله الاشتياق إلى كل ما هو غير محدود . ومن هنا كان الطموح عند الإنسان ، والنمو أيضاً وعدم الاكتفاء . فهو باستمرار ينسى ما هو وراء ، ويمتد إلى ما هو قدام ، يسعى نحو الغرض ، يسعى لعله يدرك (فى ٣ : ١٢ - ١٤) . .

وطبعاً الإنسان الذى على صورة الله ، يكون له الطموح الروحى والنمو الروحى ، وليس الطموح فى الماديات والعالميات .

* * *

والسؤال الثانى : كيف يكون الإنسان على صورة الله ، والله خالق ؟!

طبعاً الله هو الوحيد الخالق . ولكن أيضاً وهب الإنسان موهبة الابداع والفكر الخلاق ، الذى يقدم باستمرار شيئاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل . . ولكن الفرق هو أن الله يخلق من العدم . أما الإنسان فيستخدم ما خلقه الله ليكون منه شيئاً جديداً .

* * *

أستطيع أيضاً أن أقول أننا صورة الله فى التثليث والتوحيد

الإنسان ذات لها عقل وروح ، والذات والعقل والروح كيان واحد . وهو فى ذلك صورة الله ، الذى هو ذات وعقل وروح ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ، كائن واحد .

* * *

أخيراً أقول أننا مادمنا صورة الله ، ينبغى أن نحتفظ بهذه الصورة ، ونجاهد ألا نكون صورة للعالم .

إننى أعجب من الذين يريدون أن يقلدوا أهل العالم فى كل شىء ، حتى يقال عنهم إنهم عصريون ، وليسوا متخلفين . و ينبغى أن نكون حكماء فى هذا الأمر ، لأن القديس بولس الرسول يقول :

« لا تشاكلوا أهل هذا الدهر ... » (رو ١٢ : ٢) .

أى لا تصيروا شكله ، لأن شكلكم أسمى من العالم بكثير ، أنتم صورة الله . وفى هذا

يقول القديس يوحنا الرسول « بهذا أولاد الله ظاهرون » (١يو٣ : ١٠) . إذن لا يليق بالإنسان الروحى أن يقلد أهل العالم ، بل يكون قدوة لهم ، نوراً للعالم يرون فيه صورة الله ، ويحبون صورته ...

★ ★ ★

الإنسان الروحى يقارن نفسه بالصورة الإلهية ، و يسأل ذاته باستمرار: أين أنا الآن ؟ وإلى أين وصلت .

وفى الأ بدية السعيدة توجد صورة واحدة ، وهى الله ومن هم على صورته . أما الذين ليسوا على صورته ، فيطرحون فى الظلمة الخارجية .

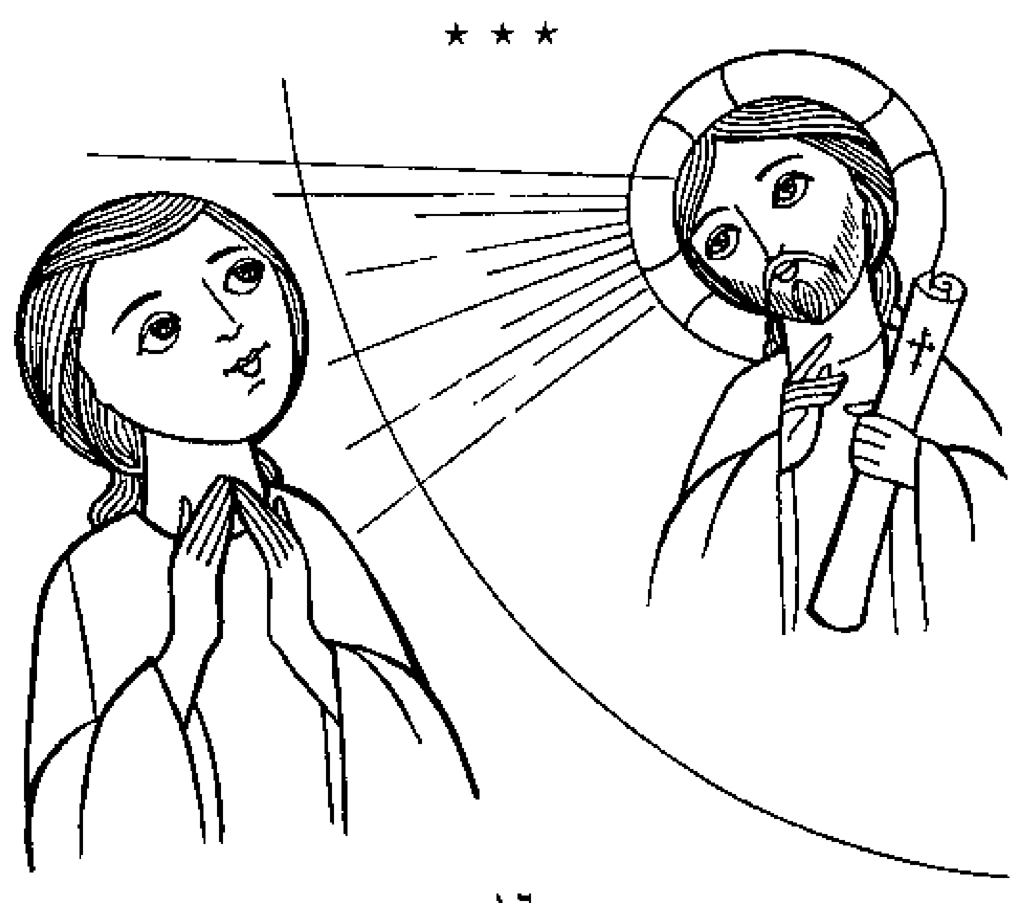
★ ★ ★

إنكم يا أخوتى ، لم تخلقوا لتكونوا مجرد تراب ورماد . فقد خلقكم الله ليعطيكم مجده . ليكون جمالكم كاملاً ببهائه الذى جعله عليكم » (حز١٦ : ١٤) .

والقديس بولس الرسول ، إذ أراد أن يوضح هذه الصورة ، قال فى عبارة تحتاج هى الأخرى إلى توضيح « لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) . فما معنى عبارة « لبستم المسيح » ؟

أترانى أقف أمامها مفسراً ، أم أقف فى دهش وذهول ؟ أمام صورة الله ...

★ ★ ★









الانسان الروحي :

يجعل الله الأول في كل اهتماماته

الشواهد : (أش ٤٤ : ٦ ؛ رؤ ١ : ٨ ، ١٧ ؛ رؤ ٢١ : ٦ ؛ رؤ ٢٢ : ١٣) .

إن الله هو الأول دائماً . وهو أيضاً قال عن نفسه « أنا هو الأول والآخر » (أش ٢٢ : ١٣) .

وكما كان الله الأول ، اهتم بأوائل الأشياء ، وطلبها وبذلك وضع لنا وصية البكور، فى تقديمها ومباركتها ...

فقال « قدس لى كل بكر ، كل فاتح رحم ، إنه لى » (خر١٣ : ٢) . وطلب البكور أيضاً فى البهائم والأغنام (خر١٣ : ١٢ ، ١٥) . وأيضاً أبكار الغلات ، والثمار (خر٣٣ : ١٦) . وكان يقدم لله أول حزمة من الحصيد (لا ٢٣ : ١٠) . وكانت قطاف باكورة الثمار، أول سنة تعطى للرب . بل حتى باكورات الجز أيضاً (حز ٢٠ : ٤٠) حينما يجزون صوف الغنم وكذلك أوائل كل الباكورات .

ولم يطلب الله الأبكار فقط ، وإنما باركهم أيضاً ...

كل شىء له هو مبارك ، بل هو مقدس . لذلك قال « قدس لى كل بكر » . وكان الله يبارك البكر، له البركة ، وله البكورية ، وله نصيب اثنين من اخوته . وله رئاسة العائلة بعد أبيه ، وله الكهنوت أيضاً « قبل نظام الكهنوت الهارونى » .

كان شعور كل إنسان يقدم البكور ، أن الله فى الأول ...

خيرات أرضه ، ونتاج غنمه وبهائمه ، بل أول ثمر البطن ، كله لله ، وليس له . وكان يفرح بأن يكون الله أول من يأخذ .

* * *

وهكذا إذا نظرنا إلى أول وصية ، نجدها للرب ...

بل ليست الوصية الأولى فقط ، بل الوصايا الأربع الأول ، كل وصايا اللوح الأول ، كانت خاصة بالرب . أما وصايا اللوح الثانى فهى خاصة بالعلاقات البشرية ،

لأن الله أولاً .

كذلك المحبة موجهة لله أولاً ثم للناس فيما بعد ...

الوصية الأولى والأهم هي هذه « تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى » (مر ١٢ : ٢٨- ٣٠) .

والثانية هي « تحب قريبك كنفسك » فالله أولاً ...

ولأن المحبة هي لله أولاً ، لذلك قال الرب « من أحب أباً أو أماً أكثر مني ، فلا يستحقني . ومن أحب إبناً أو إبنة أكثر مني ، فلا يستحقني » (متى ١٠ : ٣٧) .

حتى النفس لا تكون أولاً ، بل الله ...

وهكذا قال أنه من أجل الله ينبغي أن تنكر ذاتك وتتبعه . بل قال أكثر من هذا « من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلي يجدها » (متى ١٠ : ٣٩) .

* * *

الإنسان الروحي يجعل الله باستمرار هو الأول في حياته وفي إهتماماته :

ولا يسمح لأية اهتمامات أن تعوقه عن محبة الله ، أو أن تحظى بالأولوية في حياته .

قال السيد المسيح لمرثا «أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد » (١ كو١٠ : ٤١) .

أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح ، واهتمت به .

* * *

وأنت يا أخي بماذا تهتم ؟ ما هي الأولويات في حياتك ؟ حسب أولوياتك ، يكون حماسك ويكون عملك ، وتكون ارادتك .

إن الناس يختلفون في اهتمامهم ، كما اختلفت مريم ومرثا . كان اهتمام مريم بمحبته ، والجلوس عند قدميه والاستماع إليه .

وصارت احداهما مثالاً للخدمة ، والأخرى مثالاً للتأمل .

وقليلون - مثل القديس بولس الرسول - من جمعوا بين الأمرين، الرعاة اهتموا بالخدمة، والرهبان بحياة التأمل.

وحسب اهتمام كل واحد، هكذا كانت حياته ...

* * *

فهل الله هو الأول في حياتك ؟

ولكي نفهم هذا السؤال نضع أمامنا قصة أبينا ابراهيم، الذي منحه الله إبناً في شيخوخته. فلما فرح به قال له «خذ ابنك، وحيدك، الذي تحبه، اسحق، وقدمه لي محرقة ...».

فماذا فعل أبونا ابراهيم ؟ لم يفكر اطلاقاً، بل جعل الله أولاً، ومشاعره هو كأب لاسحق اخيراً، وكذلك مشاعر سارة أم الصبي. الله هو الأول، نحبه ونطيعه. ثم اسحق يأتي في محبته بعد ذلك، لا يتقدم الله اطلاقاً. الله يريديه محرقة، فليكن أمر الله نافذاً... وننفذه بسرعة ورضى.

قصة أخرى هي قصة حنة أم صموئيل، التي رزقت به بعد عقمها سنوات، وبعد صلوات وبكاء. ولكنها جعلت الله أولاً. وقدمت هذا الطفل صموئيل لخدمة الرب في الهيكل.

إنه درس لكل أم. تبخل على الله بتقديم ابنها لخدمته.

سواء طلبة الله للرهبنة أو طلبه للكهنوت ... الله أولاً، ومشاعر الأمومة ثانياً أو ثالثاً بل الواجب أن تقدم هذا الابن بفرح.

وهذا أيضاً درس لكل زوجة، يطلب زوجها للكهنوت.

لا يصح أن تقول : ستشغله الخدمة عني وعن البيت !! بل يجب أن تقدمه للرب، وتقول : الله أولاً.

* * *

الإنسان الروحي يجعل الله أولاً في الطاعة ..

ويقول مع الرسول «ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس» (أع ٥ : ٢٩).

وصايا الله أولاً ، وبعد ذلك كل ما يطلبه الناس ، وبعدئذ كل رغباتنا وطلباتنا الخاصة وكل طاعة للناس يجعلها الإنسان الروحى فى نطاق طاعته لله . أما إن تعارضت معها ، فينبغى أن يطاع الله أولاً .

وإذ يجعل الله أولاً ، يضع ذاته أخيراً ، ولا ينظر إلى ذاته مطلقاً ...

انظروا إلى قصة يوحنا المعمدان ، الذى لما ظهر المسيح ، تخلى يوحنا عن كل خدمته ، وعن مجده ، وعن كرازته ، وعن تلاميذه أيضاً ، وسلم العروس للعريس ، ووقف من بعيد يفرح كصديق للعريس ، قائلاً : ينبغى أن هذا يزيد وأنا أنقص » (يو٣ : ٣٠) .

* * *

إن السيد المسيح كان كل اهتمامه بالآخرين وبملكوت الله ،

كان « يجول يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) « يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وضعف فى الشعب (مت ٤ : ٢٣) . يتحنن على الكل ، ويشبع كل حى من رضاه ... يبشر المساكين ، يعصب منكسرى القلوب ، ينادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالاطلاق » (اش ٦١ : ١) .

وفى نفس الوقت لم يهتم بذاته ، ولم يكن له أين يسند رأسه (لو٩ : ٥٨) .

لم يهتم المسيح بكرامته لما أغلقت احدى قرى السامرة أبوابها فى وجهه ، ووبخ تلميذيه اللذين طلبا أن تنزل نار من السماء لتهلكها . وقال لهما « لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص » (لو٩ : ٥١ ـ ٥٦) .

وحتى على الصليب كان كل اهتمامه بخلاص البشر وبالمغفرة حتى لصالبيه ، وبالفردوس حتى للص كما اهتم بأمه القديسة العذراء وبتلميذه القديس يوحنا .

وأنت ما هو اهتمامك الأول ؟ أهو ذاتك ؟!

* * *

الإنسان الروحى يخرج من دائرة الذات ، لكى يهتم بالآخرين ، ويهتم بهم بأسلوب روحى ...

اهتماماً من عمق القلب ، تصل فيه خدمته إلى مستويات عالية من العطاء والبذل ، إلى حد بذل النفس أيضاً ، وبذل راحته من أجل راحة غيره .

* * *

أحياناً يكون كل اهتمام الإنسان أن يصل إلى غرض ما :

وربما لا يكون غرضاً روحياً ، وإنما هو لإثبات الذات ووجودها ، أو « لارتفاعها » بطريقة ما ...

وفي سبيل هذا الوصول ، لا يهتم بالوسيلة ماذا تكون : روحية أو غير روحية ... لا يهمه أن تكون حيلاً بشرية أو عالمية ، أو طرقاً خاطئة ... تركيز الاهتمام كله فى الوصول إلى الغرض ، حتى لو ضيع هذا الإنسان نفسه ... مثلما فعل آخاب الملك فى الحصول على حقل نابوت اليزرعيلى ، وما فعلته الملكة ايزابل فى سبيل أن يصل زوجها إلى غرضه ، ولو بالجريمة ، والاتهام الباطل لنابوت ، وشهود الزور... حتى نال كلاهما عقوبة من الله تناسب ذنوبهما (١مل ٢١) .

وبالمثل ما فعلته رفقة لكى ينال ابنها بركة أبيه . ومع أن الغرض هنا كان روحياً ، إلا أن التركيز عليه افقدهما الوسيلة الصالحة . فاستخدما اسلوب الخداع » (تك ٢٧) .

* * *

وبالمثل قد يهتم خادم آخر أن يملأ عقول سامعيه بالمعلومات ، دون أن يضع إهتمامه فى حياتهم الروحية كيف ينمون ... كل اهتمامه فى المعلومات لا فى الروحيات !

أو أب كل اهتمامه أن يلقن أولاده كلاماً من الكتاب يحفظونه . ولا يهتم بالتداريب الروحية التى تعمق صلتهم بالله . والكتاب يقول « افعلوا هذه ، ولا تتركوا تلك » (مت ٢٣ : ٢٣) .

إنسان آخر فى الخدمة ، يهتم كيف تمتلىء الكنيسة بالناس هذا هو كل هدفه ، ولا يهتم بأن يصل هؤلاء الناس إلى الله . وربما يلجأ إلى وسائل عالمية !!

مثلما تلجأ بعض الطوائف إلى منح المعونات المالية والاجتماعية لجذب بعض

المحتاجين إليهم، ويخرجونهم بذلك من كنائسهم !! الاهتمام كله ليس فى الملكوت، إنما فى أن يزيد عددهم ولو على حساب كنائس أخرى.

* * *

ولعلنا بعد كل هذا، نسأل بأى شىء يجب أن نهتم ؟

إن ربنا يسوع المسيح يقول فى العظة على الجبل :

« اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره » (مت ٦ : ٣٣).

هناك مشكلة نجدها فى انفاقات ومشروعات بعض الكنائس ...

غالبية المال قد تنفقه على البناء والتعمير، أو على تجميل الكنيسة وتزيينها بالديكور وبالأيقونات وبالنجف الغالى. ولا يعطى مجلس الكنيسة ولا كهنتها نفس الاهتمام لخدمة الفقراء والحالات المحتاجة من أجل الأحياء المجاورة المحتاجة إلى رعاية روحية، ولا حتى الاهتمام بالخدمة الروحية فى نفس الكنيسة.. للأسف كل الإهتمام مركز فى البناء والديكور...

* * *

نفس الوضع فى عناية الأسرة بالطفل ...

يقول الأب والأم ان إهتمامها الأول هو تربية أطفالهما ورعاية مستقبلهم. وحسناً يقولون. ولكن أى أنوع من التربية يهتمون به ؟ إنهم يهتمون بصحة أولادهم، وأكلهم وشربهم ولبسهم، وأيضاً تعليمهم واعدادهم لوظيفة لائقة. ثم بعد ذلك بتزويجهم.. و يقول الأب بعد ذلك، وتقول الأم كذلك : « أشكرك يارب، إنى أديت رسالتى نحو أبنائى. الآن ضميرى استراح من جهتهم ».

ومع ذلك لا يضعون اهتمامهم الأول بتربيتهم الروحية وبمصيرهم الأبدى. !!

لا يعطونهم الغذاء الروحى اليومى، مثلما يعطونهم غذاءهم الجسدى. وإن سألتهم عن واجبهم فى ذلك، ربما يجيبون « إننا أرسلناهم إلى مدارس الأحد ».. دون متابعة لما اخذوه أو حفظوه من دروس، ودون اضافة شىء خلال الأسبوع. كأن الأب غير مسئول عن معلومات ابنه الدينية، وعن تربيته روحياً !! وكأن الأم غير مسئولة، وهى

التى استلمت ابنها من المعمودية كاشبينة له تتعهده بالعناية الروحية، وبالتعليم الدينى، وبالتدريب على الفضائل...

* * *

وفى الخدمة الاجتماعية، قد نجد نفس الظاهرة.

اهتمامنا الأول أو الوحيد هو فى العناية بالفقراء مادياً، سواء فى المساعدات المادية، أو مشاكل التعطل أو المرض أو الاسكان... وما إلى ذلك. و يندر أن يعطى اهتمام حقيقى بروحيات هؤلاء المحتاجين... وإن عقد لهم اجتماع روحى، قد يكون شكلياً... لا اهتمام فيه بربط هؤلاء الناس بالله، وبالاطمئنان على حياتهم الروحية، وعلى تناولهم واعترافاتهم وتوبتهم...

* * *

نفس الوضع نقوله بالنسبة إلى الصلاة فى مجال الخدمة، وفى حياة كثير من الخدام... إنهم يهتمون بتحضير الدرس، أكثر من اهتمامهم بتحضير أنفسهم روحياً... يهتمون بمواعيد الخدمة، واجتماعاتها، وبالصور والهدايا، والمكتبة والنادى، وبالافتقاد وبالأنشطة... ونادراً ما يهتمون على نفس القياس بصلواتهم! فلا نجد اجتماعات الصلاة، مثل اجتماعات الشبان والشابات.

النشاط يأخذ الاهتمام الأول، وليس الصلاة.

ولو دخلنا فى التفاصيل، لوجدنا أيضاً العمل الروحى لا يأخذ الاهتمام الأول... فالنادى مثلاً: قد نهتم بمكانه، وترتيبه، وما توجد فيه من ألعاب ومن أنشطة رياضية وتسليات. وقد نهتم بتنظيم الكارنيهات والمواعيد، والمسابقات، وفرق التمثيل والكورال... وفى كل ذلك قد لا يوجد الاشراف الروحى الكامل. ونجد النوادى فى ضوضائها وفى اخطائها، ولا تعطى الصورة الروحية المرجوة، وربما لا تختلف عن النوادى العادية لعدم وجود المشرف الروحى...

لماذا؟ الجواب الصريح... لأننا لم نضع الله فى قمة اهتمامنا.

* * *

وأنت مثلاً حينما تستيقظ كل يوم، بماذا يكون اهتمامك؟

هل تهتم بحياتك اليومية، تغسل وجهك، تفطر، تعد ملابسك، تستعد للذهاب

إلى عملك؟ أم اهتمامك الأول كيف نبدأ اليوم مع الرب، بالصلاة والقراءة والتأمل...؟ حسب اهتمامك سيكون تصرفك...

البعض يعتذر احياناً ويقول: لم يكن لدى وقت للصلاة...! وأنا دائماً أرفض هذا العذر، ولا اعتبره السبب الحقيقى، وأقول:

لو وضعت الصلاة والتأمل فى قمة اهتمامك، لأمكنك أن تجد لهما وقتاً... لذلك اجعل الله له الأولوية. فى كل شيء...

* * *

فى الراحة مثلاً: لا تفضل راحتك الجسدية، على عملك الروحى مع الله، سواء فى الصلاة أو الخدمة. لا تستسلم للنوم أو للاسترخاء، وإنما ينبغى أن تضحى براحتك من أجل الرب.

كذلك فى الصوم، لا تقل «صحتى» لا تقل: احتياجى إلى البروتينات، والاحماض الأمينية الرئيسية، وإنما قل: الله أولاً.

هكذا ليكن الله أولاً، فى موضوع العطاء والعشور...

لا تهتم بكل إنفاقاتك الأخرى، وتضع الله فى آخر القائمة، إن بقى له شيء، كان بها. وإن لم يبق شيء، نعتذر للرب، أو نؤجل حقوقه. ذلك لأن الله ليس هو الأول.

* * *

كذلك، ليكن الله فى أول كل عمل، وكل يوم.

- أول شخص تكلمه فى كل يوم، هو الله. وكل عمل تعمله، تضع فيه الله أولاً. تصلى فى دخولك، وفى خروجك، وفى أكلك وشربك، وفى عملك، تكلم الله أولاً...

إن وضعت الله فى الأول، لن تخطىء إليه:

ذلك لأنك تضعه فوق رغباتك العالمية، وفوق كل لذة أرضية. ويكون الله أمامك باستمرار، والعالم خلفك...

الإنسان يخطىء لأنه لم يضع الله أمامه، ولم يسبق فيتذكره قبل كل سقوط. ولم يحسب حساباً لمشاعره.

اجعل الله الأول ، من جهة الوقت ، ومن جهة الأهمية ، ومن جهة الرغبات ، ومن جهة الحب والاشتياق ، ومن جهة الطاعة أيضاً ... ليكن الأول فى كل شيء .

وحينما يقول الرب « يا إبنى أعطنى قلبك » إنما يقصد أن تكون له هذه الأولوية فى حياتك ومشاعرك واهتماماتك . حتى إن تعارض معه شيء ، تقول فى داخلك « ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » وخسارة نفسه ما هى إلا حرمانها من الله ...

* * *

إن الإنسان الروحى ليس فقط يجعل الله أولاً وقبل كل شيء . بل تكون علاقته بالله هى كل شيء فى حياته ...

ويقول مع الرسول « لى الحياة هى المسيح » (فى ١ : ٢١) . ويقول أيضاً « لأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فىّ » (غل ٢ : ٢٠) .

وأخيراً لست أريد أن أثقل عليك بنصائح كثيرة . إنما أقول لك نصيحة واحدة ، إن نفذتها تكون قد نفذت جميع الوصايا ، وهى :

اجعل الله فى بدء اهتماماتك ، ولا تعش مستقلاً عنه أو غريباً عنه ، ابدأ به يومك ، وابدأ به كل عمل .









الإنســـان الروحي :

من صفاته : العُـمق

العمق فى الصلاة

لقد تأثرت جداً من المزمور الذى تضرع فيه داود النبى (مز ١٣٠) والذى نبدأ به صلاة النوم، ونقول فى أوله :

من الأعماق صرخت إليك يارب . يارب استمع صوتى .

من الأعماق صرخت : من عمق القلب والعاطفة . من عمق الاستغاثة، مثلما نقول فى المزمور الكبير «من عمق قلبى طلبتك» (مز ١١٩) . من عمق الإيمان والثقة بأنك ستستجيب . نعم من الأعماق صرخت : من عمق تعبى واحتياجى، من عمق ضعفى وعجزى وعدم قدرتى ... من عمق الهاوية التى أنا فيها ...

★ ★ ★

إنها صلاة عميقة، كصلاة يونان وهو فى بطن الحوت .

نعم، من الأعماق صرخت إليك، لأنه لا يوجد غيرك مخلص ومنقذ ... تماماً كصلاة الشعب مثلاً، قبل نقل الجبل المقطم ... صلاة يتوقف عليها مستقبل الكنيسة كلها ...

أو لعلها كصلاة فى قلب دانيال، وهم يلقونه فى جب الأسود ... أو صلاة فى قلب الثلاثة فتية، وهم يلقونهم فى أتون النار ... من عمق القلب . من عمق الاحتياج ... مثل صوت غريق، وهو ينادى قارب النجاة ... ليسرع فى الوصول قبل أن يغرق ...

كصلاة إيليا، وهو يطلب نزول الماء على محرقته (١مل ١٨) ... أو صلاة الشعب وهو يطوف حول أسوار أريحا (يش ٦) .

★ ★ ★

ليس المهم طول الصلاة، أو انتقاء ألفاظها، إنما عمق المشاعر فيها ...

صلاة الفريسى كانت أطول من صلاة العشار . ولكن العشار «نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك» (لو ١٨ : ١٤) . لماذا ؟ لأنها كانت صلاة من العمق : من عمق الاتضاع

والانسحاق، والشعور بالندم والخزى ... وقف من بعيد، ولم يجرؤ أن يرفع نظره إلى فوق ... وكانت ألفاظه القليلة كافية. لأن الرب نظر إلى أعماقه ...

ومثل صلاة العشار، كانت صلاة اللص اليمين.

صلاة قصيرة، ولكنها عميقة. صلاة إنسان فى ساعاته الأخيرة، وهو على حافة الموت. ومن أعماقه يتطلع إلى أبديته كيف يكون، فيطلب من الرب أن يذكره. يقول ذلك وهو فى عمق الانسحاق، وقد قال لزميله من قبل «أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا» (لو٢٣ : ٤١)... حقاً إنها صلاة مصيرية، لذلك قيلت بعمق... واستجيبت.

جملة واحدة يقولها إنسان بعمق «يارب ارحم» مثلاً. فيتقدم واحد من الأربعة والعشرين قسيساً، فيأخذ هذه الصلاة فى مجمرته الذهبية، ويصعد بها إلى عرش الله كرائحة بخور مع صلوات القديسين (رؤ٥ : ٨). وإنسان آخر يقول هذه الصلاة عشرات المرات، ولا تصل واحدة منها، كأنه لم يكن يصلى !!

★ ★ ★

كيف نميز إذن الصلاة التى بعمق ؟

إنها صلاة فيها شعور صلة بالله. صلاة بعاطفة، بفهم، بتأمل، بتركيز... بحرارة، بشعور، بحب... صلاة باتضاع بانسحاق... بإيمان، بثقة، برجاء. صلاة بروح، وليست مجرد ألفاظ ... ليس المهم فيها مقياس الطول، بل مقياس العمق. لأن الكتبة والفريسيين وأمثالهم، كانوا لعلة يطيلون صلواتهم !! (مت ٢٣ : ١٤).

إن بولس كان يحب أن يقول خمس كلمات بفهم، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلا معنى (١كو١٤)... هكذا ينبغى أن نكون فى صلواتنا، ونحرص أن تخرج من أعماقنا... وإن اجتمع الطول مع العمق، يكون أفضل جداً.

أهمية العمق

ما أجمل قول المرتل فى المزمور :

« كل مجد ابنة الملك من داخل » (مز٤٥).

على الرغم من أنها «مشتملة بأطراف موشاة بالذهب ، ومزينة بأعمال كثيرة» ولكن كل مجدها فى عمقها ... فى داخلها ، فى قلبها .

صدقونى ، إن عمــلاً واحداً يعمله الإنسان بعمق ، ربما توزن به حياته كلها . و يبقى هذا العمل ، و يسجل فى التاريخ ، من أجل عمقه . وسأضرب لذلك مثلاً :

عمــق العطــاء

خذوا العمق الذى أخذ به ابراهيم ابنه ، ليقدمه محرقة :

كان فى تقدمته فى عمق المحبة لله ... كان يحب الله أكثر بكثير من ابنه ، وحيده ، الذى تحبه نفسه ، ابن المواعيد ، الذى ناله بعد صبر سنوات طو يلة ... وفى تقدمته أيضاً كان فى عمق الطاعة لله ، وفى عمق التسليم للإرادة الإلهية . بل أيضاً كان فى عمق الإيمان ، لأنه كان يؤمن أنه على الرغم من تقدمته ، لابد سيأتيه منه نسل مثل رمل البحر...

وفى تقدمة اسحق ، كان ابراهيم فى عمق العطاء .

لا يوجد عطاء أعمق من هذا ، أن يقدم ابنه الوحيد ، ابن المواعيد . وكمثال لعمق العطاء أيضاً الأرملة التى قدمت فلسين . لذلك مدحها الرب ، وقال إنها أعطت أكثر من الجميع ، ليس لمقدار عطائها ، إنما لعمقه ، لأنها أعطت من أعوازها (مر١٢ : ٤١-٤٤) .

لعله من أمثلة عمق العطاء أيضاً ما قدمته أرملة صرفة صيدا لإيليا النبى . كل ما قدمته هو «ملء كف دقيق ، وقليل من الزيت فى الكوز» (١مل١٧ : ١٢) . ولكن عمق هذه التقدمة ، كان فى أنها كل ما كانت تملكه فى وقت المجاعة .... لتأكله هى وابنها ، ثم تموت ... ولكنها فضلّت النبى على نفسها وعلى ابنها ...

وعمق العطاء نراه أيضاً فى أمثلة أخرى :

مثل الذى يقدم عشور أمواله ، وهو فى منتهى العوز والحاجة ، أو يقدم بكور مرتب كان ينتظره منذ زمن ليسدد ديونه ... أو خادم يقدم وقته للخدمة ، فى أهم أيام

الامتحانات ، وهو فى حاجة إلى كل دقيقة ... أو الذى يقدم أحد أعضاء جسده ، لينقله إلى مريض محتاج إليه حباً فى هذا المريض وإشفاقاً عليه ، أو الذى يستدين ليعطى إنساناً معوزاً ...

العُمق فى الكرازة

إن المسيحية بدأ تاريخها بالعمق فى العمل الكرازى ، الذى تركز فى اثنى عشر رسولاً ، بعضهم من جهال العالم والمزدرى وغير الموجود (١ كو١ : ٢٧ ، ٢٨) . ولكنهم بكل جدية وأمانة والتزام ، دخلوا فى الخدمة ، بكل جهد ، وتحملوا الجلد والسجن والإضطهاد ، لكى يوصلوا كلمة الله إلى كل أحد . وهكذا الذين « ليس لهم صوت ولا إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم » (مز١٩) .

ويعبر بولس الرسول عن عمق هذا العمل الكرازى واحتماله فيقول :

« فى كل شيء نظهر أنفسنا لله ، فى صبر كثير ، فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات ، فى ضربات فى سجون فى اضطهادات ، فى أتعاب ، فى أسهار فى أصوام ... كمضلين ... كمجهولين ... كمائتين ... كحزانى » (٢كو٦ : ٤ - ١٠) .

وعمقهم ظهر فى غيرتهم المقدسة التى لم تكن تهدأ .

يعملون من أجل الرب فى كل وقت ، مناسب وغير مناسب (٢تى٤ : ٢) . حتى فى السجن (أع١٦) ... بولس كتب بعض رسائله وهو فى السجن ... بل حتى أثناء محاكمتهم أيضاً ، مثلما وقف بولس أمام فيلكس الوالى (أع ٢٤) وأمام أغريباس الملك (أع ٢٥) وكانوا يتكلمون بكلمة الله بكل مجاهرة (أع ٢٨ : ٣١) .

يذكرنا هذا بالمبشرين الذين نقلوا الإيمان إلى بلاد شعبها من أكلة لحوم البشر...

هنا يبدو العمق فى محبة الله وملكوته ، والعمق فى خدمة الكلمة ...

بعض الخدام يقيسون خدمتهم بمقاييس خاطئة، لها المظهر الشكلى من الخارج وليس لها العمق. مثل من يقيس خدمته بكثرة عدد تلاميذه، أو بكمية الدروس ونوعيتها، وما يتلقاه التلاميذ من المعرفة الدينية. أو خادم يقيّم خدمته بارتقائه من خادم ابتدائى إلى خدمة ثانوى أو إعداد خدام، أو بمظهريات أخرى من تنظيمات فى الخدمة، وكراسات تحضير الدروس أو كراسات الافتقاد. وينسى الخادم فى كل ذلك ما يتعلق بعمق الخدمة، وعملها فى قيادة التلاميذ إلى التوبة، وإلى محبة الله.

* * *

وقد يوجد خادم بلا فصل، وخدمته أكثر عمقاً.

كخادم يشتغل فى العمل الفردى. وكل من يلتقى به يجذبه إلى محبة الله، ويلهب قلبه بكلمات النعمة التى تخرج من فمه. وفى كل يوم يضم إلى الكنيسة أعضاء جدد ما كانوا يدخلون الكنيسة من قبل...

أو أنه يخدم فى حل المشاكل العائلية، بكل تعب وعمق ومثابرة. وقد يقضى أيام طويلة ويسهر ويقنع، لكى يدخل سلام الله إلى البيت. ولا أحد من كبار الخدام فى الكنيسة يعرف عن خدمته شيئاً...

وأعرف خادم كان يعمل معنا منذ أكثر من أربعين عاماً، كنا نسمى فصله (فصل الشواذ)، لأنه كان يجذب الأولاد المتسكعين فى الشوارع، أو فى المقاهى وأمام دور اللهو، ويحوّلهم ليس فقط إلى تلاميذ ثابتين فى الكنيسة، بل أن بعضهم صاروا خداماً...

* * *

ومن أمثلة الخدمة العميقة، قصة فيلبس مع الخصى الحبشى...

فيلبس، وهو سائر فى الطريق، يرى مركبة الخصى وهو يقرأ سفر اشعياء، فيبدأ أن يشرح له فى عمق، حتى يجذبه إلى الإيمان، وإذ يعلن الخصى إيمانه من كل قلبه، ينزل الإثنان فيعمده... هل أخذت هذه الخدمة ساعة أو أكثر أو أقل. لكنها كانت عميقة ومثمرة...

مثالها أيضاً خدمة المعمدان واسطفانوس الشماس .

في عمق شديد خدم المعمدان حوالي ستة أشهر أو أكثر بقليل . وفى خلال تلك المدة القصيرة ، مهد الطريق أمام الرب ، بشعب مستعد ، قاده المعمدان إلى التوبة ومعمودية التوبة ... حتى أن الرب قال : لم تلد النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان ، وقال إنه أعظم من نبى (مت ١١ : ١١ ، ٩) .

كذلك اسطفانوس الشماس ، كانت خدمته قصيرة ، ولكن عميقة جداً . سيرته بدأت فى (أع ٦) واستشهاده فى (أع ٧) . واستطاع فى تلك الفترة القصيرة أن يجعل جماهير كثيرة تنضم إلى الإيمان ، وأفحم كثيراً من المجامع . ولم يستطيعوا أن يقاوموا القوة ، ولا الروح الذى كان يتكلم به (أع ٦ : ١٠) .

* * *

إن الكلمة العميقة تستطيع أن تأتى بثمر كثير .

عظة واحدة بعمق عمل الروح القدس فيها استطاعت أن تضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف تعمدوا معاً فى يوم الخمسين ...

إنسان يكلمك كلمة فتلمس قلبك ، ولا تفارق ذهنك مطلقاً ، تتمشى معك فى الطريق ، وتصاحبك فى نومك وفى صحوك . وتعمل فيك عملاً كثيراً . إنها كلمة خرجت من العمق ، ووصلت إلى العمق . وكان لها تأثيرها وفاعليتها وقوتها . وأصبحت تعمل عملاً عميقاً مثلها ...

* * *

ننتقل إلى نقطة أخرى وهى العمق فى العبادة :

العُمْقُ فى العبادة

كثيرون يهمهم المقياس الطولى فى الصوم مثلاً ، وفى الصلاة وعدد المزامير ، وفى المطانيات ، دون أن يهتموا بالعمق فى العبادة . وقد يصوم الإنسان أربعين يوماً أو خمسة وخمسين ، وربما يشتد على نفسه من جهة الطعام . ولكن بغير عمق فى العمل الروحى ، فى الانتصار على النفس ، فى ضبط الإرادة والحواس ، والفكر أثناء الصوم . وكأن الصوم مظهر خارجى ، وفى الداخل فى الأعماق ، لا شيء على الاطلاق . ويخرج من الصوم

بنفس الطباع والأخطاء . أما الذى يصوم بعمق روحى ، وتصوم نفسه مع جسده ، و يصحب صومه بانسحاق القلب والتوبة والخشوع والتداريب الروحية ، فهذا يأتى بثمر كثير.

كذلك المطانيات ، فى عمقها لا فى عددها .

إنسان تلصق بالتراب نفسه ، وليست مجرد رأسه تنحنى ، دون أن تنحنى كبرياؤه من الداخل .

* * *

ونفس الوضع فى القراءة وعمقها وتأثيرها .

ليس المهم أن تقرأ عدداً كبيراً من الاصحاحات ، وإنما ما تتركه هذه القراءة فى نفسك من عمق وتأثير.

إن آية واحدة سمعها الشاب أنطونيوس ، وأخذها بعمق ، أمكنها أن تغير حياته كلها ، وتنشيء منهجاً روحياً كبيراً اتبعه الآلاف من الملائكة الأرضيين والبشر السمائيين . وامتد تأثيرها إلى أجيال طويلة سارت على نفس النهج ... فهل أنت تقرأ بنفس العمق الذى استمع به القديس أنطونيوس إلى تلك الآية .

إن الكتبة والفريسيين كانوا يقرأون كثيراً ، بل كانوا من علماء عصرهم بالكتاب . ولكن لم يكن لهم عمق ، لا فى الفهم ولا فى التطبيق . فلم يستفيدوا شيئاً ، بل أعثروا غيرهم .

انظر إلى داود النبى فى عمق قراءاته .

إنه يقول للرب « لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً » (مز ١١٩) . و يقول «اكشف عن عينى ، لأرى عجائب من شريعتك . وعمقه فى القراءة ، كان يجلب له الفرح واللذة ، كمن وجد غنائم كثيرة . و يكون كلام الله أحلى من العسل والشهد فى فمه (مز ١١٩) .

عمق التوبة

كثيرون تابوا ، ورجعوا كما كانوا ، لأن توبتهم لم تكن بعمق .

أما الذين تابوا بعمق ، فلم يعودوا إلى الخطية مرة أخرى .

كانت التوبة نقطة تحول مصيرية فى حياتهم ، تدرجوا منها إلى النمو فى حياة البر ، حتى وصلوا إلى درجات عالية من الكمال المسيحى ، مثل داود النبى فى انسحاقه ودموعه .. وأوغسطينوس الذى ترهب وصار أسقفاً ، ودافع عن الإيمان المسيحى ، وله تأملات روحية عميقة جداً ... وموسى الأسود الذى نما فى الحب والوداعة وخدمة الناس ، وصار من آباء البرية ... ومريم القبطية التى سمت فى حياة الوحدة ، حتى صارت فى مرتبة السواح ، وباركت القديس زوسيما القس .

* * *

الذين لهم خطايا يكررونها فى كل اعتراف ، لم يتوبوا بعد ...

والذين لا تصحب توبتهم مشاعر الانسحاق والندم ، والشعور بعدم الاستحقاق ، هؤلاء ليس لهم عمق فى التوبة ، وما أسهل رجوعهم إلى الخطية . ومثلهم أولئك الذين فى توبتهم يسرعون إلى حياة الفرح ، دون أن تنضج توبتهم وتثمر .

عُمق الإيمان

الإيمان العادى يدعيه الكل . ولكن ليس كل مؤمن عميق فى إيمانه . بطرس الرسول آمن إلى حين ومشى مع المسيح على الماء . ثم ضعف إيمانه فسقط . ووبخه الرب قائلاً «يا قليل الإيمان ، لماذا شككت» (متى ١٤ : ٣١) . الإيمان العميق لا يشك ولا يخاف ، بل يمكن أن ينقل الجبال (مت ١٧ : ٢٠) . بل أعظم ما قيل عن الإيمان العميق ، قول الرب :

كل شيء مستطاع للمؤمن (مر ٩ : ٢٣) .

إيمان له قوته ، وله نصرته ، وله فاعليته حتى يشمل الحياة كلها .

العمق فى الصداقة والحب

قد يوجد صديق لك ، تدوم صداقته عشرين عاماً ، ثم بسبب لفظة معينة ، أو وشاية ، أو خبر غير صحيح قد سمعه ، ينقلب و يتغير . وتقول له «عندى عليك أنك

تركت محبتك الأولى» (رؤ ٢ : ٤). أما المحبة العميقة فيقول عنها الكتاب:

« مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة » (نش ٨ : ٧).

« المحبة قوية كالموت » (نش ٨ : ٦) « المحبة لا تسقط أبداً » (١كو١٣ : ٨) سواء كانت محبة نحو الله أو الناس.

عميقة مثل محبة الأم لرضيعها... مثل المحبة بين داود ويوناثان. محبة تتبع إلى الصليب، مثل محبة يوحنا للمسيح. محبة « ليست بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق » (١يو٣ : ١٨).

أعمق محبة هي التي تبذل، حتى ذاتها.

كمحبة الرب على الصليب. أحب حتى بذل (يو٣ : ١٦).

عُمق الشخصيّة

هناك أشخاص يتميزون بالعمق، وآخرون بالسطحية.

فالشخصية العميقة، لها عمق في التفكير والتدبير، عمق في الذكاء والفهم. الشخص منهم له ذكاء شمولي، يشمل كل شيء. إذا بحث موضوعاً، يفكر فيه من جميع زواياه، ويعمل حساباً لكل النتائج وردود الفعل. وإذا تكلم يتكلم بعمق...

كذلك في العمل والمسئولية، يتناول كل شيء بعمق، مثل يوسف الصديق وهو وزير تموين لمصر. ومثل يوكابد في عمق تربيتها لابنها موسى النبي...

فمثلاً التلميذ الذي يذاكر بعمق، يذاكر بفهم وتركيز، وبعقل منتبه، لا ينسى. ليس المهم عدد ساعات مذاكرته، إنما عمق الفهم والحفظ.







الانسـان الروحي ؛

قلبـه مـع اللّـه

الإنسان الروحي ، حياته ليست مظهرية من الخارج ، ولا هي مجرد ممارسات يمارسها ، ولا مجرد فروض ، ولا مجرد ناموس (أي وصايا تنفذ حرفياً) ، إنما حياته الروحية قبل كل شيء ، هي «حياة القلب مع الله» . لأن الرب يقول :

« يا ابني اعطني قلبك ، ولتلاحظ عيناك طرقي » (أم ٢٣ : ٢٦) .

المهم أن تعطيني قلبك . وإن أعطيتني هذا القلب ، سوف تلاحظ عيناك طرقي . ويقول الوحي الإلهي في سفر الأمثال أيضاً «فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة» (أم ٤ : ٢٣)... حياة الإنسان الروحية كلها تخرج من هذا القلب . لذلك على الإنسان أن يهتم بقلبه ونقاوته . ومن أهميته قال الرب في تطويباته في العظة على الجبل :

« طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) .

حقاً ما أعظم مكافأة القلب النقي... إنه يرى الله !! فليست الحياة الروحية كلاماً ، ولا مظهرية خارجية... فإن المرتل يقول في المزمور «كل مجد ابنة الملك من داخل» على الرغم من أنها «مشتملة بأطراف موشاة بالذهب ، ومزينة بأنواع كثيرة» (مز ٤٥ : ١٣) .

* * *

ولهذا نجد أن الرب قد قال من جهة وصاياه :

« ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك» (تث ٦ : ٦) .

وقال المرتل في ذلك « خبأت كلامك في قلبي ، لكي لا أخطىء إليك » (مز ١١٩) . وحينما تكون وصية الله داخل القلب ، تكون مختلطة بالمشاعر والعواطف والأحاسيس . وتكون أيضاً مرتبطة بالمحبة التي في القلب ، كما قال داود في المزمور «أحببت وصاياك جداً» «ممحص قولك جداً . عبدك أحبه» (مز ١١٩) ... القلب هو

مركز المشاعر. والله يريد مشاعر قلبك ... يريد محبتك. ولذلك قال :

تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل فكرك ... » (مت ٢٢ : ٣٧).

وكذلك « تحب قريبك كنفسك » . وقال الرب عن هذه المحبة ، إنه بها « يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٤٠). وعبارة « من كل قلبك » تعنى أنه لا يوجد فى القلب أى شخص أو أى شىء ينافس الله فى محبة القلب له. ولهذا قال الرب « من أحب أباً أو أماً أكثر منى ، فلا يستحقنى. ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) ... كل القلب لله.

والله يطلب هذا ، فيقول فى سفر النشيد :

« اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك » (نش ٨ : ٦).

كخاتم على قلبك من جهة الحب ، وعلى ساعدك من جهة العمل. وهكذا يكون العمل الذى يقوم به الإنسان الروحى ، هو نتيجة طبيعية لمحبته لله وللناس ... وكلما كان القلب عميقاً فى محبته ، فعلى هذا القدر يكون عمله لأجل الله قوياً ...

* * *

والقلب النقى يكون كلامه نقياً ، ويكون فكره أيضاً نقياً ، لأن الفكر يصدر عن القلب ، والكلام يصدر عن القلب. وقد قال الرب فى ذلك..

« الإنسان الصالح ، من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح » (لو ٦ : ٤٥).

« والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ». إذن المهم هو القلب ، « لأن منه مخارج الحياة ». هو النبع الذى يخرج منه الفكر والكلام والعاطفة ، بل هو المؤثر على الحواس أيضاً ... إن البعض قد يدافع عن إنسان غضوب تخرج من فمه ألفاظ قاسية شديدة ، فيقول « على الرغم من غضبه ، فإن قلبه أبيض » ! كلا ، فالقلب الأبيض تخرج منه ألفاظ بيضاء مثله. وقد قال الرب :

« من فضلة القلب يتكلم الفم » (لو ٦ : ٤٥) (مت ١٢ : ٣٤) (مت ١٥ : ١٨).

ولذلك فخطية اللسان هى خطية ثانية ، أو خطية تابعة. أما الخطية الأولى السابقة لها فهى فى القلب، القلب فيه نفاق ، تخرج منه ألفاظ نفاق. القلب فيه غضب ، تخرج منه ألفاظ غضب. القلب فيه حنو وعطف ... وهكذا مع باقى الأمور ... وهكذا يقول

المرتل فى المزمور :

« فاض قلبى بكلام صالح » (مز ٤٥ : ١) .

هذا يكون مع الصالحين ، الذين قلوبهم وألسنتهم فى مجرى واحد ، كما نقول فى التسبحة «قلبى ولسانى يسبحان القدوس . وعكس ذلك المراءون الذين قلوبهم غير ألسنتهم ! أولئك الذين وبخهم الرب قائلاً « .. كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟!» (مت ١٢ : ٣٤) .

هذا المرائى الذى يتكلم بغير ما فى قلبه ، قد تكشفه نظرات عينيه . فإن العين كثيراً ما تكون مرآة للقلب ، تظهر فيها أحاسيسه كلها ... وقد تكشفه ملامح وجهه ، أو نبرات صوته .

* * *

والإنسان الروحى بسيط القلب ، لا يضمر غير ما يظهر !

هو إنسان صريح . ما يقوله بلسانه هو نفس الذى فى قلبه . إذا امتدح إنساناً ، فهو يثق به هكذا فى قلبه . وإن اعتذر لإنسان عن خطأ ، يكون هذا الاعتذار صادراً حقاً من قلبه ... بينما غيره قد يعتذر ، ولا يكون اعتذاره مقبولاً ، لأنه لم يصدر من القلب ! وقد يقول لشخص « الله يسامحك » ، وهو يقصد « الله يجازيك حسب عملك !!» ...

إن الله أعلم بما فى القلب ، فهو وازن القلوب (أم ٢١ : ٢) .

وقد قال الكتاب عن الله إنه « فاحص القلوب والكلى » (أر ١١ : ٢٠) « هو يعرف خفيات القلب » (مز ٤٤ : ٢١) « الرب يعرف أفكار الإنسان » (مز ٩٤ : ١١) . وقيل « القلب أخدع من كل شيء ، وهو نجس من يعرفه ؟! أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطى كل واحد حسب طرقه ... » (أر ١٧ : ٩) ...

أما الإنسان الروحى ، فقلبه مستقيم أمام الله .

والرب يعرف القلوب المستقيمة ، والقلوب الملتوية .

و يقول الكتاب « نور أشرق للصديقين ، وفرح للمستقيمى القلب » (مز ٩٧ : ١١) . و يقول « كراهة الرب ملتوو القلب » (أم ١١ : ٢٠) . والمستقيمون بقلوبهم يقول عنهم الكتاب إنهم « يدعون الرب من قلب نقى » (٢تى ٢ : ٢٢) . وعن هذا القلب يقول داود النبى فى مزمور التوبة :

« قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله ، وروحاً مستقيماً جدد فى أحشائى » (مز ٥١ : ١٠).

* * *

وهذه النقطة تنقلنا إلى التوبة وعلاقتها بالقلب ...

التوبة الحقيقية ليست هى مجرد ترك الخطية بالفعل ، إنما ترك الخطية من القلب . أى أن القلب لم يعد يحبها . وكمال التوبة هو كراهية الخطية . وإذا كره الإنسان الخطية ، فلن يعود إليها مرة أخرى . وهكذا تصبح توبته هى خط فاصل بين حياة بعيدة عن الله ، وحياة جديدة تشتاق إلى الله . وعن هذه التوبة القلبية قال أحد القديسين « إن التوبة هى استبدال شهوة بشهوة » أى يترك الإنسان شهوة العالم ، وتصبح كل شهوته هى الحياة مع الله . وهكذا قال الرب فى التوبة :

« ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم » (يوء ٢ : ١٢) .

« مزقوا قلوبكم لا ثيابكم ، وارجعوا إلى الرب إلهكم » (يوء ٢ : ١٣) . فالتوبة هى اشتياق للرجوع إلى الله ، واستجابة لصوته ولعمل نعمته فى القلب . أما الإنسان الذى لا يستجيب لصوت الله ، فهو إنسان قاسى القلب . وفى ذلك يقول الرسول :

« إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ٨ ، ١٥) .

ويكرر ذلك فى (عب ٤ : ٧) . وهذا نفس ما قيل قديماً فى المزمور « اليوم إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم » (مز٩٥ : ٧، ٨). إذن فالله ينظر إلى عدم التوبة، من خلال القلب الرافض، قبل العمل العاصى. ولذلك فهو فى قيادتنا إلى التوبة، يعدنا بتغيير هذا القلب . فإن تغير، يتغير السلوك طبقاً لذلك . وهكذا يقول الرب :

« اعطيكم قلباً جديداً ، واجعل روحاً جديدة فى داخلكم » (حز ٣٦ : ٢٦) .

« وانزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم » . فهو يعتبر التوبة تبدأ من القلب. والقلب التائب هو قلب حجر، قلب صخر، قلب قاسٍ، كما كان قلب فرعون قلباً قاسياً.

ويكرر الرب نفس الكلام فى سفر ارمياء النبى فيقول « وأعطيهم قلباً ليعرفونى أنى أنا الرب ، فيكونوا لى شعباً ، وأنا أكون لهم إلهاً . لأنهم يرجعون إلىّ بكل

قلوبهم» (أر٢٤: ٧).

* * *

ورجوع الإنسان معناه أن إرادة قلبه تتحد مع إرادة الله.

الله يعمل فى قلبه، وهويرجع بقلبه إلى الله. وهكذا يقول الرب فى سفر يوئيل النبى «ارجعوا إلىَّ بكل قلوبكم» (يوء٢: ١٢). و يقول فى سفر حزقيال النبى «اطرحوا عنكم كل معاصيكم التى عصيتم بها. واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة» (حز١٨: ٣١). وعن نتائج هذا القلب الجديد، يقول القديس بولس الرسول «..تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢). فإن القلب إذا تغير من الداخل، تتغير أفكاره أيضاً. لأن الأفكار الشريرة تخرج من القلب، كما قال الرب (مت ١٥: ١٩). إذن لابد من تغيير القلب.

عيب الكثيرين أنهم يظنون التوبة مجرد الاعتراف بالخطايا، و يستبقون خطية محبوبة فى القلب.

و بسبب هذه الخطية المحبوبة يرتدون عن توبتهم، و يسقطون مراراً كثيرة، لأن القلب ليس كله لله، ولأنهم لم يرجعوا إلى الله بكل قلوبهم... ولم تتجدد أذهانهم، إذ لايزال الفكر متعلقاً بالخطية، كالقلب أيضاً... هؤلاء توبتهم من الخارج وليس من الداخل. و ينظر الله إلى الداخل و يقول «يا ابنى اعطنى قلبك»... حنانيا وسفيرا وضعوا المال تحت أقدام الرسل. ولكن لم يضعوا الله فى قلوبهم. كانت فى قلوبهم محبة المال، ولو بعض المال (أع ٥: ١-٤).

* * *

كثيراً من ندعو أولادنا إلى الحشمة فى ملابسهم، دون أن ندخل الحشمة إلى قلوبهم!

بينما لو دخل الله إلى قلوبهم، لاقتنعوا بالحشمة قلباً وفكراً. وحينئذ تأتى الحشمة فى الملابس والزينة كعمل تلقائى طبيعى، دون ضغط من الخارج، يكون فيه القلب مشتاقاً إلى غير ذلك!

ينبغي أن نسمو عن مستوى الأعمال الظاهرة، إلى مشاعر القلب من الداخل.

يوجد إبن قد يطيع أباه خوفاً أو لمجرد فضيلة الخضوع، بينما قلبه متمرد من الداخل

على أوامر أبيه ، ولم يخضع بعد قلباً ولا فكراً ... وقد يدفع إنسان العشور ، وقلبه غير مستريح . فهو قد دفعها من جيبه ، وليس من قلبه ...

أما الإنسان الروحي إذا أعطى ، يعطى من قلبه ، برضى وسرور ، حسب قول الكتاب « المعطى بسرور يحبه الرب » .

وقد يصوم إنسان عن الطعام بفمه ، وقلبه غيرزاهد فى هذا الطعام ، وهو يتحايل على الطعام بألوان وطرق شتى ، فيبحث عن المسلى الصيامى ، والجبنة الصيامى ، والشكولاته الصيامى . كما يبحث عن طريقة الطهى التى تجعل الطعام الصيامى شهياً ... !! أين جوهر الصوم هنا ؟ وما علاقته بالقلب ؟!

وقد يضرب إنسان مطانية بجسده ، بينما قلبه لم ينحنِ مثل انحناءة رأسه .

ولا نكون فى مطانياته روح الندم ، ولا روح الخشوع ، ولا روح التوبة . ولذلك حينما يتعذر لغيره بمطانية ، لا تكون مقبولة منه ... وقد يعترف إنسان بخطاياه ، وقلبه غير نادم عليها !

وقد يصمت إنسان عن الكلام بلسانه ، و يكون فى فكره كلام كثير !

وقد يتكلم إنسان بكلام إتضاع ، ولا يكون قلبه متضعاً ، وقد تكون كلماته ألين من الزيت ، وهى سهام (مز ٥٥ : ٢١) . وفى كل ذلك يقول الرب « يا ابنى اعطنى قلبك » .

* * *

الإنسان الروحي يعطى القلب لله ، لأن القلب فيه كل المشاعر والروحيات .

خذوا الإيمان مثلاً : فرق كبير بين المؤمن اسماً ، و بين المؤمن من أعماق القلب ، الذى يظهر إيمانه فى كل أعماله (يع ٢ : ١٨) ... المؤمن الذى يرى الله أمامه فى كل حين . و وجود الله بالنسبة إليه ، ليس مجرد عقيدة ، بل هو حياة يحياها و يحسها ...

والغيرة المقدسة ليست مجرد عمل أو كلام ، بل من القلب تصدر .

والوداعة والاتضاع و باقى الفضائل ، ليست هى مجرد أعمال ظاهرية . فهناك فرق كبير بين المتواضع بلسانه ، والمتواضع بقلبه المقتنع فى داخله بأنه خاطىء وضعيف ، ولولا نعمة الله التى تسنده لسقط كغيره ...

* * *

والقلب أيضاً هو مصدر الأحلام والظنون والأفكار والشكوك ... وهو أيضاً مصدر كل ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

المحبة مثلاً ، والفرح ، والسلام ... كلها صادرة من القلب ... وطول الأناة واللطف والصلاح والتعفف ... كلها صادرة عن القلب ، وإلا فإنها تفقد معناها وما فيها من بر...

الصلاح ليس قبوراً مبيضة من الداخل (مت ٢٣ : ٢٧) ، وإنما هو صلاح القلب . الطهارة ليست مجرد الهرب من الخطية ، إنما هى نقاوة قلب ...

* * *

الإنسان الروحى فى كل عمل يعمله ، يدرك أن الله ناظر إلى قلبه وإلى نيته وقصده .

ومن كنز قلبه الطاهر، يخرج كل عمل طاهر. حيث يكون كنزه ، يكون قلبه أيضاً (مت ٦ : ٢١) . وكنزه الوحيد هو الله ... وهو فى كل حين يقول للرب « مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى » (مز ٥٧ : ١) . حتى إن نام ، تقول نفسه لله « أنا نائمة ، وقلبى مستقيظ » (نش ٥ : ٢) .

* * *

الإنسان الروحى فى صلاته ، تكون صلاته خارجة من قلبه .

وليس مثل أولئك الذين قال عنهم الرب « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » (أش ٣٩ : ١٢) (مت ١٥ : ٨) ... إنما قلبه متصل بالله تماماً . وهو يتكلم و يشعر بوجوده فى حضرة الله ، وأنه يكلم الله . و يقول « قلبى ولسانى يسبحان القدوس » و يردد مع داود قوله فى المزمور :

« من كل قلبى طلبتك » (مز ١١٩) .

حتى فى القداس ، وفى التسبحة ، لا تكون صلاته مجرد لحن ، أو مجرد ألفاظ يرددها ، أو تلاوة ، إنما هى مشاعر قلب انسكب أمام الله ... فى انسحاق ، فى خشوع ، فى إيمان ، فى حب ، فى فهم فى تأمل ، فى حرارة والتهاب قلب .

و يتقدم واحد من الأربعة والعشرين قسيساً ، و يأخذ صلاته فى مجمرته الذهبية ، و يصعد بها إلى فوق .







الإنسان الروحي :

إنسان قوي

الإنسان الروحى هو إنسان قوى . ونقصد قوة الروح ... كما أن القوة غير العنف .

هو إنسان قوى ، لأنه صورة الله ومثاله (تك ١ : ٢٧) ، والله قوى . وهو كابن لله ، من المفروض أن يكون قوياً فى الروح ...

الإنسان الروحى هو هيكل للروح القدس (١كو٦ : ١٩) . والروح القدس ساكن فيه (١كو٣ : ١٦) . وهكذا ينال قوة من الروح الذى يعمل فيه بقوة ... و يتحقق فيه وعد السيد المسيح الذى قال :

« ولكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم » (أع ١ : ٨) .

وقد قال عنها إنها قوة من الأعالى » (لو٢٤ : ٤٩) . وظهرت هذه القوة فى كرازة الآباء الرسل . وهكذا ورد فى سفر أعمال الرسل « و بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع . ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤ : ٣٣) . و بذلك أيضاً تحقق قول الرب « إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت ، حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة » (مر ٩ : ١) .

* * *

قوة الإنسان الروحى هى من الله نفسه :

كما قال داود النبى فى المزمور « قوتى وتسبحتى هو الرب . وقد صار لى خلاصاً » (مز ١١٨ : ١٤) . وكما قال القديس بولس الرسول « تقووا فى الرب وفى شدة قوته ... » (أف ٦ : ١٠) . وقال أيضاً « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) . وعبارة « أستطيع كل شىء » تدل على مدى القوة التى يحصل عليها الإنسان الروحى فى المسيح يسوع ... حتى أن الرب يقول :

« كل شىء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

ومادام كل شىء مستطاعاً له ، إذاً لا يجوز أن يقع إنسان روحى فى اليأس أو

الإنهيار أو صغر النفس . لأنه بإيمانه يصير قوياً فى الداخل ، قوى النفس قوى الروح . لا يضعف أبداً ، ولا يقلق ولا يضطرب ، ولا يقف عاجزاً . إنه قوى بالله الذى يعمل فيه ، الله الذى يقويه ...

* * *

هذه القوة تنطبق على الافراد والجماعات :

تنطبق على الإنسان الروحى كمؤمن ، وعلى الكنيسة كجماعة مؤمنين . وهكذا ورد فى سفر النشيد عن تخت سليمان الذى يرمز إلى الكنيسة «تخت سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة اسرائيل . كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب . كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل» (نش ٣ : ٧ ، ٨) . وفى سفر النشيد أيضاً من أوصاف القوة التى وصفت بها الكنيسة والنفس البشرية :

«شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون» (نش ١ : ٩) .

الفرس - وأيضاً الفرسان - رمز إلى القوة (أش ٣١ : ١) والفرس فى مركبات فرعون هو «فرس معدّ ليوم الحرب» (أم ٢١ : ٣١) . ولم يكن فرعون يختار لمركباته إلا أقوى الأفراس وأشدها . وبهذا التشبيه يصف الرب بالقوة كنيسته التى يحبها ...

ولعل هذا التشبيه دليل على أن سفر النشيد له رموزه الروحية ، وليس مجرد أغنيات متبادلة بين حبيب وحبيبته كما يتهمه البعض !! لأنه لا توجد فتاة تقبل أن يصفها حبيبها بفرس فى مركبات فرعون . وبنفس المنطق نتحدث عن قول الرب فى سفر النشيد عن حبيبته الكنيسة بأنها :

« مرهبة كجيش بألوية » (نش ٦ : ٤) .

وكلمة ألوية هى جمع لواء من لواءات الجيش . واللواء يضم عدداً كبيراً من الكتائب والسرايا والأليات . وقد تكرر وصف الكنيسة أو النفس البشرية بأنها مرهبة كجيش بألوية فى نفس الاصحاح من سفر النشيد (نش٦ : ١٠) . وطبعاً من المستحيل أن تقبل حبيبة أن يصفها حبيبها بأنها مرهبة .. ! وأنها مرهبة كجيش من عدة لواءات .. ! إذن الحديث رمزى عن الكنيسة أو النفس البشرية .

* * *

هذه هى النفس التى عاشت مع الله ، وأخذت من قوته قوة لحياتها .

فالإنسان الروحى تأخذ روحه قوة من الروح القدس الساكن فيه . إنه عضو فى جماعة الغالبين المنتصرين ، الذين يحاربون حروب الرب بقوة . ويدعوهم الكتاب المقدس بأنهم «جبابرة بأس» .

نقرأ فى سفر القضاة أن ملاك الرب خاطب جدعون بقوله «الرب معك يا جبار البأس» (قض ٦ : ١٢) . وداود النبى قيل عنه إنه يحسن الضرب بالعود وأنه جبار بأس وفصيح والرب معه (١صم١٦ : ١٨)... وقيل عن البنين الصالحين إنهم «كسهام بيد جبار» (مز١٢٨ : ٤) . وقيل أيضاً عن رجال يشوع الذين دخل بهم أرض الموعد إنهم كانوا جبابرة بأس (يش ٨ : ٣)... كل هذه وغيرها رموز للذين يدخلون الحروب الروحية ضد «أجناد الشر الروحية» . إنه الأقوياء فى الروح يحملون سلاح الله الكامل ، ودرع الإيمان ، وترس البر ، وخوذة الخلاص وسيف الروح (أف ٦ : ١١- ١٧) .

* * *

وقد ضرب الكتاب أمثلة كثيرة من أولئك الأقوياء .

مثال ذلك ايليا النبى ، الذى طهر البلاد من كل أنبياء البعل وأنبياء السوارى (١مل١٨ : ١٩، ٤٠) ، وكذلك يوحنا المعمدان الذى قال عنه الملاك المبشر به إنه «يتقدم أمام الرب بروح إيليا وقوته ... لكى يهيىء للرب شعباً مستعداً» (لو ١ : ١٧) . واسطفانوس الشماس الذى كان مملوءاً من الروح القدس والإيمان . وقد وقف أمامه ثلاثة مجامع يحاورونه «ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به» (أع ٦ : ٩، ١٠) .

وقد سرد بولس أسماء سلسلة من هؤلاء الأقوياء .

وقد ختمها بقوله «وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزنى الوقت عن... الذين بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا براً ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء فى الحروب ، هزموا جيوش غرباء ... عُذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكى ينالوا قيامة أفضل ... وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم» (عب ١١ : ٣٢- ٣٨) .

وشرح لنا تاريخ الكنيسة أمثلة كثيرة من الأقوياء .

أمثال أولئك الشهداء ، الذين كانوا أقوياء فى إيمانهم ، أقوياء فى احتمالهم ، أقوياء أيضاً فى العجائب والآيات التى أجراها الله على أيديهم ... وهناك أمثلة أخرى من أبطال الإيمان الذين وقفوا بكل قوة ضد البدع والهرطقات ، ودافعوا عن الإيمان بقوة فى الفهم وقوة فى الاقناع ، وفى الصمود . ومن أمثلة أولئك القديس أثناسيوس الرسولى ، الذى وقف ضد الهرطقة الأريوسية ، واحتمل العزل والنفى والمؤامرات والاتهامات . وقيل له « العالم كله ضدك يا أثناسيوس » فقال « وأنا ضد العالم » . لذلك أسموه :

Athanasius Contramondum أى أثناسيوس ضد العالم

* * *

لقد خُلق الإنسان قوياً . له سلطان :

وقال الله « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ، واخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على وجه الأرض » (تك ١ : ٢٨ ، ٢٦) . ولكن الإنسان فقد قوته الطبيعية حينما أخطأ ، وبدأ يشعر بالخوف ... وعاد الله يقوى الإنسان بعمل النعمة فيه ، بقوة الروح القدس ... و يقويه بوعوده ، و بأنه معه ...

* * *

الإنسان الروحى يذكرنا بالأرواح ، بالملائكة .

أولئك الذين قال عنهم داود النبى « باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة » (مز ١٠٣ : ٢٠) . هؤلاء الملائكة الذين قال دانيال النبى عن واحد منهم « إلهى أرسل ملاكه ، فسد أفواه الأسود » (دا ٦ : ٢٢) . وقيل فى سفر الملوك : ملاك الرب خرج وضرب من جيش سنحاريب ١٨٥ ألفاً (٢مل ١٩ : ٣٥ ، ٣٦) . قوة الملائكة مصدرها أنهم أرواح قريبون من روح الله . يتشبه بهم كل من يسلك بطريقة روحية ، و يدخل فى شركة الروح القدس ، و يعمل الله فيه .

لذلك فالإنسان الروحى الذى يعمل فيه روح الله ، لابد أن يكون قوياً .

داود النبى الذى حلّ عليه روح الرب (١صم ١٦ : ١٣) كان قوياً . وكان أقوى من شاول الملك . وكان حينما يتعب شاول من الروح الشرير ، يهدئه داود بعوده ،

ويذهب عنه الروح الرديء (١ صم ١٦ : ٢٣) ، لأن روح الله الذى فى داود هو الذى يطرده... بل كان داود أقوى من الجيش كله الذى خاف من جليات . أما داود فتقدم لمحاربة جليات وقال له « فى هذا اليوم يحبسك الرب فى يدى... وتعلم كل الأرض أنه يوجد إله ... » (١صم ١٧ : ٤٦) .

★ ★ ★

الإنسان الروحى لا يخاف ، لأن الله معه :

وهكذا قال داود النبى للرب راعيه « إن صرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى » (مز٢٣ : ٤) . واستطاع أن يغنى أنشودته الجميلة « إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىَّ قتال ، ففى ذلك أنا مطمئن » (مز٢٧ : ٣) . وقال أيضاً « هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل ، ونحن باسم الرب ننمو. هم عثروا وسقطوا ، ونحن قمنا واستقمنا » (مز٢٠ : ٧) .

هنا قوة قلب الإنسان الروحى المستمدة من الله .

إنه لا يخاف ، لأن الله معه . الله الذى قال ليشوع « تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب » « لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك . لا أهملك ولا أتركك . تشدد وتشجع » (يش ١ : ٩ ، ٥) .

هو أيضاً الذى قال لبولس الرسول فى رؤيا بالليل « لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) . وهو أيضاً الذى قال لأرميا النبى « هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض... فيحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك ـ يقول الرب ـ لأنقذك » (أر١ : ١٨ ، ١٩) .

★ ★ ★

لذلك أنا أعجب ، حينما يضعف الخير ، ويقوى الشر أمامه !!

أعجب حينما أرى أهل العالم أقوياء ، وهم شخصية وثقة ، ويجاهرون بآرائهم ، ويصلون إلى أغراضهم ، ولا يهتزون أمام العواصف ... بينما رجال الله يقفون كضعفاء ولا يصمدون ! كما لو كان الشر أقوى من الخير! أو الشر هو الذى يغلب !! فلماذا هذا

الضعف ؟! ولماذا لا يقف الخير صامداً ، يعلن عن البر و يدعو إليه ، كما كان الرسل ، « بكل مجاهرة و بلا مانع » (أع ٢٨ : ٣١) .

* * *

إن القوة الروحية ، ليست مطلقاً ضد الوداعة والتواضع .

كثيرون يحبون الوداعة ، ولكنهم يفهمونها بأسلوب خاطىء ... الوداعة تتصف بالطيبة والهدوء . ولكنها لا تمنع مطلقاً أن يكون الإنسان قو ياً فى شخصيته ، ومع ذلك يكون وديعاً ومتواضعاً ... وهنا التكامل والفضائل ، وليس التناقض ...

والسيد المسيح كان مثالاً لهذا التكامل . فهو الذى قال « تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) . وفى نفس الوقت كان قو ياً فى شخصيته ، قو ياً فى حواره مع كل معارضيه من الكتبة والفريسيين والكهنة والشيوخ والصدوقيين . وكان يفحمهم ، و ينشر رسالته فى قوة ...

وهو الذى قيل عنه « لبس الجلال . لبس القوة وتمنطق بها » (مز ٩٣ : ١) وقيل له أيضاً : « تقلد سيفك على فخدك أيها الجبار . استله وانجح واملك » (مز ٤٥ : ٣) .... له القوة والمجد .

إذن من الممكن أن يكون الإنسان وديعاً وقو ياً . والمهم ما هو مفهوم القوة ؟ وما هو أيضاً مفهوم الوداعة والتواضع ؟

* * *

ما هو مفهوم القوة ؟ وما الفرق بين القوة الزائفة والقوة الحقيقية ؟

القوة هى قوة الروح فى الداخل ، تعبر عن ذاتها فى الخارج باسلوب روحى .

القوة ليست هى العنف . فالمسيحية ضد العنف . وليست هى حب السيطرة وإخضاع الآخرين . وليست هى التهور والاندفاع والجرأة على كل ما هو كبير... كتلميذ يتحدى معلمه ، أو ابن يتجرأ على أبيه ... وليست القوة هى قوة شمشونية ، فى الجسد والعضلات ... ولا هى الاعتداد بالنفس بأسلوب خاطىء ، والافتخار بهزيمة الآخرين ، ولا هى استخدام السلطان فى غير موضعه ...

ولا هى الإدعاء باللسان ، كما قال بطرس « لو أنكرك الجميع ، فأنا لا أنكرك »

« ولو اضطررت أن أموت معك ، لا أنكرك » (مت ٢٦ : ٣٣، ٣٥) ... ولما دخل إلى الواقع العملى ، لم تظهر هذه القوة !!

* * *

والقوة ينبغي أن تكون دائماً ومستمرة .

فما أسهل أن يظهر الإنسان قوياً فى موقف معين . ثم ما يلبث أن يفقد قوته فى موقف آخر. كما أثبت شمشون قوته فى مواقف عديدة. ثم ضعف أخيراً أمام دليلة (قض ١٦) .

* * *

وما أكثر الأسباب التى يضعف بها الإنسان و يفقد قوته .

فقد يضعف الإنسان أمام رجاء من يحب ، أو يضعف أمام دموع البعض... وقد يضعف أمام كثرة الألحاح ، أو أمام ضغط عاطفى أو مادى ... وقد يضعف إذا ما اشتد الاغراء ، كما حدث مع داود النبى ... وعموماً يضعف فى الخارج ، إذا ضعف من الداخل .

والإنسان الروحى يصمد أمام كل هذه الأسباب . وإن حدث أنه ضعف وسقط ، سرعان ما يقوم . و يردد ما قيل فى سفر ميخا النبى «لا تشمتى بى يا عدوتى . فإنى إن سقطت أقوم» (مى ٧ : ٨) .

* * *

الإنسان الروحى ، قوته قوة روحية . ولهذه القوة أسباب عديدة :

ما هى تلك الأسباب التى هى مصدر قوته ؟

وما هى أيضاً عناصر تلك القوة فى روحه ونفسه وفكره ؟ وما مظاهرها فى حياته وفى خدمته وفى فضائله ؟

* * *

مصادر القوة الروحية وأسبابها ومظاهرها وعناصرها

مصادر القوة

لاشك أن مصدر القوة الروحية ، هو الله نفسه .

ولذلك يقول المرتل فى المزمور « أحبك يا الله يا قوتى » (مز١٨ : ١) و يقول « قوتى وتسبحتى هو الرب » (مز١١٨ : ١٤) . و يقول أيضاً « الله ملجأ لنا وقوة » (مز٤٦ : ١) . وكما يقول القديس بطرس الرسول عن القوة فى الخدمة « إن كان أحد يخدم ، فكأنه من قوة يمنحها الله ، لكى يتمجد الله فى كل شيء » (١بط ٤ : ١١) . و يترنم داود بقوة الله العاملة فيه فيقول « الله الذى يمنطقنى بالقوة ... الذى يعلّم يدىّ القتال » (مز ١٨ : ٣٢، ٣٤) .

لذلك فإن كل قوة ، ليس الله مصدرها ، هى قوة باطلة ، ومصيرها إلى الزوال .

كقوة فرعون مثلاً ، وكقوة الشيطان... وقوة آخاب الذى قتل نابوت اليزرعيلى... وقوة مشورة أخيتوفل .. ! ومثل قوة جليات ... وكل الأقو ياء بدهائهم أو بكبريائهم .

أما الإنسان الروحى فقوته من الله العامل فيه . وعن هذا يقول القديس بولس الرسول : الأمر الذى لأجله أتعب أنا أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذى يعمل فىّ بقوة» (كو١ : ٢٩) «بحسب القوة التى تعمل فينا » (أف ٣ : ٢٠)... إنها قوة

الروح القدس .

★ ★ ★

■ **مادامت القوة من الله ، فنحن نطلبها بالصلاة ، ونناها بالإيمان ونعمة الله .**

الإنسان الروحى يقف أمام الله ضعيفاً ، يلتمس منه القوة يصلى قائلاً « اعطنى يا الله قوتك » « فأنا بدونك لا استطيع شيئاً » (يو١٥ : ٥) . و بالصلاة يمنحه الله قوة، مثل آخر صلاة صلاها شمشون ، واستجاب الرب له (قض ١٦ : ٢٨ ، ٣٠) .

والإيمان يمنح الإنسان قوة ، لأن كل شيء مستطاع للمؤمن (مر ٩ : ٢٣) .

حتى إن أدركه ضعف فى وقت ما ، فإن الإيمان يعيد إليه قوته . ألم يقل الرب « لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل » (مت ١٧ : ٢٠) ... وإن شعر الإنسان الروحى أن إيمانه قد ضعف ، يصرخ إلى الرب قائلاً أؤمن يارب : فأعن ضعف إيمانى .. (مر ٩ : ٢٤) . وهكذا نجد أن الإيمان والصلاة يعملان معاً فى جلب القوة للإنسان . و بالصلاة يصارع الله مع الإنسان ، ولا يتركه حتى ينال منه القوة . يصلى وهو مؤمن أن القوة ستأتيه ...

★ ★ ★

■ **و ينال الإنسان قوة بعمل الروح القدس فيه .**

وهكذا فإن الذى يشترك مع الروح القدس فى العمل ، لابد أن يكون قو ياً ... فإن وجدت نفسك ضعيفاً فى وقت ما ، راجع شركتك مع الروح القدس ... إن سبب فقد شمشون لقوته ، هو أن روح الرب فارقه (قض ١٦ : ٢٠) . تمسك إذن إلى أبعد حد ، بعمل الروح فيك . وهيىء نفسك بالنقاوة والقداسة ، حتى يكون هيكلك مستحقاً لسكنى روح الله فيك ... فتستمر قو ياً .

★ ★ ★

■ **والإنسان يحتفظ بقوته الروحية بثبات كلمة الله فيه .**

طالما تضع وصية الله أمامك ، وتحب كلمة الله وتخبئها فى قلبك ، وترددها بلسانك ، ستجد أن كلمة الله ستمنحك قوة، وتمنحك استحياء من الخطية ، لأن « كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين » (عب ٤ : ١٢) . وما أجمل

قول القديس يوحنا الرسول للشباب «كتبت إليكم أيها الأحداث، لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير» (١يو٢ : ١٤).

* * *

■ **وينال الإنسان قوة من الله، عن طريق الاتضاع.**

لأن «الرب يقاوم المستكبرين، أما المتواضعون فيمنحهم نعمة» (يع ٤ : ٦). المتكبر يظن أنه بقوته البشرية سينتصر، فيعتمد على قوته فيفشل. أما المتواضع، فإذ يشعر بضعفه، يعتمد على قوة الله، فيمنحه الله هذه القوة «ليكون فخر القوة لله، لا منا» (٢كو٤ : ٧).

أنظروا كيف قال الشياطين للقديس مقاريوس الكبير «بتواضعك وحده تغلبنا». وكيف قال القديس الأنبا أنطونيوس: أبصرت فخاخ الشيطان مبسوطة على الأرض كلها. فقلت يارب من يفلت منها؟ فقال: المتواضعون يفلتون منها...

إن المتواضعين الذين يقفون أمام الله كضعفاء، هم الذين قال عنهم الوحي الإلهي «اختار الله ضعفاء العالم، ليخزي بهم الأقوياء» (١كو١ : ٢٧) «لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه»...

المتواضع لا يخاف، لأن الله معه. ولكن متى يخاف الإنسان بحق؟ يخاف عندما يتعجرف قلبه، ويظن أنه قوي، وأنه قد ارتفع إلى السماء، وجلس على عرش الله، وأصبح الشيطان تحت قدميه!!

انظروا إلى قول القديس العظيم بولس الرسول «لأني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي» (٢كو١٢ : ١٠).

* * *

■ **الإنسان الروحي يصير أيضاً قوياً، بنقاوة القلب.**

فالقلب النقي هو حصن لا ينال، ومنه مخارج الحياة» (أم ٤ : ٢٣). والقلب النقي هو الذي ارتفع عن شهوات العالم. وفي هذا المجال، ما أجمل قول القديس أوغسطينوس «جلست على قمة العالم، حينما أحسست في نفسي أني لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً».. حقاً إن القلب الزاهد هو قلب قوي، لا توجد شهوة تغلبه، ولا يوجد شيء يخيفه.

وبهذا الزهد وعدم الخوف جاءت قوة الشهداء وقوة الرهبان .

تعرض الشهداء لكل الإغراءات والتهديدات ، ولكل ألوان التعذيب ، وبقوا صامدين فى قوة عجيبة ، لأنه لم تكن هناك أية شهوة فى قلوبهم تستجيب للإغراءات ، ولا أى خوف تزعجه التهديدات ، ولم يكن فيهم خوف الموت أيضاً . فاحتفظوا بقوتهم أمام كل الملوك والولاة والقضاة . كانوا أقوى من مضطهديهم .

كذلك الرهبان ، لأنهم تجردوا من الشهوات ، أمكنهم أن ينتصروا على العالم ، وكانوا أقوياء فى احتمال الوحدة وسكنى الجبال والبرارى ، بل وسكنى المقابر أيضاً . وكانوا أقوياء فى حروب الشياطين . وكانوا أقوياء أيضاً فى تأثيرهم الروحى على الآخرين . أمراء صاروا رهباناً ، لأنهم كانوا أقوى من شهوة الملك . القديس الأنبا أنطونيوس حاول الشياطين أن يخيفوه بكل المناظر المفزعة ، ولكنه كان أقوى منهم . وأمكنه أن يغلبهم باتضاعه وبإيمانه . والقديس مقاريوس لم يخف ، حينما بات فى مقبرة وقد أسند رأسه على جمجمة ، وتحدث الشياطين معها . ولكن قلبه كان قوياً بالإيمان لا يخاف ...

* * *

■ **هناك أيضاً أشخاص أقوياء بطبيعتهم .**

شاء الله أن يولدوا هكذا ، بقلب قوى ، وعقل قوى ، وشخصية قوية ... مثال ذلك شمشون ويوحنا المعمدان وايليا وداود .

ننتقل إلى نقطة أخرى وهى عناصر القوة :

عناصر القوة

١ ـ قوة الحب والبذل :

تحدث سفر النشيد عن قوة الحب فقال « المحبة قوية كالموت ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ، والسيول لا تغمرها » (نش ٨ : ٦ ، ٧) . وقال القديس بولس الرسول « المحبة لا تسقط أبداً » (١كو١٣ : ٨) .

هذه هى المحبة الحقيقية ، التى ليست بالكلام واللسان ، بل بالعمل والحق (١يو٣ : ١٨) . ولعل من أعمقها محبة الأم لرضيعها ، ومحبة داود ليوناثان (٢صم ١ :

٢٦) . بل محبته لابنه أبشالوم الذى خانه ، وكيف بكى عليه بمرارة لما سمع بموته (٢صم١٨ : ٣٣) .

وتظهر قوة المحبة فى البذل . وأقوى بذل هو بذل الذات .

ظهر هذا الأمر واضحاً فى سيرة الشهداء ، وكيف بذلوا كل شىء حتى الحياة ، من أجل محبتهم لله . وكذلك ظهرت قوة هذه المحبة فى حياة الآباء الرهبان والسواح ، الذين تركوا العالم وكل ما فيه . «وسكنوا الجبال والبرارى من أجل عِظَم محبتهم للملك المسيح » . كذلك محبة الآباء الرسل الذين من أجل محبتهم للرب وملكوته ، احتملوا الجلد والسجن والرجم والتشريد والموت أيضاً ... وقالوا للرب أيضاً « تركنا كل شىء وتبعناك » (مت ١٩ : ٢٧) . وفى ذلك يقول بولس الرسول أيضاً « خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح » (فى٣ : ٨) .

وقوة المحبة تظهر إن كانت من كل القلب .

وفى ذلك قال الكتاب « تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك » (تث ٦ : ٥) (مت ٢٢ : ٣٧) . وعبارة « كل » تعنى أنه لا توجد محبة أخرى تنافس محبة الله فى قلبك . وفى ذلك قال السيد الرب « من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى .. » (مت ١٠ : ٣٧) . بل من أحب حياته أكثر من الرب ، لا يستحقه . وفى ذلك قال « من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته لأجلى يجدها » (مت ١٠ : ٣٩) .

المحبة تقود إلى البذل ، وقوة البذل لها أسباب .

يوجد بذل سببه الحب كما قيل « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد » (يو٣ : ١٦) . وكما بذل الشهداء لأجل محبتهم للرب . وهناك قوة فى البذل سببها الطاعة ، كما رفع أبونا ابراهيم السكين ليبذل ابنه وحيده ذبيحة للرب . وتوجد قوة فى البذل سببها الزهد ، كآبائنا الرهبان .

* * *

■ **ننتقل إلى قوة الإيمان :**

قوة الإيمان تظهر فى أنه يصدق كل شىء . يؤمن أن الرب يمكن أن يشق طريقاً فى

البحر، وأن يفجر من الصخرة ماء، وأن يصنع المعجزات والعجائب... الإيمان الذى جعل بطرس يمشى على الماء (مت ١٤ : ٢٩). الإيمان بأن الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٤)... الإيمان الذى يجعلك تقدم الحياة لأجل الرب، وتقدم عشورك وأنت تدفع من أعوازك... الإيمان الذى يقول «إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً لأنك أنت معى» (مز ٢٣)... الإيمان بأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب» (رو ٨ : ٢٨)... الإيمان القوى بالأبدية الذى يجعل الإنسان يستعد لها بكل قوته...

* * *

■ **من عناصر القوة أيضاً قوة الصلاة :**

ولعل من أعمق صورها، ما قيل فى أيام الآباء الرسل «ولما صلوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس» (أع ٤ : ٣١). وأيضاً صلاة حنة أم صموئيل التى «صلت إلى الرب، وبكت بكاء، ونذرت نذراً... وأكثرت الصلاة، وكانت تتكلم فى قلبها، وصوتها لم يسمع... حتى أن عالى ظنها سكرى» (١صم ١ : ٩ - ١٣).

والصلاة القوية أيضاً : صلاة بإيمان، وبلجاجة، وبانسحاق، وحب، وخشوع. وهى صلاة بفهم وحرارة... يصليها الإنسان الروحى، وقلبه متصل تماماً بالله، ويشعر بوجوده فى حضرة الله..

وقد تكون صراعاً مع الله، كما قيل عن أبينا يعقوب أنه «جاهد مع الله والناس وغلب» وإنه بقى فى صراعه مع الله حتى مطلع الفجر، وأمسك بالله وقال له : لا أتركك حتى تباركنى (تك ٣٢ : ٢٤ - ٢٩).

* * *

■ **من عناصر القوة أيضاً : قوة التوبة.**

الإنسان الروحى إذا أخطأ وتاب، تظهر قوة توبته فى انسحاقه العميق، وندمه ودموعه، كما حدث مع داود النبى الذى قال «تعبت فى تنهدى. أعوّم فى كل ليلة سريرى، وبدموعى أبل فراشى» (مز ٦). وتوبة الإنسان الروحى تظهر قوتها فى

استمرارها، وعدم عودته مطلقاً إلى حياة الخطية . بل أكثر من هذا يظل ينمو فى الحياة الروحية سائراً نحو الكمال . ومن أمثلة ذلك توبة أوغسطينوس وموسى الأسود، ومريم القبطية وبيلاجية . توبة تحولوا بها من خطاة إلى قديسين .

* * *

■ قوة الإنسان الروحى تظهر فى انتصاره على المحاربات الروحية وعلى الإغراءات .

كما ظهرت قوة يوسف الصديق فى انتصاره العجيب على اغراءات زوجة فوطيفار (تك ٣٩ : ٩) . وقوله فى حزم عملى «كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله ؟!» .

الإنسان الروحى لا تظهر قوته فى انتصاره على غيره، إنما فى انتصاره على الخطية، مهما كانت الحروب شديدة، سواء من الشيطان، أو من الناس الأشرار، أو من أخوة كذبة (٢كو١١ : ٢٦) . أما الذى يضعف و يسقط، فينطبق عليه قول الكتاب «وزنت بالموازين، فوجدت ناقصاً» (دا٥ : ٢٧) .

* * *

الإنسان الروحى إذا أخطأ، له القوة على الاعتراف بخطئه .

كثيرون يجدون صعوبة بالغة فى الاعتراف بأخطائهم ... أما القديس أوغسطينوس، فقد نشر اعترافاته فى كتاب قرأه كل أهل جيله . وما تلته من أجيال ... والإنسان الروحى أيضاً، إذا أحسّ أنه أساء إلى أحد، تكون له القوة على الاعتذار إليه والاعتراف بإساءته، دون محاولة للتبرير أو المجادلة ...

وإذا أحسّ أن رأيه مخطىء، يكون قادراً بسهولة أن يتنازل عن رأيه، بغير عناد كما يفعل البعض ...

* * *

■ القوة فى ضبط النفس :

الإنسان الروحى قوى من الداخل . يستطيع أن يضبط نفسه، كما قال الكتاب «مالك نفسه خير ممن يملك مدينة» (أم١٦ : ٢٢) . فهو يضبط افكاره فلا تسرح فيما

لا يليق، متبعاً قول الرسول «مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠: ٥). يضبط أيضاً حواسه، فلا يخطىء بالنظر ولا بالسمع ولا باللمس. كذلك يضبط مشاعر قلبه وعواطفه. ويضبط لسانه أيضاً، فلا تخرج من فمه كلمة خاطئة، ولا كلمة زائدة. وفي ذلك قال القديس يعقوب الرسول «إن كان أحد لا يعثر في الكلام، فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً» (يع٣: ٢) هنا القوة الداخلية في ضبط النفس، وضبط الفكر والحواس والمشاعر، وضبط اللسان أيضاً.

الإنسان الروحي يضبط أيضاً غرائزه وانفعالاته، ويرتفع فوق مستوى الإثارة...

الإثارة الخارجية لا تثيره من الداخل، بل يكون أقوى منها. لا ينفعل مثلاً إذا تعرض لإساءة ما، ولا يقاوم الشر بالشر (رو١٢: ١٧). ولا يرد على الكلمة الخاطئة بمثلها. لا يغلبه الشر، بل يغلب الشر بالخير (رو١٢: ٢١). ويستطيع أن يسيطر على الغضب. ويكون قوياً في أعصابه، لا تفلت منه.

* * *

■ **الإنسان الروحي يتميز بقوة الاحتمال:**

يستطيع أن يحتمل الشدائد والضيقات. وإن أصابته تجربة، لا تهزه من الداخل، بل يصمد. ويمكنه أن يحتملها، كما فعل أيوب الصديق. كما يحتمل أيضاً أخطاء الآخرين. إن المخطىء هو الضعيف الذي لم يضبط نفسه. والمحتمل هو القوي. لأجل هذا قال الرسول «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء، ولا نرضي أنفسنا» (رو١٥: ١)... الشخص القوي من الداخل، يستطيع أن يغفر للمسيء أي له القدرة ـ ليس فقط على الاحتمال ـ بل على المغفرة، وعلى الإحسان إلى المسيئين (مت٥: ٤٤).

الإنسان الضعيف يحتاج إلى من يحتمله. أما القوي فيحتمل غيره، يحتمل طباعه السيئة وأخطاءه، وألفاظه وتصرفاته... هنا تظهر القوة الروحية، في القدرة على تحويل الخد الآخر، ومشي الميل الثاني، والصبر على كل شيء...

* * *

■ الإنسان الروحي يتميز بقوة الشخصية :

إنه إنسان قوى فى عقله ، فى فهمه ، فى قدرته على الاستيعاب وعلى الاستنتاج ، قوى فى ذاكرته ، فى سرعة بديهته ، فى حكمته وحسن تصرفه . هو أيضاً قوى الإرادة ، قوى العزيمة ، قوى فى حكمة تصرفه ، وحسن إدارته للأمور . وقوى أيضاً فى أنه لا يهتز أمام أى تهديد أو تخويف . ينطبق عليه قول الكتاب «من أنت أيها الجبل العظيم ؟! أمام زربابل تصير سهلاً » (زك ٤ : ٧) .

تظهر قوته أيضاً فى كل عمل يعمله ، وكل مسئولية يحملها .

هو إنسان قادر على تحمل المسئوليات ، مهما بدت كبيرة أو خطيرة ، ويقوم بعمله بكل جدية ، وبكل أمانة ودقة والتزام ، ويأتى بالنتائج المرجوة فى انجاز سليم . وهو أيضاً حازم ، ولا يتردد . ومهما حدثت من عوائق ، لا يقلق ولا يضطرب ولا يخاف ... بل يقف كالجبل الراسخ ، واثقاً بأن كل مشكلة لها حل . وواثقاً بالله الذى يعمل معه ويعمل به ...

له تأثير فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ربما يمتد إلى أجيال .

إن الروحيين الأقوياء لا يتأثرون بأخطاء البيئة التى يعيشون فيها «ولا يشاكلون أهل هذا الدهر» (رو١٢ : ٢) . بل لهم القدرة على التأثير فى المجتمع ، فى فكره واتجاهه وروحياته ، كما فعل الآباء الأول ، حتى ليقال : عصر أثناسيوس ، عصر أنطونيوس... يؤثرون بقدوتهم ، أو بكتاباتهم التى يمتد تأثيرها إلى أجيال وأجيال ... ننتقل إلى نقطة أخرى وهى :

★ ★ ★

■ القوة فى الكلمة والخدمة والكرازة :

الإنسان الروحى ، كل كلمة تخرج من فمه تكون قوية وفعالة ، ولا ترجع فارغة ، بل تعمل عمل الرب (أش ٥٥ : ١١) . كلماته قوية فى تأثيرها على الآخرين ، وخدمته ملتهبة ومثمرة . بولس الرسول ، وهو أسير فى سلاسل أمام فيلكس الوالى ، حينما تحدث عن البر والدينونة والتعفف ، ارتعب فيلكس (أع ٢٤ : ٢٥) . ولما تحدث أمام أغريباس الملك ، قال له أغريباس «بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » (أع ٢٦ :

٢٨) . و يعوزنا الوقت إن تحدثنا عن خدمة القديس بولس فى قوتها وانتشارها . وكذلك قوة الخدمة فى أيام الآباء الرسل...

فى قوة خدمة الآباء ، وقفت المسيحية العزلاء أمام الامبراطورية الرومانية بكل سلطتها وقسوتها .

وأمام اليهود بكل دسائسهم ومؤامرتهم . ووقفت أمام فلسفات العصر . وبعظة واحدة من القديس بطرس إنضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف ، نالوا نعمة العماد فى نفس اليوم (أع ٢ : ٤١) . إنها قوة الروح القدس العاملة فى الكلمة .

وبقوة خدمة الآباء « كان الرب فى كل يوم يضم للكنيسة الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٧) « وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً .. » (أع ٦ : ٧) « والكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة ، كان لها سلام، وكانت تبنى، وتسير فى خوف الرب . وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع ٩ : ٣١) .

وعن قوة الخدمة والخدام ، قال بولس الرسول « كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب » (١كو١٥ : ٥٨) .

★ ★ ★

الإنسان الروحى قوى فى خدمته ، قوى فى عظاته ، قوى فى المبادىء الروحية التى ينادى بها ، قوى فى تأثيره الروحى ، قوى فى ثماره ، حسب عمل الله الذى يعمل فيه بقوة (كو١ : ٢٩) . إنه قوى فى شهادته للرب ، يقول مع داود النبى « تكلمت بشهاداتك قدام الملوك ولم أخزَ» (مز١١٩) .



أنواع الضعف
أسبابها وعلاجها

تحدثنا كثيراً عن القوة ، وعن أن الإنسان الروحي ينبغي أن يتصف بالقوة... ومع ذلك لا ننكر أن هناك ضعفات .

حتى أن بعض الروحيين- على الرغم من قوتهم العامة- توجد فى حياتهم ضعفات ...

رأينا هذا فى حياة إيليا النبي العظيم (امل ١٩) ، وفى حياة داود النبي والملك (١صم ٢٥) ، (٢صم ١١) . وأيضاً رأينا هذا الضعف فى حياة شمشون الجبار (قض ١٦) ، وفى حياة سليمان الحكيم (١مل ١١) ، وفى حياة بطرس الرسول (مت ٢٦) ، (غل ٢ : ١١) ... وغير هؤلاء كثيرون .

ما هى إذن أنواع الضعف ؟ وكيف نتخلص منه ؟ وما هى نظرتنا إلى الضعفاء ، وما أسلوب معاملتنا لهم ؟

أنواع من الضعف

١ ـ قد يوجد عند إنسان ضعف ، لا ذنب له فيه .

مثال ذلك ضعف وصل إليه عن طريق الوراثة ، سواء فى جسده ، أو فى قواه العقلية .

وُلد بصحة ضعيفة ، أو فى مستوى اجتماعى ضعيف ، أو شاء الله له هذا ، كما قال عن المولود أعمى «لا هذا أخطأ ولا أبواه ، ولكن لتظهر أعمال الله فيه» (يو٩ : ٣).

ضعف الجسد قد يقاسى الإنسان الروحى منه أيضاً . وعن ذلك قال الرب لتلاميذه فى بستان جثسيمانى «أما الروح فنشيط . وأما الجسد فضعيف» (مت ٢٦ : ٤١). وقد يقف ضعف الجسد عائقاً أمام بعض الممارسات الروحية . وعلى الإنسان الروحى ألا يتضايق من هذا ، وإنما يعمل ما يستطيعه على قدر ما يحتمل جسده . المهم أن تكون روحه قوية وصالحة ...

* * *

٢ ـ وقد يوجد إنسان أعصابه ضعيفة :

وهو من هذه الناحية ضعيف الاحتمال ، يثور و يغضب بسرعة ، ويحتاج إلى إنسان قوى ليحتمله ... كما قال الرسول «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء» (رو١٥ : ١). إذن الإنسان القوى هو الذى يستطيع أن يحتمل . أما الغضوب الذى يخطىء إلى غيره فى غضبه ، فهو الضعيف ...

على أن هذا الغضوب يلزمه أن يعالج الضعف الذى فيه ، أعنى الغضب .

وذلك بأن يبعد عن أسباب الغضب ، وعن المجاملات التى تجعله يقع فى النرفزة . يمارس تداريب روحية فى البعد عن الغضب . يقوى أعصابه من الناحية الجسدية . يتأنى فى تصرفاته وفى ثورته ، و يفكر فى النتائج السيئة للغضب ، قبل أن يغضب ... يقرأ كثيراً عن الودعاء والهادئين . ولا يترك نفسه إلى هذا الضعف . وليس مقبولاً منه أن يقول «طبعى هكذا» ! فالمفروض أن ينتصر على طبعه .

* * *

٣ ـ هناك نوع آخر من الناس ضعيف فى إرادته .

ضعيف فى تنفيذ ما يريده من الخير، كما يقول الرسول بلسان هذا النوع «لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده ، إياه أفعل» «حينما أريد أن أفعل الحسنى ، أجد أن الشر حاضر عندى» (رو٧ : ١٩ ، ٢١) ...

أو قد يكون هذا الإنسان ، من طبعه التردد . فإرادته لا تستطيع أن تقرر ما ينبغى

أن يفعله . وإن قرر شيئاً ، لا يستطيع أن يثبت ، وتراوده أفكار أخرى .

على أن هناك تداريب كثيرة لتقوية الإرادة . ومنها أن يستشير أباً روحياً موثوقاً به ، وينفذ ولا يبطىء . ومنها تقوية الإرادة عن طريق الصوم ، وعن طريق التغصب ، وعن طريق الفهم السليم والاقتناع القوى . وإن كان خاضعاً لعادة تسيطر عليه ، يقاومها بكل قوته ولا يستسلم لها ، لأن هذا الاستسلام يزيده ضعفاً على ضعف ...

* * *

٤ ـ إنسان آخر يتعبه ضعف إيمانه :

له إيمان نظرى . ولكن هذا الإيمان من الناحية العملية يضعف . وإن تعرض لمشكلة ينهار أمامها ويخاف . ويدل خوفه على ضعف إيمانه فى الله الذى يحفظه ويحميه . بينما الإنسان القوى لا يضعف مطلقاً ، ولا ينهار ولا يخاف أمام المشاكل . لقد خاف بنو إسرائيل أمام البحر الأحمر بسبب ضعف إيمانهم . أما موسى النبى فلم يخف ، بل كان إيمانه قوياً ، وأدخل القوة فى نفوس هؤلاء الضعفاء الخائفين . وقال لهم « لا تخافوا . **قفوا** وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم ... الرب يقاتل عنكم ، وأنتم **تصمتون** » (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

لذلك ، حاول أن تقوى إيمانك ...

إقرأ كثيراً عن الأشخاص الذين لهم إيمان قوى ... واقرأ عن تدخل الله فى مشاكل ومتاعب أولاده ، وعن آياته ومعجزاته . وإن طلبت من الله طلباً ، لا يضعف إيمانك إن تأخرت استجابة صلاتك . بل ثق أن الله لابد سيعمل ، ولابد سيأتى لانقاذك ولو فى الهزيع الأخير من الليل .

فى إحدى المرات ضعف إيمان بطرس الرسول ، وهو يمشى مع الرب فوق البحر ، لأنه نظر إلى الأمواج الشديدة ، ولم ينظر إلى الرب ، فخاف وصرخ . فانقذه الرب ووبخه بقوله « يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟ » (مت ١٤ : ٣١) . وإن ضعف إيمانك ، اصرخ إلى الرب مع ذلك الإنسان الذى قال :

« أؤمن يارب ، فأعن عدم إيمانى » (مر ٩ : ٢٤) .

* * *

٥ ـ نوع آخر من الضعف هو ضعف النفسية .

ربما يوجد إنسان نفسيته ضعيفة ، من النوع الذى يسميه الكتاب «صغار النفوس»... يمكن أن يقلق بسرعة ويضطرب وينهار، ويشك. إنه لا يستطيع أن يحتمل، ويحتاج باستمرار إلى من يسنده. وقد يكون كبيراً فى السن، ولكن له نفسية الصغار. فما هو موقفنا من امثال هذا النوع الضعيف ؟

موقفنا من الضعفاء

إن كنت أنت ضعيفاً ، فلا تيأس من ضعفك .

وإن رأيت شخصاً ضعيفاً ، فلا تحتقر ضعفه ، هوذا الرسول يقول :

« شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء . تأنوا على الجميع » (١تس ٥ : ١٤) .

افتحوا طاقة من رجاء ، لتضىء على الذين يسيرون فى الظلمة خائفين ومضطربين . حدثوهم عن الرجاء وعن عمل الروح القدس ، وكيف أن الله يتدخل ولو فى آخر لحظة . إحكوا لهم قصص الذين سقطوا وقاموا ، وصاروا من المنتصرين الغالبين .

الإنسان الروحى القوى ، لا يفتخر على الضعيف ولا يستصغره ، ولا يشهر به ، بل على العكس يقويه ، يمنحه من القوة التى فيه، التى أعطاه الرب إياها . يسند الضعفاء الذين سقطوا، ويعطيهم رجاء فى التوبة... ويذكرهم بأن «الصديق يسقط فى اليوم سبع مرات ويقوم» (أم ٢٤ : ١٦) .

* * *

إن الله نفسه يسند الضعفاء ، الذين كالأطفال . ويقول المزمور :

« حافظ الأطفال هو الرب » (مز ١١٦ : ٦) .

وفى بعض الترجمات يقال « يحفظ البسطاء » ... مهما كانوا صغار النفوس .

لقد قال الرب عن الزرع الذى يعطى ثمراً ثلاثين وستين ومائة ، إنه زرع جيد (مت ١٣ : ٢٣) . ونحن قد نعتبر أن الجيد هو الذى يعطى مائة ، وبالتجاوز الذى يعطى

ستين. ولكن حنان الله على الضعفاء، اعتبر أن الذى يعطى ثلاثين فقط، هو أيضاً زرع جيد. يكفى أنه يعطى ثمراً...

حقاً إنه إله الضعفاء، وإله المساكين.

كان يزور العشارين والخطاة، ويحضر ولائمهم، ولم يحتقرهم مثلما احتقرهم الكتبة والفريسيون. بل دعا واحداً منهم هو متى وجعله رسولاً من الاثنى عشر. ودخل بيت زكا، وقال: اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن لابراهيم (لو١٩: ٩). وبعد القيامة ظهر أولاً لمريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين (مر١٦: ٩).

إن الله لم يقف ضد الضعفاء، بل ضد المتكبرين.

لذلك يقول الكتاب إن «الله يقاوم المستكبرين» (يع ٤: ٦). إنه هو «المقيم المسكين من التراب، والرافع البائس من المزبلة ليجلس مع رؤساء شعبه» (مز١١٢). بل إن الرب يقول «إلى هذا أنظر إلى المسكين، والمنسحق الروح، والمرتعد من كلامى» (اش٦٦: ٢)...

* * *

حقاً إن كل إنسان معرض للضعف.

وقد حكى لنا الكتاب سقطات للقديسين، وضعفات للرسل والأنبياء. فالذى يحتقر سقطة الضعيف، ما اسهل أن تقوى عليه حروب العدو فيسقط. وما أعمق نصيحة القديس بولس الرسول فى قوله «اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد.» (عب١٣: ٣).

الإنسان الروحى لا يدين أخاه الضعيف، بل يصلى لأجله.

يشفق عليه، ويطلب له من الرب معونة. ويعرف أنه ليس كل إنسان يصل إلى المستويات الروحية العالية. وليس الكل قد نالوا دفعة كبيرة من النعمة. والمواهب ليست واحدة، «ونجم يمتاز عن نجم فى المجد» (١كو١٥: ٤١).

معالجة الضعف

بعض نصائح نقولها للإنسان الضعيف الشاعر بضعفه :

١ ـ ابعد عن مجال الخطية التى تضعف ارادتك .

ابعد عن العثرات ، وعن كل الأسباب التى تقودك إلى الخطية ، والتى لا تقوى على مقاومتها . ابعد عن كل تأثير سيء . ولا تضع فى نفسك أنك أقوى من المحاربات . فقد قيل عن الخطية إنها « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) . مادمت ضعيفاً ، اعترف بضعفك ، وابحث عن السبب ، وتجنبه ...

ونصيحة الابتعاد عن أسباب الخطية ، تضعها لك الكنيسة فى أول صلاة باكر ، إذ تتلو المزمور الأول : « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس » .

★ ★ ★

٢ ـ اطلب القوة من الله . واجعل ضعفاتك مجالاً لصلواتك .

وكما قال المرتل فى المزمور « قوتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً » (مز ١١٧) . وقال أيضاً « لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا ، لابتلعونا ونحن أحياء ... » (مز ١٢٣) . « إن لم يحرس الرب المدينة ، فباطلاً سهر الحارس » (مز ١٢٦) . ويقول بولس الرسول « الجميع تركونى ... ولكن الرب وقف معى وقوانى » (٢تى ٤ : ١٦ ، ١٧) . اطلب إذن قوة من فوق . وقل « معونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض » (مز ١٢٠) .

عمّق صلاتك . فما أكثر الضعفاء الذين نالوا قوة بالصلاة ، وانتصروا وغنوا قائلين « الحرب للرب » (١صم ١٧ : ٤٧) ، « وليس لدى الرب مانع أن يخلص بالكثير أو بالقليل » (١صم ١٤ : ٦) .

★ ★ ★

٣ ـ مهما كنت ضعيفاً ، لا تيأس .

لا تفقد الأمل مطلقاً . لأن اليأس يحطم النفس ، ويجعلك تستسلم ليد العدو ،

وتستمر فى الخطأ. كأن لا فائدة من الجهاد !! ضع أمامك أمثلة كانت أسوأ من حالتك، وخلصها الرب من خطاياها. وشجع نفسك وقل: إن الله الذى خلّص موسى الأسود، ومريم القبطية، وأوغسطينوس، ومريم المجدلية... لابد سيخلصنى أنا أيضاً...

ولكن ليس معنى هذا، أن تركن إلى ضعفك وتستمر فيه، معتمداً على معونة إلهية لابد ستصلك !! وإنما جاهد.

* * *

٤ ـ جاهد بكل ما عندك من قوة، مهما كانت ضئيلة.

واستمع إلى قول بولس الرسول وهو يوبخ العبرانيين قائلاً «لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢ : ٤). كل ما كان يملكه داود من سلاح، هو مجرد حصاة وضعها فى مقلاعه، وتقدم إلى الصف، والرب هزم به جليات الجبار (١صم١٧ : ٤٨، ٤٩).

إن جهادك ـ مهما كنت ضعيفاً ـ يدل على رفضك للخطية، ورغبتك فى التخلص منها. وهو فى حد ذاته طلب إلى النعمة أن تتقدم.

* * *

٥ ـ ركّز على مقاومة الخطايا الثابتة المتكررة.

لأنها هى نقط الضعف التى فيك. هذه التى تكررها فى كل اعتراف، وتشكو منها باستمرار. ركز على هذه بالذات، بتداريب مستمرة لمقاومتها، وبأن تغصب نفسك على ذاتك، بل وتعاقب نفسك فى كل سقوط، وتوبخها. طالباً معونة الرب.

* * *

٦ ـ تجديد الذهن، للوصول إلى فهم سليم.

يقول القديس بولس الرسول «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢ : ٢). وهذا يعنى أن تتغير نظرتك إلى الأمور التى تخطىء فيها، بتجديد ذهنك. فكثيرون يسقطون بسبب فهم خاطىء لمعنى القوة، أو لمعنى الكرامة، أو بسبب فهم خاطىء لمعنى الحرية... إلخ. هؤلاء جميعاً يحتاجون إلى تجديد الذهن. يحتاجون إلى فهم سليم لحقيقة القوة والكرامة والحرية. وهذا الفهم الجديد والاقتناع به، يحفظهم من السقوط.

٧ ـ يزول ضعفك ، إذا دخلت محبة الله فى قلبك :

أنت تضعف أمام الخطية ، إذا كنت تحب الخطية أكثر مما تحب الله ووصاياه . فإن دخلت محبة الله إلى قلبك ، ستطرد محبة الخطايا من داخلك ، وهكذا تصبح قوياً فى مقاومة كل إغراء ... وصدق ذلك القديس الذى قال إن التوبة هى استبدال شهوة بشهوة ، أى أن شهوة الروح تحل محل شهوة الجسد . ومحبة الله تحل محل محبة العالم ...

اسلك إذن فى كل الوسائط الروحية التى توصلك إلى محبة الله . وعاشر الذين يحبونه ، واقرأ عن الذين أحبوه ، وتمثل بهم .

٨ ـ تذكر أن ضعفاء كثيرين ، صاروا أقوياء وقديسين .

بطرس الرسول الذى خاف وضعف أمام جارية ، وانكر المسيح (مت ٢٦ : ٦٩-٧٥) . هو نفسه الذى وقف فى قوة أمام رئيس كهنة اليهود ، وقال له « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢٩) . وقال للرؤساء والشيوخ والكهنة « إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله ، فاحكموا !! لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا » (أع ٤ : ١٩ : ٢٠) .

وموسى الأسود الذى كان فى بداية رهبنته لا يستطيع مقاومة الأفكار ، وقد ذهب إلى أب اعترافه ١١ مرة فى ليلة واحدة ... هو الذى صار القس موسى المرشد الروحى لرهبان كثيرين ...

٩ ـ كلما ضعفت ، تذكر نعمة الله العاملة ...

النعمة القادرة أن تقويك ... لذلك تذكر قول القديس بولس الرسول « ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً » (رو ٥ : ٢٠) ... تزداد النعمة لتحميك من الخطية ... وتذكر أيضاً قول الرسول « لأنى حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى » (٢كو ١٢ : ١٠) ... ضعيف بذاتى ، ولكن قوى بنعمة الله العاملة معى ... التى تقوينى .

١٠ ـ اعلم أن الله دائماً مع الضعفاء ...

لقد اختار ضعفاء العالم ، ليخزى بهم الأقوياء (١كو ١ : ٢٧) ... فى هؤلاء تظهر قوته . ولذلك أتذكر أننى كتبت مرة فى مذكراتى « قال الشيطان لله : اترك لى يارب الأقوياء ، فإننى كفيل بهم . أما الضعفاء فلا أقدر عليهم . إذ فى شعورهم بضعفهم يلجأون إليك ، ويحاربوننى بقوتك ... » .







الإنسان الروحي :

لا يعتمد
على ذراع البشر

كما بالغ البعض فى أهمية النعمة، حتى أهملوا جانب الجهاد والعمل، كذلك بالغ البعض فى أهمية العمل والجهاد، حتى تجاهلوا أهمية يد الله فى حياتهم! واعتمدوا فى روحياتهم على ذراعهم البشرى.

أما الإنسان الروحى فيؤمن فى أعماقه بخطورة الاعتماد على ذراعه البشرى. إنه يبذل كل جهده، ولكنه لا يعتمد على جهده، بل على عمل الله فيه. وكما قال المرتل فى المزمور:

إن لم يبن الرب البيت، فباطلاً تعب البناؤون وإن لم يحرس الرب المدينة، فباطل هو سهر الحراس.

* * *

حقاً إن كل عمل يعمله الإنسان وحده، دون أن يشترك الله فيه، لابد سيكون مصيره إلى المجد الباطل وافتخار الذات. أما العمل الذى تشعر أن الله هو الذى عمل فيك، وهو بنعمته قد منحك القوة لاتمامه، وأنك كنت مجرد أداة فى يديه الإلهيتين... فإن هذا العمل هو الذى يكون لتمجيد الله وتسبيحه وشكره.

وتختفى الذات فى هذا العمل الإلهى، ويظهر الله وحده ...

لذلك عليك أن تدخل الله فى عملك، لأنه يقول «بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً». إياك أن تعمل وحدك، وبدون الله! وإلا فإنك ستنسب النجاح إلى عزيمتك، وإلى قوة إرادتك، وإلى ذكائك ومقدرتك، وإلى برك وتقواك وشدة مقاومتك للخطية، وإلى نجاحك فى تداريبك... وهكذا تتركز حول ذاتك ويختفى الله!!

* * *

لاشك أن هناك أعمالاً يعملها الله كلها، دون أى تدخل للعامل البشرى فيها، وسنضرب لذلك أمثلة:

+ معجزات اقامة الموتى: واضح فيها أن الميت لم يقم ذاته، وإنما الرب قد أقامه،

لا دخل للقوة البشرية هنا . وأنت أيضاً ميت بالخطية ، وقد أقامك المسيح .. ومثال آخر الامراض المستعصية التى كانت ترمز للخطية، مثل مرض الأ برص ، وصاحب اليد اليابسة ، والمفلوج ، والأشل ، والمقعد ، والأعمى . كلهم قد شفاهم الرب بغير ذراعهم البشرى . لذلك فالإنسان الروحي يقول :

« اعتبرنى يارب مثل هذا الميت ، الذى لا يقدر على إقامة نفسه ، ومثل الأ برص الذى لا يستطيع تطهير ذاته » .

أنت يارب الذى تقدر أن تقيم الميت ، وتشفى الأ برص .

أنت يارب قد عملت مع كثيرين كانوا فاقدى القدرة ، ولم يقووا على تخليص نفوسهم ، وأنت قد خلصتهم . مثال ذلك أبونا أسحق ... لقد وضع على الحطب فوق المذبح ، وأعدت النار ، وارتفعت السكين فوقه . ولكنك أنت الذى تدخلت فى اللحظة الحاسمة ، وأنقذت اسحق .

* * *

الإنسان الروحي يذكر أيضاً مثال العاقر . التى لم تستطع من ذاتها أن تنجب ولكنها بنعمة الله صارت مثمرة أكثر من الجميع (أش ٥٤) . و يقول للرب :

أنت الذى فتحت رحمها المغلق ، وقلت لها فى رفق «ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد ... لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار . و يرث نسلك معاً ، و يعمر مدناً خربة ... لحيظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك» (اش ٥٤) .

نعم إن نفسك قد تكون عاقراً ، لم تنجب من ذاتها فضيلة واحدة . ولكنها بالروح القدس سيكون لها بنون كثيرون ، و يبارك الله بنيها فيها .

ولكنها بدون روح الرب ، لن تنجب ، لن تثمر . إن « البنين ميراث من الرب » كما قال الكتاب . وهو وحده الذى يستطيع أن يفتح رحم العاقر ، كما فعل مع سارة ، ورفقة وراحيل وحنة واليصابات .

اعتبر نفسك مثل «الميت الذى لايقدر على القيامة من ذاته ، وكالأ برص الذى يحتاج إلى الرب لتطهيره ، وكالعاقر التى من ذاتها لا تلد ، بل الرب يفتح رحمها ، فاطلب الرب إذن من كل قلبك .

* * *

انظر إلى شمشون ، فى اعتماده على قوته ، واعتماده على الرب ...

ما مصير قوته البشرية الجبارة ، التى استطاعت أن تخلع باب المدينة ، وتقتل الأسد ، وتخيف الناس... لقد انتهى بها الأمر إلى الضياع . فقبض الأعداء على شمشون ، وفقأوا عينيه ، جعلوه يجر الطاحون كالحيوان . ولكنه أخيراً عندما قال « يا سيدى الرب ، اذكرنى ، وشددنى هذه المرة فقط ، فأنتقم نقمة واحدة عن عينى » (قض ١٦ : ٢٨) ، عندئذ أعطاه الرب قوة ، فكان الذين أماتهم فى تلك المرة ، أكثر من الذين أماتهم طول حياته ... لأن يد الرب عملت معه .

★ ★ ★

اطلب إذن تدخل الرب فى حياتك . ولكن ليس معنى هذا أن تنام وتكسل ، وتطلب الرب . ولكن جاهد بكل قدرتك ، دون أن تعتمد على هذه القدرة وحدها ، لأنها بدون الرب لا تستطيع شيئاً ...

اعمل . ولكن لا تعمل وحدك . لا تعتمد على ذراعك البشرى ، وعلى قوتك وذكائك وتقواك . اعرف أنك بدون الله لا يمكن أن تنجح . وإن نجحت ، يكون نجاحك فشلاً ، لأنه سيصير طعاماً للذاتية والمجد الباطل .

★ ★ ★

+ تعجبنى عبارة قالها بطرس الرسول ، عندما شفى الله على يديه الرجل المقعد عند باب الهيكل ، والتف الناس مندهشين حول بطرس و يوحنا ، حينئذ قال لهم بطرس :

« ما بالكم تتعجبون من هذا ؟ ولماذا تشخصون إلينا ، كأننا بقوتنا أو بتقوانا جعلنا هذا يمشى ؟ إن إله ابراهيم واسحق ويعقوب ، إله آبائنا مجد فتاه يسوع ...» (أع ٣ : ١٢) .

+ لقد قال بطرس هذا الكلام ، لأنه جرب الذراع البشرى من قبل ، ولم ينتفع شيئاً : على الأقل فى حادثتين هامتين :

الأولى فى صيد السمك : لقد سهر الليل كله ، بكل ما عنده من فن فى الصيد ، ومن خبرة وقدرة . وكانت نتيجة ذلك قوله للرب :

تعبنا الليل كله ، ولم نصطد شيئاً » .

ولكنه ، عندما دخل الرب فى سفينته ، وعندما أرشده أين يلقى الشبكة وألقاها حسب مشيئته فى الأعماق ، حينئذ أتت بصيد كثير ، حتى كادت تتخرق .

والخبرة الثانية التى اختبرها بطرس كانت فى حادثة انكاره للمسيح . لقد اعتمد على ذاته كثيراً ، وعلى محبته للرب ، وعلى تصميماته : قال للرب : لو أنكرك الجميع ، فأنا لا أنكرك ... ولو أدى الأمر أن أموت معك ...

ولكن بطرس المعتمد على ذاته ، أنكر المسيح أمام جارية ...

لم تنفعه نيته الطيبة ولا عزيمته ، ولا مجرد محبته ، ولا تصميماته ، ولا حماسته التى قطع بها اذن العبد ...

ليته حول تصميماته إلى صلاة . ليته قال : اعطنى يارب انا الضعيف قوة لكى لا أنكرك ، قوة استطيع بها - إذا ما غربلنى الشيطان - أن أصمد ...

* * *

كثيرون يجاهدون بمفردهم ، يتعبون ، ويفكرون ، ويدبرون ، ويخططون لحياتهم الروحية ، دون أن يعنوا بادخال الرب معهم .

سأضرب لكم أمثلة أراد الله بها اثبات فشل الذات فى كافة مواهبها ونواحى قوتها .

شمشون الذى فقئت عيناه وهو مثال لفشل الذراع البشرى فى القوة ، وسليمان الذى بخر للأصنام مثال لفشل الذراع البشرى فى الحكمة ، وداود الذى زنى وقتل مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من كثرة مواهبه . وبطرس الرسول فى إنكاره للسيد المسيح مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من حماسه وغيرته واخلاصه . وبطرس الذى سهر الليل كله ولم يصطد شيئاً مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من خبرته وفنه .

* * *

لذلك إذ عرفت فشل الذراع البشرى ، فى كل قوته ، وحكمته ، ومواهبه ، وحماسه وغيرته ، وفنه وخبرته ... إن عرفت هذا ، لا تعش مستقلاً عن الله ، ولا تجاهد بغير معونته .

ادخل الله معك فى الصغيرة والكبيرة ...

كثيرون يطلبون الله فقط فى الأمور الخطيرة ، أما الأمور الصغيرة فيثقون بقوتهم فيها ، وفيها يفشلون و يسقطون . لهذا يهتم الشيطان بهذه الأمور الصغيرة و يركز عليها ليسقطهم بها .

ولذلك يحذر القديسون من شيطان يسمى « شيطان الأمور الصغيرة » .

من أجل هذا قال النشيد « خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم». أما أنت فادخل الرب حتى فى الصغائر. لا تثق بقوتك، مهما بدا لك الأمر تافهاً.

كثير من القديسين سقطوا فى خطايا ظنوها « خطايا المبتدئين ». أما أنت فلا تحتقر خطية معينة، ولا تظن أن هناك خطية تافهة لا تحتاج إلى معونة من الرب. اطلب الرب باستمرار ليعمل معك فى كل أمر، صعباً كان أم سهلاً.

لا تقل هذا الأمر سهل، اعمله بنفسى. وذاك أمر صعب، احتاج فيه إلى معونة إلهية، فالأمر السهل هو الذى يقف فيه الله معك، وإلا صار صعباً. والأمر الصعب هو الذى تعمله وحدك بدون الله مهما بدا سهلاً.

* * *

تعجبنى قصة خيالية قيلت عن فلك نوح. كان فيه ثمانية أفراد: نوح وزوجته، وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاث ... ولكن ...

قيل أن هناك تاسعاً كان فى الفلك، وكان يدير دفته ... ولولاه ما خلص الفلك. هذا التاسع هو الله. نعم، هل يعقل أن يكون نوح قد دخل الفلك دون أن يدخل الله معه؟!

لاشك أن العناية الإلهية هى التى تقودنا. بدونها لا يمكن لذراعنا البشرى أن يعمل... نحن نغرس، ونسقى. ولكن الله هو الذى ينمى. **إذن ليس الغارس شيئاً، ولا الساقى، بل الله الذى ينمى.» (١كو٣: ٧).**

لوط لو لم ينقذه الملاكان، لهلك فى سدوم ... لقد امسكا بيديه، وكانا يدفعانه عندما يتوانى، و يعجلان بخروجه...

دانيال لو لم يرسل الله ملاكه ليسد أفواه الأسود، لضاع فى الجب. ولولا ملاك الله لبقى بطرس فى السجن.

* * *

لذلك لا تركز تفكيرك فى ذاتك، وفى مواهبك وقدرتك وفهمك، وفى إرادتك وعزيمتك وتدابيرك، وخبرتك وطهارتك. خف جداً لئلا تكون معتمداً على ذراع بشرى ...

جاهد ، ولكن ليس بمفردك .. واعمل ، ولا تعتمد على عملك . وفكر ، ولكن «على فهمك لا تعتمد» . انظر إلى لمبات الكهرباء : قد تكون قوية وجميلة ، ومن أجود الأصناف ، وكذلك أسلاكها جيدة ، وتوصيلاتها سليمة . ولكن إن لم يسر فيها التيار ، فلن تضيء ، كذلك أنت ...

هناك آية أحب أن تضعها أمامك باستمرار ، كشعار وهي :

« إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناؤون . وإن لم يحرس الرب المدينة ، فباطلاً سهر الحارس » (مز ١٢٧ : ١) .

صحيح يجب أن تعمل مع الله . هو يبني . وأنت تناوله الطوب والحجارة والمونة ، أو أنت تكون حجراً صالحاً في يديه . ولكن لا تظن أنك أنت الذي تبني حياتك ، وحدك ، بدونه ، استمع إلى بولس الرسول ، وهو يقول «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» .

إنه يستطيع كل شيء ، ولكن ليس وحده ، بل في المسيح الذي يقويه . وإن لم يقوه المسيح ، لن يستطيع شيئاً .

لذلك نحن في الترتيلة نقول له «امسك يدي وقدني» . قل له يارب أنا بدونك لا استطيع شيئاً . قدني ارشدني . «علمني يارب طرقك ، فهمني سبلك» ، «افتح عيني الغلام ليرى» اعطني القوة والمعونة . اعمل في ضعفي .

* * *

كلمة جميلة قالها المسيح لتلاميذه الذين دربهم بنفسه :

« لا تبرحوا أورشليم ، حتى تلبسوا قوة من الأعالي » ...

وماذا عن كل خبراتنا ومعرفتنا وروحياتنا ؟ أو ماذا عن تلمذتنا الطويلة ، لك أنت ؟... لا تعتمدوا على ذواتكم . انتظروا موعد الآب انتظروا حتى تلبسوا قوة من الأعالي ... «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لي شهوداً ، حينئذ ، وليس قبل ...

هكذا أنت ، لا تعمل إلا بعد أن تنال قوة من فوق . اسع وراء هذه القوة ، بكل ضعفك ، بكل صلواتك وتصرفاتك ، وحينئذ تشهد له ...

إذن ليس بذراعك البشرى ، حتى لو كنت رسولاً ومن الاثنى عشر، بل بالقوة التى تلبسها من الأعالى . ليس بقوتك ، ولا بتقواك ، بل باسم يسوع المسيح ، يمكن لهذا المقعد أن يمشي. إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون .

كل خطية تقابلك ، قل لها « أنا آتيك باسم رب الجنود » مثلما قال داود لجليات . ادخل إلى الرب فى المعركة ، لأن الحرب للرب . تأكد أن الرب يحارب معك . وإن لم تشعر به ، صارعه حتى الفجر ، وقل له لا أتركك حتى تذهب معى . وإن لم تذهب معى فلن أحارب ولن اذهب مثلما قال القائد باراق لدبورة النبية (قض ٤ : ٨) .

كن كالبيت المبنى على الصخر ، « والصخرة كانت المسيح » ، حينئذٍ لا تسقط . ولا تبن بيتك على ذاتك ، لأن ذاتك تراب ورماد والبيت المبنى على التراب يكون سقوطه عظيماً ...

★ ★ ★

ملائكة الكنائس السبع كانوا فى يمين المسيح » (رؤ٢) . فى يمين الرب التى صنعت قوة (مز١١٧) . كن أنت أيضاً فى يد الله . كن كالطفل الذى يسير فى الطريق مطمئناً ، لأن أباه ممسك بيده . قل له «لا تتركنى يارب لذاتى ولذكائى ، امسك بيدى » . «آه يارب لو انفرد بى عقلى وذكائى بعيداً عنك» اذن لكنت هلكت !!

هوذا الرسول يقول «لا تستكبر ، بل خف» (رو١١ : ٢٠) . وإن خفت ، قل له «إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شيئاً ، لأنك أنت معى . عصاك وعكازك هما يعزياننى » (مز٢٣) .

هذا هو الإنسان الروحى ، الذى يسير فى طريقه المقدس ، معتمداً على قوة الله التى تسنده ، والتى ترشده ، والتى تحميه ، والتى تعمل فيه ...

لا يعتمد اطلاقاً على ذراعه البشرى ... ولا أى ذراع بشرى ، بعيداً عن الله ...







الإنسان الروحي في :

مفهوم الراحة والتعب

هناك أنواع كثيرة من الراحة

راحة الجسد ، وراحة النفس ، وراحة الفكر ، وراحة الضمير ، وراحة الروح ... والراحة من المشاكل . وهناك راحة حقيقية ، وراحة زائفة ، أو خاطئة ...

وقد يوجد إنسان ، راحته فى هواية معينة ، فى لون من الرياضة مثلاً ، أو فى أحد الفنون كالرسم أو الموسيقى أو الشعر ، أو يجد راحته فى القراءة ، أو فى تسلية ما كحل الألغاز... وليس فى هذا كله شيء خاطيء ، مادامت وسيلة سليمة . ولكنه مع ذلك ليس هو الراحة الحقيقية .

والبعض قد يجد راحته فى المتعة مع الأصدقاء والأصحاب والمعارف ، بروح الأسرة الواحدة ، باسلوب اجتماعى ، يتسامرون و يتسلون ، أو يتعاونون معاً فى عمل عام . وهذا لون سليم من الراحة ، مادام لا خطأ فيه . ولكنه مستوى معين من الراحة ، يوجد ما هو أعلى منه .

* * *

وهناك راحة زائفة ، وراحة خاطئة :

لقد استراح آخاب الملك حينما استطاع أن يدبر مؤامرة ظالمة استولى بها على حقل نابوت اليزرعيلى ، وساعدته فى ذلك زوجته ايزابل ، إذ أرادت أن تحقق له رغبته ، ولو بجملة من الخطايا ... ولم يسترح الاثنان ، إذ أرسل الله ايليا النبى إلى آخاب ليقول له « فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلى ، تلحس الكلام دمك أنت أيضاً » (١مل ٢١ : ١٩) . وهكذا حدث لزوجته أيضاً (٢مل ٩ : ٣٦) .

* * *

وقد يظن إنسان أنه يريح نفسه بالتدخين أو بالخمر :

أو بتعاطى بعض المخدرات . وقد يصل الأمر به فى كل ذلك إلى الإدمان . وهو لا

يدرى أن السجاير أو الخمر لا تحل له مشكلة، بل هى مشكلة أخرى تضاف إلى مشاكله. والمخدرات إنما تتيهه عن نفسه فينسى مشاكله إلى حين. ولكن هذه المشاكل تظل باقية بلا حلّ، تضاف إليها مشكلة أخطر وهى تعاطى المخدرات...

وإنسان آخر قد يرى راحته فى تحقيق شهوة معينة :

كأن ينتقم لنفسه ممن أهانه أو اساء إليه، ويرد الكلمة بكلمتين، وعندئذ يستريح !! كذلك إن استطاع أن يهزم منافسه... وكلها راحة زائفة وخاطئة...

كذلك قد يشعر براحة داخلية، من يحقق لنفسه شهوة فى العظمة، أو القنية والامتلاك، أو شهوة جسدية، أو قضاء الوقت فى لهو وعبث... !! أو ممارسة باقى عاداته الخاطئة... ويكون فى كل ذلك قد أهلك نفسه...

★ ★ ★

مادام الأمر هكذا، فلنبحث عن الراحة الحقيقية وكيف تكون :

أول ذكر للراحة فى الكتاب المقدس هو الآية التى تقول : «فاستراح الله فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من كل عمله الذى عمل الله خالقاً» (تك ٢ : ٢، ٣)... وهنا نجد راحة مصحوبة بالبركة والتقديس، وتقدم لنا مبدأ هاماً وهو:

الراحة المقدسة فى إتمام عمل صالح :

لأن الله نظر إلى كل ما عمله، فإذا هو حسن جداً (تك ١ : ٢١)، فاستراح لذلك... وبنفس الوضع نجد راحة أخرى فى إتمام عمل الفداء، حينما قال وهو على الصليب «قد أكمل» (يو١٩ : ٣٠). وأيضاً وجد راحته فى قوله للآب :

«العمل الذى أعطيتنى لأعمل، قد أكملته» (يو١٧ : ٤).

الإنسان الروحى يستريح فى أعماقه من الداخل، حينما يمكنه أن يكمل كل عمل صالح يعهد به إليه، وحينما يكمل خدمته. مثلما قال القديس بولس الرسول : «إنى الآن اسكب سكيباً، ووقت انحلالى قد حضر. جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعى، حفظت الإيمان. وأخيراً قد وضع لى إكليل البر، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الديان العادل» (٢تى ٤ : ٦ ـ ٨).

لقد استراح السيد المسيح ، حينما أكمل عمل الفداء ، وأصعد من الجحيم الراقدين على رجاء ، وفتح لهم باب الفردوس . ثم هزم الموت بقيامته فى فجر الأحد .

* * *

لهذا نقدس يوم الأحد ، ونعتبره يوم الرب ، يوم الراحة الحقيقية .

لأن فيه اراح الرب البشرية من عقوبة الخطية ، ومن الموت . وأصبح بقيامته باكورة الراقدين (١كو١٥ : ٢٠ ، ٢٣)... وهناك نستريح فى يوم الأحد... كان يوم السبت هو اليوم الذى استراح فيه الله خالقاً . و يوم الأحد هو الذى استراح فيه فادياً ومخلصاً ...

والراحة فيه ليست مجرد راحة الجسد ، إنما راحة الروح أيضاً .

فالإنسان الروحى يجد راحته فى هذا اليوم ، فى بيت الله ، فى القداس الإلهى بألحانه و بركاته ، وفى الاستماع إلى القراءات المقدسة والعظة ، وفى التناول من الأسرار الإلهية . ويجد راحته فيما يقوم به من خدمة فى يوم الرب هذا . وبهذا كله ترتاح روحه ، ولا يشعر بتعب فيما يبذله من مجهود ... و يذكر ما قاله القديس يوحنا الرسول فى مقدمة سفر الرؤيا :

« كنت فى الروح فى يوم الرب » (رؤ ١ : ١٠) .

لاشك أنه حينما كان فى الروح ، كان يجد راحة قلبية ، تنسيه الضيقة ، والنفى فى جزيرة بطمس ، وترشحه لتلك الرؤيا الإلهية العجيبة التى رآها ...

الراحة فى يوم الرب ، ليس معناها الكسل أو الخمول ، وليس معناها أن الإنسان لا يعمل أى عمل على الإطلاق ، كما كان يفهم الفريسيون من وصية الرب (تث ٥ : ١٣ ، ١٤) . فوصية الرب كانت خاصة بالامتناع عن العمل العالمى ، وليس عن العمل الروحى ... إذن كان يحل عمل الخير فى السبوت (مت ١٢ : ١٢) .

* * *

أرواحنا تستريح فى الله . والله يستريح فى أرواحنا .

كما قال فى المزمور « ههنا موضع راحتى إلى أبد الآبد . ههنا أسكن لأنى

اشتهيته» (مز ١٣٢ : ١٤). الله حقاً يستريح فى القلب الطاهر. يستريح فى قديسيه، وأيضاً يتمجد فيهم (٢تس ١ : ١٠). والإنسان الروحى كما يرتاح الله فيه، كذلك :

* * *

الإنسان الروحى يجد راحته فى إراحة الآخرين :

إنه يشعر بلذة وراحة، كلما أراح غيره. يستريح قلبه وتستريح روحه فى كل عمل محبة يقوم به نحو الآخرين. يجد راحة قلبية، حينما ينقذ مسكيناً، أو يحسن إلى فقير، أو يعطف على يتيم، أو يحل مشكلة إنسان فى ضيقة، أو يعزى حزيناً... ويجد راحة فى الخدمة الروحية التى يقوم بها، مهما كلفته من مجهود...

* * *

راحة الروح تجعله لا يشعر بتعب الجسد.

عامل الإطفاء مثلاً يخاطر بالقاء نفسه وسط النار والدخان، و يشعر براحة كبيرة كلما أنقذ إنسان من الحريق. وكذلك من يتعب لينقذ شخصاً من الغرق... كذلك من يبذل كل جهده، ليرد خاطئاً عن طريق ضلاله، فينقذ نفساً من الموت، و يستر كثرة من الخطايا» (يع ٥ : ٢٠). كل تعبه فى الافتقاد، وفى الحوار والإقناع، وفى احتمال هذا الخاطىء، كل هذا التعب لا يشعر به، بل بالحرى يجد فيه لذة إن أمكنه أن يخلص نفسه. و بهذا يشعر براحة كبيرة.

* * *

لاشك أن أكبر راحة شعر بها المسيح، كانت على الصليب.

وسط آلام الصلب المبرحة، كان يشعر براحة لا يعبر عنها، فى تخليص البشرية من حكم الموت، وفى إرضاء العدل الإلهى، وفى بذل نفسه كمحرقة وذبيحة خطية لفداء البشر جميعاً... راحة مؤسسة على الألم، الذى احتمله بسبب الحب...

ولعل نفس الراحة، شعر بها الشهداء، والقياس مع الفارق.

وسط عذاباتهم وآلامهم، كانوا يشعرون براحة، إذ هم على وشك الالتقاء بالرب فى الفردوس، والتخلص من رباط الجسد والمادة، والانطلاق إلى كورة الأحياء ومجمع القديسين...

وهكذا المعترفون أيضاً ، وكل من احتمل آلاماً لأجل المسيح . وهكذا قيل عن الآباء الرسل القديسين ، بعد جلدهم « وأما هم فذهبوا فرحين ، لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » (أع ٥ : ٤١) .

وهكذا الأب والأم يشعران براحة فى كل تعبهما من أجل تربية أولادهما .

مهما بذلا من جهد جسدى فى العناية بهؤلاء الأطفال ، ومهما احتملا من تعب فى سهر الليل ، وفى العناية بصحة هؤلاء الأطفال ونظافتهم ، وفى الاهتمام بتعليمهم والانفاق عليهم . فى كل ذلك يشعران براحة . كما تشعر الأم براحة وهى تحمل جنيناً فى أحشائها ، لأن الله وهبها ابناً ، مهما كانت متاعب الحبل والولادة...

★ ★ ★

إن الراحة ليست هى مجرد راحة الجسد ،

إنما هى راحة الضمير أيضاً ...

والضمير يرتاح حينما يؤدى رسالته ، وحينما يقوم بواجبه و يكمله على أحسن وجه ، ولا يهتم اطلاقاً بتعب جسده فى سبيل إكمال عمله ، وتحقيق هدفه الصالح . وكلما كانت آماله عالية ، كلما تعب بالأكثر ، ووجد راحة فى تعبه . وكما قال الشاعر :

كلما كانت النفوس كبارا ... تعبت فى مرادها الأجسادُ

بعكس ذلك الذى يستريح جسدياً ، و يتعب ضميره .

كالإنسان الذى يكسل ولا يذهب إلى الكنيسة أو إلى الخدمة ، بحجة حاجة جسده إلى الراحة . هذا الإنسان يستريح جسده ، ولكن ضميره يتعب . أو الخادم الذى يكسل فى افتقاد مخدوميه ، أو بحجة تعب الجسد يقصر فى زيارة مريض ، أو فى الذهاب لتعزية حزين ، هذا يريح جسده بينما يتعب ضميره .

كذلك التلميذ الذى لا يذاكر ، ويمتع جسده باللهو والراحة ، تتعب نفسيته فيما بعد حينما يفشل فى امتحاناته ، و يتعب ضميره لتقصيره فى واجباته ... و بالمثل كل إنسان يهمل عمله ، و يركن إلى الراحة ، فيفشل أو لا يحظى برضى رؤسائه ...

★ ★ ★

تعب الاحتمال أيضاً فيه راحة للروح .

تعب النفس فى تحويل الخد الآخر، وفى مشى الميل الثانى، وفى الصبر على من يخاصمك، و يأخذ ثوبك فتترك له الرداء أيضاً، وفى عدم مقاومة الشر (مت ٥ : ٣٩-٤١). كل هذه الألوان من الاحتمال، حتى إن تعبت فيها النفس، ولو فى أول الطريق، إلا أن الضمير يرتاح لأنه نفذ الوصية .

كذلك الذى يسهر الليل فى الصلاة .

و يقوم فى نصف الليل ، ليسبح الله على أحكام عدله . وتسبق عيناه وقت السحر، ليتلو فى جميع أقواله (مز ١١٩) ... هذا تجد روحه راحة بكل تعب الجسد . وكذلك تجد راحة فى جهاده ومصارعته لقوى الشر الروحية (أف ٦)، والصبر إلى المنتهى حتى يخلص (مت ٢٤ : ١٣) .

★ ★ ★

ومع كل ذلك ، لم يحرمنا الله من راحة الجسد .

فمنحنا يوم السبت (الأحد حالياً) لنستريح فيه ، جسدياً وروحياً . لأن الله الذى خلق أجسادنا ، يعرف أن هذا الجسد يحتاج إلى راحة يوم كل أسبوع . ولذلك قال الرب : «السبت إنما جُعل لأجل الإنسان . وليس الإنسان لأجل السبت» (مر ٢ : ٢٧) .

من حقك إذن ، بل من واجبك ، أن تريح جسدك من الإرهاق ، ومن المرض . وتعطيه حاجته من النوم . ولا تسبب له أمراضاً بإهمالك فى القواعد الصحية . وأيضاً تعطيه كفافه من الغذاء . ولكن ...

★ ★ ★

ولكن لا تكون راحة جسدك على حساب تعب روحك .

أنت «تقيت جسدك وتربيه» (أف ٥ : ٢٩) . ولكن فى نفس الوقت «تقمع جسدك وتستعبده» (١ كو ٩ : ٢٧)، ولا تجعله يتمرد على الروح ... تعطى الجسد غذاءه ، ولا تعطيه شهواته . تعطيه النوم للراحة ، ولكن توقظه للصلاة ، لكى تستريح الروح أيضاً . وهكذا فإن الإنسان الروحى يحفظ ميزان الراحة بين الجسد والروح .

كثير من الناس يرهقون أجسادهم أزيد من احتمالهم ، فترهق أعصابهم أيضاً ، وقد يخطئون بسبب أعصابهم المرهقة ، وتتعب أرواحهم بذلك . والأمر يحتاج إلى حكمة وافراز.

★ ★ ★

وفى إراحة جسدك ، ابعد عنه الأخطاء النفسية التى تتعبه .

فالغضب والنرفزة من أمراض النفس ، و يتعب الجسد أيضاً . وكذلك الاضطراب والقلب وحمل الهم والكآبة الزائدة ، كلها متاعب فى النفس ، تسبب تعباً للجسد أيضاً وقد قال الرب فى علاج ذلك «لا تهتموا بما للغد ، فإن الغد يهتم بما لنفسه» (مت ٦ : ٣٤)... لذلك فالإنسان الروحى ، الذى يكون قلبه مرتاحاً ونفسه فى سلام ، بحياة الإيمان والتسليم ... هذا أيضاً براحة روحه يريح جسده أيضاً من أمراض كثيرة ...

★ ★ ★

والإنسان الذى يتعب نفسه بالصراع الداخلى ، يتعب جسده أيضاً .

فحالة الانقسام الداخلى التى يعانيها ، وما يصاحبها من أفكار ضاغطة وافكار متناقضة ، هذا يتعب جسده بالتوتر الفكرى . وكذلك الذى يرهقه الحزن المفرط ، بتعب نفسه يتعب جسده أيضاً ... أما الإنسان الروحى ، الذى تسير روحه وأفكاره ومشاعره فى خط واحد ، و يرتاح روحاً ونفساً ، هذا يرتاح جسده أيضاً .

★ ★ ★

الإنسان الروحى ، كما يريح نفسه وجسده ، كذلك بالأكثر يريح روحه .

يريحها من الخطايا ، ومن العادات السيئة والطباع الرديئة . و يريحها من الشهوات ومن الاستسلام للاغراءات ، و يريحها من مقاومة الجسد لها ، الجسد الذى يشتهى ضد الروح (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) . و يريحها بالانتصار على حروب الشياطين ، ومقاومتهم راسخاً فى الإيمان (١بط ٥ : ٩) . و يريح روحه أيضاً بمنحها الغذاء الروحى الذى يقويها و يقربها إلى الله و يعمق محبته فيها ...

و يريح روحه ، بأن لا يعمل شيئاً يتعب ضميره .

★ ★ ★

وتستريح روحه فى طاعة الله . ويستريح الله بطاعته .

إن الله يستريح فى القلوب المؤمنة به ، المحبة له ، التى تصنع مشيئته ، وتتمم ارادته ، كالملائكة « الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه » (مز١٠٣ : ٢٠) .

الإنسان الروحى ، تستريح روحه فى شركة الروح القدس (٢كو١٣ : ١٤) . فلا يعمل عملاً إلا إذا كان روح الله يشترك معه فيه . الروح تستريح حينما تقول لله فى كل عمل « لتكن مشيئتك » . فبهذا تريح وتستريح . ما أجمل ما قيل عن موسى النبى إنه صنع كل شيء حسب المثال الذى أراه الرب على الجبل (عب ٨ : ٥) .

* * *

ننتقل إلى النقطة الأخيرة ، وهى كيف يتسريح الإنسان :

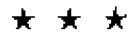
إذا استراح الإنسان من الداخل ، يتسريح من الخارج أيضاً . وإن تعب داخله ، لابد أن يظهر عليه هذا التعب من الخارج ... نظرته إلى الأمور هى التى تتعبه . لذلك قال القديس بولس الرسول « تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » (رو١٢ : ٢) .

يجب أن يقتنع الإنسان بفعل الخير ، فتصير تصرفاته خيرة .

يجب أن يستريح قلبه تماماً للسلوك بالروح . ولا توجد شهوة خاطئة تتعب الإرادة . وكما قال القديس ذهبى الفم « لا يستطيع أحد أن يؤذى إنسان ، ما لم يؤذِ هذا الإنسان نفسه » . الإنسان المستريح فى الداخل لا يتعبه أى سبب من الخارج . وهو أيضاً لا يتعب أحداً . بعكس الإنسان غير الروحى ، الذى طبعه النكد ، ونفسيته غير مستريحة ، فأقل الأسباب تتعبه ، و يستقبلها هو بتعب .

التعب فى داخله ، وليس بسبب الأسباب الخارجية .

لأن الروحيين أحاطت بهم من الخارج أسباب متعبة كثيرة ، ومع ذلك لم يتعبوا .



لا تجعل راحتك على تعب الآخرين

ما أكثر الخطايا التى يقع فيها من يبنى راحته على تعب الآخرين . وسنضرب لذلك أمثلة عديدة منها :

١ ـ من يجد لذته فى التهكم والضحك على غيره .

يتخذه مجالاً للسخرية والتفكه والتسلية ، غير مبال بجرح مشاعره ، ومشاركة الناس له فى جعل هذا الإنسان اضحوكة لهم... وبخاصة إن كان لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، أو يحتشم من ذلك ، لأن الذى يتندر عليه أكبر منه سناً أو مقاماً . هذا الساخر هو إنسان يجد راحته فى تعب غيره نفسياً ...

* * *

٢ ـ مثال آخر : من يقيم حفلة ساهرة صاخبة بميكروفونات تنقل الصوت عالياً عبر عدة شوارع ...

ويستمر على ذلك إلى ما بعد منتصف الليل فى صخب ولهو وغناء وضوضاء . ولا يبالى فى كل ذلك بشعور غيره ولا بمصلحته . المحتاج إلى نوم ، لا يستطيع أن ينام . والتلميذ لا يستطيع أن يذاكر . والمريض يزعجه الصوت ، وربما يكون قد تناول حبوباً منومة تفقد مفعولها . والباقون يفقدون حريتهم فى الكلام وفى القراءة وفى الاستمتاع بوقتهم . ولكن صاحب الحفلة مسرور بحفلته ، غير عابىء بتأثيرها على غيره .

ومثل ذلك من يفتح راديو أو ترانزستور فى أتوبيس أو قطار . هو يريد أن يسمع ولا يهمه غيره...

٣ ـ كذلك من يدخن سيجارة ، وبجواره من يكره رائحتها ...

ينفخ دخانها فى وجهه ، أو فيما حوله . وقد يكون بجواره من يكاد يختنق من رائحة الدخان . وبخاصة لو كان ذلك فى مكان مغلق ، فى حجرة ، أو أتوبيس ، أو طائرة ... هو يريد أن يتمتع بمزاجه الخاص ، ولا يعبأ بتعب غيره . وقد يفعل ذلك دون أن يستأذنه وحتى لو أستأذن يكون ذلك اجراء شكلياً . وما أكثر ما تتعب الزوجات من أزواجهن المدخنيين ... يدخل تحت بند التدخين أيضاً المصانع التى تعكر الجو بدخانها ، وتؤذى صحة الناس لكى يكسب أصحابها مالاً ... وكذلك العربات التى تنفث فى سيرها دخاناً ...

★ ★ ★

٤ ـ وبالمثل من يتعب غيره بمكالمات تليفونية قد تطول ...

يطلب غيره تليفونياً فى أى وقت . وقد يكون نائماً ، أو على مائدة الطعام ، أو عنده ضيوف ، أو يكون منشغلاً بعمل هام يجب أن يقوم به . ويظل هذا الإنسان يتكلم ويتكلم ، دون أن يسأل هل الذى يسمعه لديه وقت لسماعه أم لا . بينما اللياقة تقتضى أن يسأل ... ! وقد يكون صوته عالياً يسمعه الذين حول السامع ، وربما يعرفون به أسراراً ما كان يجوز أن يسمعوها !

٥ ـ وبنفس الوضع : الحكم على بعض الزيارات :

إنسان يزوره غيره على غير موعد ، دون أن يعرف هل هذا القريب أو الصديق مستعد لاستقباله أم لا ! ولكنه يدخل ويجلس ويتكلم . وقد تطول الجلسة ، وصاحب البيت يخجل من أن يقول له أنه منشغل ، أو كان على وشك الخروج لمهمة معينة أو موعد مع آخرين ! ويكون هذا الضيف جالساً فى بيت صاحبه . إنما هو جالس على أعصابه ... وما أصعب مثل هذه الزيارات إن كانت خلال أيام الإمتحانات ، ويعلو فيها الصوت ، والطلبة محتاجون إلى هدوء ... ومع ذلك فهؤلاء الضيوف يحاولون أن يجدوا راحتهم ، ولو على تعب غيرهم .

★ ★ ★

٦ ـ وعلى نفس القياس : بعض الرحلات إلى الأديرة والمتوحدين :

كل ما يريده أصحاب الرحلات أن يتمتعوا بالدير ، دون أن يضعوا فى ذهنهم

راحة الرهبان أو هدوء الدير . وقد يكون فى الرحلة أطفال يصيحون ويجرون و يلعبون . وقد يرتفع صوت أعضاء الرحلة ، وقد يتجولون فى الدير بغير نظام . وأحياناً تكون فى الدير عدة رحلات بعدة أتوبيسات مع عربات خاصة . ويجتمع فى الدير مئات ، وتسود الضوضاء أرجاء هذا المكان المقدس ، وأصحاب الرحلة سعداء !! لا يفكرون فى تعب الرهبان الذين تركوا العالم إلتماساً للهدوء ! وتزيد المشكلة إن أصر بعض أعضاء الرحلة على زيارة المتوحدين ... إنهم يريدون راحتهم ، ولا يفكرون فى طقس الحياة التى يعيشها غيرهم ...

معروفة قصة البابا ثاوفيلس الذى أراد زيارة القديس الأنبا أرسانيوس المتوحد . فلما عرف أن ذلك يؤذى وحدته ، امتنع عن ذلك ...

★ ★ ★

٧ ـ هناك أيضاً أشخاص يريدون أن يتكلموا ، وربما فى موضوعات لا يستريح لها سامعوهم ...

وقد يقصون أسرار أناس آخرين ، أو مشاكل معينة ، أو أخطاء قد حدثت ، أو يفتحون أذهان سامعيهم لمعرفة أمور جديدة عليهم من الخير لهم أن لا يسمعوها ... ولكنهم يريدون أن يتكلموا ، ولو اتعبوا السامعين ، ولو صبوا فى آذانهم معلومات مؤذية ، ولو أتلفوا أفكارهم . وقد يحاول السامع أن يهرب ، ولكنهم يضغطون بالكلام ، لأنهم يجدون لذتهم فى الحديث ، شاء السامع أن يسمع أو لم يشأ !! هذا بالإضافة إلى اضاعة وقته ...

★ ★ ★

٨ ـ فى كل مرة تضغط على غيرك ، تيقن تماماً أنك تبحث عن راحتك على حساب تعبه ...

وقد يكون هذا الضغط على إرادته ، لكى ينفذ ما لا يريد . وقد يستخدم فيه أحياناً الالحاح المتعب الذى يشكل ضغطاً على أعصابه وعلى أذنيه ... وقد يكون الضغط مباشرة أو عن طريق وسطاء . أو يكون ضغطاً على ضميره بتهديده بالالتجاء إلى أخطاء يشارك فى مسئوليتها ... المهم أن يصل الشخص إلى تحقيق غرضه بالضغط أو الضغوط ، ولا

يهمه مطلقاً شعور من يضغط عليه، ولا تعب أعصابه، وتعب ضميره، وتعب فكره، وتعب إرادته، والوقت الذى تستغرقه الضغوط ...

* * *

٩ ـ هناك أشخاص يستريحون نفسياً بالشكوى والبكاء، ويشركون غيرهم فى سماع مشاكلهم ومتاعبهم وأحزانهم ...

ولو حدث ذلك مرة أو فى بعض مناسبات، لكان ممكناً الاحتمال بالمشاركة الاجتماعية «بكاء مع الباكين» (رو١٢: ١٥). ولكن ماذا عن أشخاص تعودوا الشكوى والبكاء والنكد... ما أن يقابلوا صديقاً، حتى ينفتح ريكوردر الشكوى والبكاء والحزن واليأس والتعب، إلى غير نهاية ومهما حاول السامع أن يخفف عنهم، لا يستطيع، ويزداد الأنين والتعب، وربما لغير سبب، أو لسبب تافه، أو بحديث متكرر، وبلا نتيجة! المهم أنهم يريدون أن ينفسوا عن أنفسهم، ولو تعب سامعوهم.. ليتك حينما تتكلم، أن تنظر إلى ملامح سامعك... هل تعب؟ هل ضجر؟ ممكن أن تكمل كلامك أم لا.

ما أكثر الذين يفقدون أصدقاءهم ومعارفهم، بمداومة الشكوى والبكاء.

* * *

١٠ ـ نقطة أخرى هى موضوع العثرات:

إنسانة تقف طويلاً أمام المرآة قبل أن تخرج. ولا تفارق المرآة حتى ترضى تماماً عن نفسها، إنها صارت فى منتهى الفتنة. كل من يراها يعجب بها. ولا يهمها فى كل ذلك أنها تعثر غيرها أو لا تعثر. المهم راحتها النفسية فى أن تكون موضع الإعجاب، ولو تعب الذين يعجبون بها. نصيحتى لك: لا تجعلى المرآة تقودك... بل اهتمى أن لا تكونى عثرة لأحد...

١١ ـ يشابه هذا بعض المتزينات فى الحفلات:

إنسانة تريد أن تكون الأولى فى إحدى الحفلات. وقد تحضر حفلة عرس، وتحاول أن تكون أجمل وأشيك من العروس نفسها!! تلبس ملابس فوق مستوى الكل، وتتحلى بحلى لا تتحلى بها إمرأة أخرى. تريد أن تجذب انتباه الكل، ولو ألغت وجود غيرها،

ولو أتعبت باقي النساء وشعرن بصغر نفس وبضآلتهن إلى جوارها ! هذه أيضاً تبحث عن راحتها بتعب الأخريات . وإن ناقشتها ترد قائلة «إنها حفلة ، ويجب أن أحتفظ بأناقتي» . نعم ولكن في حدود المعقول . ودون إثارة الغيرة ، ودون الدخول في مقارنات . البسي في الحفلة ما يناسب مستوى المشتركات في الحفلة ، بأناقة معقولة .

* * *

١٢ ـ ما أكثر المشاكل الزوجية ، التي سببها أيضاً من يجعل راحته على تعب غيره :

ومثال ذلك الزوجة التي تطلب من زوجها طلبات فوق طاقته المالية . فإما أن ترهقه مالياً ، أو تضطره إلى الإقتراض أو إلى الديون . أو أن يقول ليس معي ! وأحياناً تجرحه بحظها العاثر في أن تتزوج رجلاً ليس معه ما ينفقه عليها ! وهكذا تجرح شعوره... ونفس الكلام ينطبق على الإبن الذي يطلب من أبويه ما هو فوق طاقتهما ، والمواطن الذي يطلب من الدولة ماهو فوق طاقتها ...

* * *

١٣ ـ مثال آخر : وهو المهاجر الذي يحضر إلى مصر ، ليطلب من الكنيسة أن تزوجه في أيام الصوم :

وأحياناً في الصوم الكبير !! وإن قيل له أن قوانين الكنيسة لا تسمح بإجراء سر الزواج في الصوم ، يظل يضغط ويضغط ، ويقدم أعذاراً وتبريرات خاصة بالسفر وبالإجازات . وإن وجد أن هذه التبريرات غير مقبولة ، يحتج ويغضب ويصيح ويصر ، ويهدد بالزواج عند الطوائف الأخرى . المهم راحته في أن يتزوج ، ولا يهتم بضمير الكاهن ، ولا بقوانين الكنيسة ، ولا بكسر الصوم . إنه يريد موافقة الكنيسة ، وليس بركتها . يريد راحته على تعب غيره ... !

* * *

١٤ ـ من الأشياء العجيبة أيضاً : من يريد أن يبني مجده على هدم غيره ، ويظن بهذا أنه يظهر تفوقه !

حتى في المحيط الكنسي ! كاتب يريد أن يحطم جميع البديهيات والمُسلمات التي

يعرفها الكل، محاولاً أن يثبت خطأها، لكى يقدم رأياً جديداً، كأنه يفهم أكثر من الكل. هو الوحيد الذى يفهم، وكل ما ورثناه عن الأجيال هو خطأ فى خطأ إلى أن بعثه الله، ليقدم للناس المفاهيم السليمة... من هنا نشأ المبتدعون الذين يبتدعون شيئاً جديداً، لعله يبنى لهم مجداً، بتقديم ما لم يصل إليه الغير. يحاول أن يظهر علمه، بإعلان جهل الناس أو جهل الكل، وقد يسأل غيره أحياناً أسئلة محرجة المقصود بها أن يظهر جهله. ثم يجيب هو عن الأسئلة ليظهر تفوقه...

* * *

١٥ ـ ومثال ذلك من يخفى مواهب غيره، لتظهر مواهبه هو:

لا يسمح لغيره بالظهور، ليبقى وحده فى الصورة. كالأستاذ الذى لا يعطى المعيد فرصة ولا شهادة، إلا بشق الأنفس. وفى نفس الاشكال يقع غالبية الناشئين، فلا فرصة سهلة لكاتب ناشيء، أو لمخترع ناشيء، أو لفنان ناشيء، لأن الكبار يريدون احتكار العبقرية ذاتها! ويجدون راحتهم فى أن يخلو الجو لهم، ولو تعب كل الناشئين يحتكرون الجو، ويحتقرون الغير...! يدخل فى ذلك أيضاً من يحتكر الكلام أثناء اجتماع، ولا يعطى غيره فرصة لكى يتكلم!

* * *

١٦ ـ من أمثلة الراحة بتعب الآخرين: الزوج الغيار:

الذى من أجل غيرته على زوجته، يكاد يحبسها فى البيت. لا يراها أحد، ولا تتكلم مع أحد. ولا تضحك على فكاهة قالها الغير، حتى إن كانت فكاهة تضحك الحجر! وإلا يقيم الدنيا و يقعدها. لماذا تنبسطين فى الكلام؟! كأنما اشترى عصفورة جميلة وحبسها فى قفص. حتى إن غنت داخل القفص، يمنعها من الغناء! وهكذا يضيق عليها تضييقاً يجعلها تكره الحياة بسببه. وإن جادلته أو عاتبته، يقول لها «هذا هو الذى يريحنى»! ولكنها راحة على تعب غيرك، لا تقيم فيها أى أعتبار لشعور زوجتك...

وبالمثل الزوجة الغيارة أو النكدية أو الكثيرة التحقيق مع زوجها، والتى ترهقه بأسئلة واحراجات، لكى تستريح هى، مهما تعب هو...

* * *

١٧ ـ تظهر الراحة على تعب الآخرين فى موضوع الزحام :

كل شخص يريد أن يسبق غيره ، أو يأخذ مكان غيره ، أو يصل هو، ولا يهم أن يصل غيره أو لا يصل ! والعجيب أن ذلك قد يحدث أحياناً أثناء التناول من الأسرار المقدسة ، وبخاصة أيام الأعياد والمناسبات . بينما التناول يليق به إنكار الذات وانسحاق النفس ، ولا يليق به بتاتاً أن يبحث الإنسان عن راحته على تعب غيره ، يشبه هذا أيضاً من يبحث عن الأماكن الأولى فى الاجتماعات ، أو يحجزها قبل مجيئه . وكذلك من يقف فى اجتماع ، ولو أخفى الرؤية عن غيره . ومن يوقف عربته فى مكان ، ولو عطلت المرور على غيره... العجيب أن الزحام قد يحدث أيضاً فى الجلوس مع أب الإعتراف فقد يدخل معترف إليه . وهناك طابور طويل ينتظر. فلا يهمه كل هؤلاء ، ويقضى ما يشاء من الوقت ، ولو تعب المنتظرون. والعجيب أيضاً أنه لا يعترف بهذا أثناء جلسته مع أب الإعتراف !

* * *

١٨ ـ وموضوع الزحام يذكرنا بالمنافسات عموماً :

ومنها المنافسات فى الوظائف والمناصب، حيث يريد أن يزيح شخصاً من مكانه ومركزه ليحل محله . أو يأخذ درجة أو علاوة بدلاً منه ، ولو بتقديم شكوى ضده ، أو اشاعة المذمة فيه . أو يتسبب فى فشله ليضيعه . وفى مجال السياسة، حزب ينافس حزباً ، ويكره الناس فيه ليأخذ مكانه . ويدخل فى المنافسات أيضاً المضاربات فى الأسواق . ونحن لا نقول إن كل منافسة خاطئة . بل نقصد المنافسات التى تلجأ إلى طرق خاطئة لأن تتعب غيرها أو تتخلص منه أو تحطمه ... !

* * *

١٩ ـ وتدخل فى موضوعنا أيضاً كل أنواع السرقة :

فالنشال يريد أن يأخذ ما فى جيب غيره ليضعه فى جيبه هو. وكذلك كل سرقة . ويدخل فى هذا المجال الغش فى التجارة . واحتكار الأسواق والمضاربات فيها ، والربا الفاحش ، والسوق السوداء ، والهروب من الضرائب والجمارك . فى كل هذا يبنى كل إنسان راحته على تعب غيره . ومثلها صاحب العمل الذى يبخس أجور عماله ليغتنى هو، وكأنه يسرق عرقهم وتعبهم . وكذلك الذى يطلب رشوة ليقضى عملاً مشروعاً .

إنها أيضاً سرقة وقد تكون بالإكراه ، وهى راحة خاطئة بتعب الآخرين نضع مثال آخاب الملك الذى أراد أن يغتصب حقل نابوت اليزرعيلى (١مل ٢١) . كذلك كل أنواع الظلم والتسخير .

وأيضاً من يسرق فكر غيره و ينسبه إلى نفسه . ومن يترجم لمؤلف ، و ينسب الفكر لنفسه .

* * *

٢٠ ـ نذكر هنا أيضاً نظرية (كبش الفداء) :

حيث تقوم مثلاً سرقات فى شركة من كبار المسئولين فيها ، و يقدم موظف بسيط ، أو مدير ، أو عضو مجلس إدارة منتدب ليحمل المسئولية كلها ، و يتبرأ المخطئون الحقيقيون ، فينالون راحتهم بتعب غيرهم . كذلك محاولة النجاة من مسئولية أى خطأ بالصاقة بآخر . ومن يتهم غيره لينجو هو .

★ ★ ★

٢١ ـ اغتصاب الفتيات واغراؤهن يدخل فى موضوعنا أيضاً :

إذ يجد شاب راحته الجنسية فى أن يضيع فتاة و يغتصبها . وحتى مجرد العلاقة التى تشغل عقل الفتاة وعاطفتها ، وتضيع سمعتها ، لمجرد أن يجد الشاب متعته فى مصادقة فتاة ، مهما أساء إليها بهذه الصداقة ! إنها راحة مبنية على تعب الآخرين .

★ ★ ★

٢٢ ـ يدخل فى هذا الأمر أيضاً الغضب والنرفزة :

إنسان أعصابه تعبانه . ينفس عن ضيقه بأن يصب غضبه على الآخرين كلاماً أو كتابة ، لكى يستريح هو ، مهما تعبوا هم . وما ذنبهم فى تعرضهم لأعصابه المرهقة . وإن عاتبته يقول : لم استطع أن استريح إلا بعد أن قلت هذه الكلمة ! ولكنها راحة خاطئة .

* * *

٢٣ ـ يدخل فى هذا الموضوع أيضاً : الحروب والاستعمار :

حيث تجد إحدى الدول راحتها فى تحطيم دولة أخرى ، أو فى حصارها اقتصادياً ، أو فى استعمارها . وقد يفعل الأفراد مثل هذا فى حدودهم الضيقة .

٢٤ ـ نذكر أيضاً محبى الاستطلاع ومحبى معرفة أسرار الناس .

راحتهم هذه ما أكثر ما تتعب غيرهم ، سواء الذين يريدون معرفة أسرارهم ، أو الذين يلحون عليهم بالسؤال ، ليستخرجوا منهم المعلومات ، بالأسئلة المتواترة ، والإلحاح المتعب ، حتى يعصرونهم عصراً ليستخرجوا كل ما عندهم من معلومات بالضغط والإحراج .

* * *

ما معنى الراحة ؟

هؤلاء الذين يبحثون عن راحتهم بتعب غيرهم ، إنما يخطئون فى فهم الراحة . و يبحثون عن راحة مغشوشة :

فالراحة الحقيقية هى راحة الضمير، وراحة الإنسان مع الله ، وكذلك الراحة الأبدية . أما الراحة التى يبحث عنها هؤلاء ، فهى راحة غير حقيقية . والإنسان الروحى يبذل نفسه من أجل غيره ، ويتعب ليريح الناس . كذلك يجب أن لا تكون الوسيلة إلى الراحة وسيلة خاطئة « وقد قيل ما عاش من عاش لنفسه فقط » . والكتاب يقول « قدموا بعضكم بعضاً فى الكرامة » (رو١٢) . ويجب أن يبعد الإنسان عن الأنانية وحب الذات .

هناك أستثناء واحد ، وهو العقوبة التى تستلزمها الرعاية ، لأجل راحة المجموع ، وتثبيت القيم والروحيات



التعب المقدس والراحة فى إراحة الغير

الإنسان الروحى لا يهرب من التعب بحثاً عن الراحة ، بل يفرح كثيراً بأن يتعب من أجل الله .

إنه يبحث أولاً عن راحة ضميره ، عن راحته فى الرب ... أما راحة الجسد، فيضعها فى آخر اهتماماته . و يفضل التعب إن كان فيه كسب روحى . و يرى راحته فى هذا التعب الذى يوصله إلى الله ، والذى يكون فيه بناء الملكوت .

وهنا نميز لوناً من التعب المقدس ، له أمثلة كثيرة فى الكتاب :

منه التعب فى الكرازة والتعليم ، وفى الخدمة عموماً ، والتعب فى الجهاد الروحى . والقديس بولس الرسول ، لما ظنه البعض أقل من باقى الرسل فى درجة الرسولية ، قال مدافعاً عن رسوليته « وأنا تعبت أكثر من جميعهم . ولكن لا أنا ، بل نعمة الله العاملة معى » (١كو١٥ : ١٠) . وقال « أهم خدام المسيح ؟ أقول كمختل العقل ، فأنا أفضل : فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر ، فى السجون أكثر . فى الميتات مراراً عديدة » (٢كو١١ : ١٣) . وقال عن خدمته أيضاً « فى تعب وكد ، بأسفار مراراً كثيرة » .. فكان أهم ما افتخر به هو التعب . وقال عن مكافأة التعب :

« كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه » (١كو٣ : ٨) .

وقد مدح الكهنة الذين « يتعبون فى الكلمة والتعليم » ، وقال عنهم « فليحسبوا أهلاً لكرامة أفضل » (١تى٥ : ١٧) . وقال لأهل تسالونيكى « نسألكم أيها الأخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم و يدبرونكم فى الرب و ينذرونكم ، وأن تعتبروهم كثيراً جداً فى المحبة » (١تس ٥ : ١٢) .

وفى رسالته إلى رومه ، ذكر أسماء نسوة قديسات تعبن فى الخدمة :
فقال « سلموا على مريم التى تعبت من أجلنا كثيراً ... سلموا على تريفينا وتريفوسا

التاعبتين فى الرب. سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيراً فى الرب» (رو١٦: ٦، ١٢).

إن كل تعب يتعبه الإنسان من أجل الرب، هو تعب محبوب لا يمكن أن ينساه الله. وذلك كما قال الرسول:

«لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه» (عب ٦: ١٠).

حسن أن تقول إنك تحب الله. ولكن محبتك له تظهر فى تعبك من أجله... والله يكافئك على المحبة وعلى التعب. وهكذا قال الرسول «لم اسعَ باطلاً، ولا تعبت باطلاً» (فى ٢: ١٦). وقال لأهل كورنثوس «كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين. عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب» (١كو١٥: ٥٨).

* * *

إن الإنسان الذى يتعب، يفرح بثمار تعبه.

مثال ذلك: الزارع الذى يتعب فى حرث الأرض وزرعها وريّها، وتنظيفها من الآفات... إلى أن يأتى وقت الحصاد، فيفرح، ويعرف أن تعبه لم يكن باطلاً، بل كافأه الرب بالبركة حسب كل تعبه...

إن كل تعب يتعبه الإنسان بهدف روحى، وبأسلوب روحى، من أجل الله، هو تعب محسوب له عند الله، مسجل عنده. وهكذا قال الرب لملاك كنيسة أفسس:

«أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك» (رؤ ٢: ٢).

* * *

إنه أمر معزى أن الله يعرف كل تعبك، ويكتبه لك فى سفر الحياة، ولابد سيكافئك عنه فى الأبدية السعيدة، وربما فى هذه الحياة أيضاً. كما يسندك فى تعبك ويقويك. أو يقول لك كما قال للقديس بولا الطموهى فى جهاده «كفاك تعباً يا حبيبى بولا»... وهو يقول على الدوام:

«تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

يريحنا بأن يرفع الأثقال عنا ، أو يعزينا عزاء روحياً فى أتعابنا ، أو يقدم لنا وعوده الجميلة ، أو يعطينا لذة فى التعب حتى نشتاق إلى تعب أكثر ، أو يذكرنا بأن كل عملنا لأجله سيتبعنا فى الأبدية السعيدة ، كما قيل فى تطويب المنتقلين :

« ... لكى يستريحوا من أتعابهم ، وأعمالهم تتبعهم » (رؤ ١٤ : ١٣) .

* * *

لذلك فالإنسان الروحى ، حينما يتعب من أجل الرب ، يشعر ببركة فى هذا التعب . وإن كل تعب له إكليل ، فلا يركن إلى الراحة أبداً فى هذه الحياة ، متذكراً قول الوحى فى سفر الأمثال : « فى كل تعب منفعة » (أم ١٤ : ٢٣) .

وكما قدم لنا الكتاب المقدس أمثلة للذين تعبوا لأجل الرب ...

* * *

كذلك قدم لنا تاريخ الكنيسة أمثلة من التعب المقدس .

القديس أثناسيوس الرسولى مثلاً ، كم تعب من أجل الإيمان ، وكم اضطهادات لاقاها من الأريوسيين الهراطقة ... وكم من اتهامات باطلة ، ومقاومات كثيرة صدرت ضده ، ومجامع حكمت عليه ، وشكاوى للامبراطور ، وأحكام بالنفى .. ! حتى قيل له « العالم ضدك يا أثناسيوس » .. !! ولكنه احتمل كل هذا التعب فى صبر وفى فرح ، لأجل حماية الإيمان ، آخذاً بركة هذا التعب ...

وبالمثل وأكثر : التعب الذى احتمله الشهداء .

من تهديدات ومحاكمات وسجن ، وألوان مرعبة من التعذيب ، وما ذاقوه من آلام فوق الوصف ... ولكنه كان تعباً مباركاً من أجل الرب ، نالوا عليه أكاليل ، واستحقوا بسببه الراحة الأبدية .

* * *

الإنسان الروحى يفرح بالتعب ، ويجد راحته فيه .

أى أنه يجد راحته الداخلية فى هذا التعب الخارجى ، أو يجد راحة روحه فى تعب جسده ، أو يجد الراحة الأبدية فى هذا التعب الزمنى المؤقت ... فهو مستعد أن يتعب هنا ليستريح هناك .

إن القديس يوحنا المعمدان لاقى المتاعب فى توبيخ هيرودس على أنه أخذ إمرأة أخيه ، فسجن وقطعت رأسه ... ولكنه أراح ضميره ليستريح فى الأبدية . وأعطانا جميعاً مثالاً قوياً للشجاعة فى الدفاع عن الحق .

* * *

لا ننسى أيضاً تعب الذين كانوا أمناء فى الخدمة ، وقد وضعوا أمامهم قول الرب :

« كن أميناً إلى الموت ، فسأعطيك إكليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) .

« إلى الموت » ... هل يوجد تعب أكثر من هذا ؟! ولكنه تعبير عن محبة الإنسان لله ... انظر داود النبى وهو يقول :

«لا أصعد على سرير فراشى ، ولا أعطى لعينى نوماً، ولا لأجفانى نعاساً ، ولا راحة لصدغى ، إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب » (مز ١٣٢ : ٣ـ ٥) ... إنه لا يسمح لنفسه بالراحة الجسدية ، إلا إذا تم واجبه وحقق مسئوليته فى خدمة الرب . وحينئذ يستريح روحاً وجسداً . ينام وهو مستريح من الداخل ...

* * *

الإنسان الروحى لا يهرب من التعب . فالذى يهرب من التعب ، إنما يهرب من الله ...

إنه يهرب من واجبه ومن مسئوليته ، و يهرب من الأكاليل المعدة ...! بينما الذى يتعب ، إنما يظهر بالتعب مقدار محبته لله ، ومقدار إهتمامه بملكوت الله على الأرض ، واهتمامه بخدمة الله فى أشخاص أولاده ...

* * *

لذلك إن أردت أن تستريح فى قلبك ، اعمل على راحة غيرك .

كل الذين أراحوا غيرهم ، شعروا بسعادة داخلية بسبب ذلك ، حتى فى مجال الحياة الاجتماعية . وما أكثر الأمثلة على ذلك :

فالطبيب يجد راحة فى ضميره وقلبه عندما يريح المريض الذى يعالجه ، و يبعد عنه الألم . ورسام الكاريكاتير يجد راحته فى أن يفرح من يروا رسومه و يقرأوا فكاهاته . وهكذا كل فنان يجد راحته عندما يدخل فنه إلى قلوب الناس و يريحهم .

الشخص الذى يبحث عن راحته الشخصية ، قد يكون أنانياً .

أما الإنسان الروحى فيفكر دائماً فى راحة الآخرين . هناك نفوس يمكن أن تسميها نفوساً مريحة ، كل من يختلط بها يستريح . وهى مصدر راحة باستمرار . ونضرب لذلك أمثلة :

* * *

★ مثال ذلك الأمومة والأبوة :

الأم تتعب جداً فى تربية ابنتها . وتتعب فى تجهيز ابنتها للزواج . وتفرح بزواجها لأنها استقرت فى حياتها . وعلى الرغم من أنها حرمت من عشرتها ، إلا أنها تشعر بسعادة لسعادتها وربما تبيع مجوهراتها وحليها لتجهيز ابنتها إذا لزم الأمر . وهكذا الأب فى تربية أبنائه وفى الاهتمام بتعليمهم ومستقبلهم . و يشعر إن رسالته فى الحياة هى أن يجلب كل وسائل الراحة والسعادة لابنائه . ولكل هذا نجد أن إلهنا الصالح لقب نفسه بالأب السماوى .

والمهم أن الأب والأم يريحان أبناءهما على أساس سليم .

* * *

★ مثال آخر فى إراحة الآخرين ، هو الراعى وعمله لأجل رعيته .

إنه لا يعمل من أجل راحة نفسه ، بل يبذل كل جهده من أجل خرافه ، يأتى بها إلى المراعى الخضراء وإلى ماء الراحة ، ويحميها من كل اعتداء تتعرض له ومن كل خطر . ولهذا كله أقام الله رعاة لشعبه للاهتمام بهم ، ليرعوا رعية الله التى اقتناها بدمه (أع ٢٠ : ٢٨) .

بل إن الرب نفسه شبه نفسه بالراعى ، وقال « أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (يو ١٠ : ١١) . وقال الرب فى العهد القديم ، فى سفر حزقيال النبى « أنا أرعى غنمى وأربضها ـ يقول السيد الرب ـ وأطلب الضال ، واسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح » (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) ... كله عطاء لراحة غنمه ...

* * *

★ **كل هذا يعطينا فكرة عن الراحة فى العطاء .**

الإنسان الروحى يجد سعادته فى أن يعطى ، ويجد راحته فى سعادة الذى هو يعطيه .

إن الرضيع يجد راحته فى المرضعة التى ترضعه ، سواء كانت أمه أو غيرها . والمرضعة تجد راحتها فى راحته . وإذا ابتسم ، تشعر بسعادة كبيرة ... ما أكثر ما يُعمل من أجل الطفولة . كلها راحة فى العطاء ...

* * *

وما أكثر العاملين من أجل المجتمع فى كافة المجالات ...

كرجال المطافىء ، ورجال الاسعاف ، ومنقذى الغرقى . ومثل جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر... كلها تجد راحتها فى راحة الآخرين . وتشعر بسعادة فى انقاذ الغير... وهكذا كل من يعمل فى العمل الاجتماعى والعمل الانسانى .

الطبيب النفسانى يشعر بسعادة حينما يشفى مريضه من القلق أو الاضطراب أو الخوف أو الوهم أو الشك ، مهما كلفه ذلك من جهد مضنى بسبب تعامله مع شخص غير طبيعى ...

كذلك العلماء الذين يسهرون و يكدون ، لكى يقدموا للناس مخترعات تريحهم فى حياتهم ، أو أدو ية تنقذهم من المرض والألم .

فيا ليتك أنت أيضاً تجد راحتك فى خدمة غيرك وإراحته ... وفى حل مشاكل الآخرين أو إبعاد المشاكل عنهم .

* * *

الإنسان الروحى يجد راحته فى الله ، مهما أحاطت به المشاكل .

إنه يضع الله بينه و بين المشاكل . فلا يفكر فى المشكلة ، إنما فى الله الذى يحلها . وفى كل مشكلة تصادفه يقول « ربنا موجود » . وإيمانه بالله وتدخله لحل المشاكل ، يمنحه راحة داخلية وسلاماً قلبياً مبنياً على الإيمان بالله وعمله .

أتذكر أننا فى أواخر سنة ١٩٦٧ إضطررنا إلى نقل اجتماعنا إلى فناء الكلية الإكليريكية فى الهواء الطلق . فقال لى البعض « وماذا نفعل من جهة المطر ، إذا حلّ فصل الشتاء ؟ فقلت لهم : إله الشتاء هو الذى سيدبر الأمر» .

الإنسان الروحى يستريح فى حياة التسليم التى يحياها .

يترك كل أموره لله ، لكى يدبرها . كما يقول الكتاب « إلقِ على الرب همك ، وهو يعولك » (مز٥٥ : ٢٢) . وأيضاً « ملقين كل همكم عليه ، لأنه هو يعتنى بكم » (١بط ٥ : ٧) . ويثق بوعد الرب القائل « تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) . فلماذا لا تلجأ إلى الله فى كل مشاكلك ومتاعبك ، وهو يريحك ؟

* * *

الإنسان الروحى يجد راحته فى الصلاة .

أو يجدها فى آية معزية تفرح قلبه ، أو يجد راحته فى تذكره لوعود الله . يكفيه مثلاً قوله الإلهى « تشدد وتشجع ... لا أهملك ولا أتركك » (يش ١ : ٥ ، ٦) أو « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) أو « هوذا على كفى نقشتك » (أش ٤٩ : ١٦) . فيفرح بكل هذا ، ويجد راحة فى قلبه ، معتمداً على وعود الله .

* * *

ما أجمل تلك العبارة التى كتبها القديس أوغسطينوس فى اعترافاته قائلاً للرب :

« ستظل قلوبنا قلقة ، إلى أن تجد راحتها فيك » .

الإنسان البعيد عن الله يعيش فى تعب ، لأن الراحة الحقيقية لا يجدها إلا فى الله . ولذلك حسناً قال داود النبى « أما أنا فحسن لى الالتصاق بالرب » (مز٧٣ : ٢٨) . وقال « الاتكال على الرب خير من الاتكال على البشر . الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء » (مز١١٧) . « دفعت لأسقط ، والرب عضدنى . يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى » (مز١١٧) .

* * *

كما يستريح الإنسان فى حياة الإيمان ، يستريح فى حياة الرجاء ...

الذى يفقد الرجاء ، يقع فى اليأس ، ويقترب من الهلاك أو الضياع . أما الإنسان الروحى ، فيرى بالرجاء أن كل مشكلة لها حل ، وكل باب مغلق له مفتاح أو عدة

مفاتيح ، وكل سقطة لها قيام بعدها ...

المشاكل لها شكل هرمى . ترتفع حتى تصل إلى قمتها ، ثم تنحدر نازلة على الجانب الآخر. هكذا كانت مشاكل يوسف الصديق ، ارتفعت حتى أوصلته إلى السجن ، ثم نزلت ووصل إلى المملكة . وبالمثل كانت تجربة أيوب : ارتفعت حتى فقد كل شيء ، ثم انتهت فنال البركة بالضعف (أى ٤٢ : ١٠) .

راحة الإنسان الروحى فى حياة التسليم والسلام ، وحياة الإيمان والرجاء .

* * *

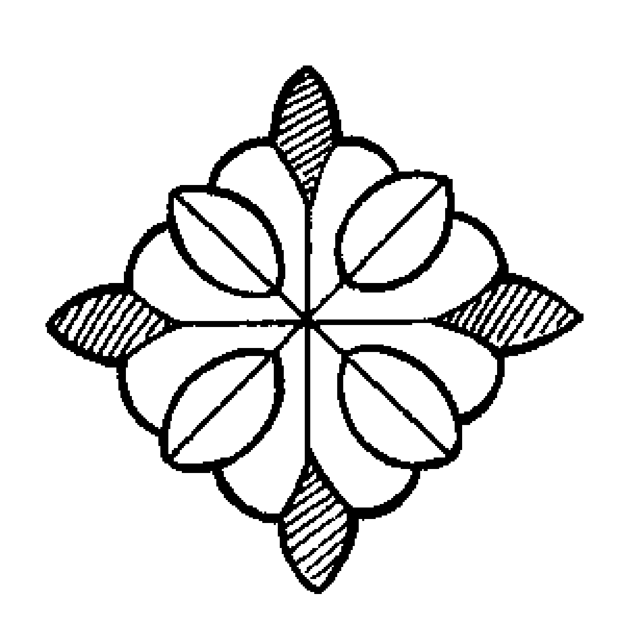
وثق أنك إذا استرحت فى الداخل ، ستستريح من الخارج أيضاً .

وباستمرار لتكن وسائلك إلى الراحة وسائل روحية . لأن هناك إنساناً قد يقع فى مشكلة ، فيجد راحته فى كذبة تغطيها ، أو فى حيلة كلها خداع كما فعل داود لما سقط ...! أو إنسان يتعب ، فيلجأ إلى حبوب مُسكِّنة ، لا تحل مشكلته أو تتيه عنها ...

* * *

والراحة ليس معناها التوقف المطلق عن العمل ، إنما البعد عن الإرهاق .

فإذا تعبت من التفكير فى موضوع ما ، لا تستطيع أن توقف عقلك عن الفكر تماماً ، إنما تغير مجرى تفكيرك ، وتستبدل فكراً بفكر ، فتستريح .









الإنسان الروحي :

يحيا بالروح لا بالحرف

إنه يضع أمامه على الدوام قول الرسول :

« لا الحرف ، بل الروح . لأن الحرف يقتل ، ولكن الروح يحيى » (٢كو٣: ٦). وهذا المبدأ يشمل حياته كلها . فهو فى كل وصايا الله .

يهتم بروح الوصية ، وليس بحرفيتها ...

إنه ليس فريسياً ولا ناموسياً ، ولكنه شخص روحى . فالفريسيون كانوا يتمسكون بحرفية الوصية ، كما فعلوا مع الرب فى وصية السبت مثلاً . حتى أنه حينما منح البصر للمولود أعمى ، وكان ذلك يوم سبت ، قالوا « هذا الإنسان ليس من الله ، لأنه لا يحفظ السبت » (يو٩: ١٦). وقالوا للمولود أعمى « إعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء » (يو٩: ٢٤). ولما شفى السيد مريض بيت حسدا بعد مرضه ٣٨ عاماً ، يقول الكتاب إن اليهود « كانوا يطلبون أن يقتلوه ، لأنه فعل ذلك فى يوم سبت » (يو٥: ١٦).

إنه الحرف الذى يقتل ، لأنه يدل على عدم فهم لروحانية الوصية .

وسنحاول أن نتأمل بعض نقاط فى الحياة الروحية ، لنرى كيف يسلك الإنسان الروحى بالروح وليس بالحرف .

الصّـــوم

كثيرون يصومون ، و يظنون أن الصوم هو فقط الطعام النباتى . ويحاولون أن يجهزوا لأنفسهم أطعمة نباتية شهية جداً فى أكلها ، ومغذية جداً فيما يضيفونه عليها من ألوان الطعام النادرة والغالية الثمن ... ! و يتساءلون عن السمن النباتى ، والجبنة النباتى ، واللبن النباتى ، والشيكولاته النباتى . و ينسون قول دانيال النبى عن صومه :

« كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام ، لم آكل طعاماً شهياً، ولم يدخل فمى لحم ولا خمر. ولم أدّهن » (دا ١٠ : ٢، ٣) ...

وأحب أن أركز هنا على عبارة « لم آكل طعاماً شهياً » ... لأنه حيث يأكل الإنسان أطعمة شهية أثناء صومه ، كيف يمكنه أن يسيطر على رغبات الجسد ، وهو يعطيه ما يشتهيه من الطعام ؟!

★ ★ ★

الإنسان الروحى يدرك أن الصوم فى حقيقته هو إذلال للجسد ، وانتصار على شهوة الطعام ، وارتفاع فوق مستوى المادة . فلا يعتبر أن الصوم هو مجرد الطعام النباتى ... إنما هو فى صومه يهتم بعنصر المنع ، أى منع جسده عما يشتهيه ، مهما كان ذلك طعاماً نباتياً صرفاً .

ولهذا كثيرون يصومون ولا يستفيدون ، لأنهم يسلكون فى صومهم بطريقة حرفية شكلية .

ولم يدخلوا فى روحانية الصوم ، ولا فى روحانية الوصية الخاصة بالصوم والقصد الإلهى منها !

وهكذا صاموا بالجسد ، وكانت أرواحهم مفطرة .

المطانيات

المطانيات هى السجود . فما هو المقصود بهذا السجود ؟

الإنسان الروحى لا يرى السجود مجرد انحناء الجسد . وإنما أيضاً انحناء الروح مع الجسد .

لذلك يقول مع المرتل فى المزمور « أما أنا فبكثرة رحمتك ادخل إلى بيتك ، واسجد قدام هيكل قد سك بمخافتك » ...

وعبارة « مخافتك » تدل على خشوع الروح أثناء السجود . وعبارة « بكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك » تعنى الشعور بعدم الاستحقاق . وهكذا يصيح الشماس أثناء القداس .

« اسجدوا لله بخوف ورعدة ... » .

هنا المشاعر الروحية تصحب حركة الجسد .

* * *

أحياناً تعتذر لإنسان وتضرب له مطانية ، فلا يقبلها منك إذ يشعر أنها عمل جسداني لا روح فيه .

وقد تقول بعد ذلك : ماذا أفعل له أكثر من هذا ؟ لقد ضربت له مطانية ، وانحنيت برأسي إلى الأرض !!

يا أخي المهم أن تنحني روحك ... لا تتمسك بحرفية المطانية دون روحها .

أما الإنسان الروحي ففي سجوده يقول مع داود النبي :

« لصقت بالتراب نفسي » (مز ١١٩ : ٢٥) .

وليس مجرد رأسي التي لصقت في سجودها بالتراب .

النفس التي تلتصق بالتراب هي مقبولة أمام الله والناس .

* * *

قرأت لأحد الرهبان مقالاً في عيد الغطاس ، شرح فيه كيف أن السيد المسيح انحنى أمام المعمدان ، لكي يكمل كل بر ، مع أن يوحنا المعمدان أقل من السيد المسيح بما لا يقاس ، وليس أهلاً أن ينحني ويحل سيور حذائه ... ثم ختم مقاله بعبارة : « اعطنا يارب أن ننحني أمام من هم أقل منا ... لكي نكمل كل بر » ... !!

إن كنت ترى أنهم أقل منك ، فما معنى الانحناء إذن ؟! أهو حرفيات بغير روح ؟ إننا نريد إنحناء الروح .

الصّلاة

الصلاة حرفياً هي الحديث مع الله .

وهي روحياً : اتصال روح الإنسان بروح الله .

وقد يصلى إنسان ، أو يظن أنه يصلى ، بينما لا توجد هذه الصلة بينه وبين الله !!

لذلك وبخ الله اليهود بقوله « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » (أش ٢٩ : ١٣) (متى ١٥ : ٨) .

إنها صلاة غير مقبولة ، لأن الله يريد القلب .

أتظن أنك تصلى ، لأنك تحرك شفتيك أمام الله ؟!

وقد يكون ذلك بلا فهم ، وبلا روح ، وبلا مشاعر : بلا حب ، بلا خشوع ، بلا اتضاع ... !!

أتريد أن ترضى ضميرك من جهة الصلاة ؟! حتى لو كانت هكذا !! أم تصلى بروحك ، وتصلى بذهنك ، تقصد كل كلمة تقولها فى صلاتك ...

صدق ماراسحق عندما قال عن مثل هذه الصلاة :

قل لنفسك : أنا وقفت أمام الله لكى أعدّ ألفاظاً .

ذلك لأن كثيرين يهمهم أن يطيلوا الصلاة بغير فهم ، أو أنهم يتلون عدداً كبيراً من المزامير، بسرعة لا تأمل فيها ، ولا يتابعون معنى الألفاظ أثناء صلاتهم !!

والمزامير كلها روحانية ، لكنهم يقتصرون على الحرف .

* * *

وبالمثل يرددون كلمات التسبحة فى الابصلمودية بسرعة عجيبة ، لا يتابعون فيها المعنى... وكذلك بالنسبة إلى كثير من الألحان... المهم أمامهم هو الحرف وليس الروح . والشعور بأن الإنسان أدى (قانونه) فى الصلاة ، واستراح ضميره بذلك ، بينما لم تصعد هذه الصلاة إلى الله ، لأنه لم تكن هناك صلة ، ولم تشترك الروح فيها ولا القلب ...

أما الإنسان الروحى فيقول مع الرسول «أصلى بالروح ، وأصلى بالذهن أيضاً» (١كو١٤: ١٥).

« أرتل بالروح ، وارتل بالذهن أيضاً » ...

القُبلة المقدّسة

نسمع فى القداس عبارة « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » . والقبلة هى تعبير عميق عن الحب . وعبارة « مقدسة » تعنى أنها تكون طاهرة وبغير رياء ...

ويسلم كل منا على من يجاوره ، رمزاً إلى سلامه مع الناس جميعاً ... فهل نقتصر على هذا الشكل أو هذا الحرف ؟! بينما لا يكون سلام فى قلوبنا مع الناس !!

يهوذا الاسخريوطى قبّل السيد المسيح .

بالحرف لا بالروح ، والحرف يقتل ... مظهر خارجى يدل على المحبة ، تختفى وراءه خيانة ... لذلك تحرم الكنيسة التقبيل من أربعاء البصخة ، احتجاجاً على قبلة يهوذا الخائنة .

★ ★ ★

وأنت كلما تقابل أناساً تبدأ بالسلام .

أهى حرفية كلمة سلام ؟ أم هو سلام حقيقى بالمعنى الروحى ؟ ... ما أكثر ما تقول من كلام ، ومن تحيات ، ومن مجاملات ، بمجرد الحرف ، وبلا روح .

ماذا يفعل الإنسان الروحى إذن ؟ أيمتنع عن المجاملات ؟ كلا ، بل تكون بالروح والحق ...

تدل على الحب والتعاطف وحسن التعامل مع الناس وتوقيرهم ... يفعل هذا من كل القلب ، وتظهر مشاعره واضحة فى ملامح وجهه ، وفى نظرات عينيه وفى حرارة ألفاظه . إنها بالروح لا بالحرف .

العَطَاء

الإنسان الروحى يعطى أولاً من قلبه ، بكامل حبه ، قبل أن يعطى من ماله ومن جيبه . عطاؤه هو مجرد تعبير عن مشاركته القلبية فى احتياجات الناس ، وفى احتياجات الكنيسة .

ولكن بعض الناس قد يقدمون العطاء بغير مشاعر، لمجرد التنفيذ الحرفي للوصية..!

و ينسون قول الكتاب « المعطى المسرور يحبه الرب » (٢كو٩ : ٧)... العطاء يبدأ من القلب، وليس بمجرد اليد. والمعطى روحياً هو الذى يفرح حينما يعطى، لأنه يشعر أنه اشترك فى اسعاد الناس، أو أخذ بركة المساهمة فى احتياجات الكنيسة.

★ ★ ★

غير أن البعض يحاسبون الله حساباً عسيراً !!

يقتصرون على العشور، إن دفعوها !! و يدققون فى حساباتهم جداً، حتى لا يزيد العطاء عن العشور... وقد يدخلون فيها بعض واجباتهم الاجتماعية اللازمة نحو الأقرباء والمعارف، وما اضطروا لدفعه من مناسبات معينة لبعض المشروعات ولشئون الخدمة.

و يظهر أن القلب غير مشترك فى العطاء ...

وأن محبة المحتاجين غير مرتبطة بالعطاء. بل قد يصحبه تحقيق شديد معهم، وربما انتهار للفقراء، وربما شيء من التعالى والكبرياء، وربما تأخير هذا العطاء فترة قد تطول.

ونظن أننا نعطى. وننسى عبارة « من يدك أعطيناك » (١ أى ٢٩ : ١٤). وكأن العطاء مجرد ضريبة ندفعها.

الخدمة

أحياناً نأخذ من الخدمة حرفيتها أو شكليتها. ونظن أننا نساهم فى عمل الكنيسة، دون أن ندخل إلى روح الخدمة. بل حتى من جهة الحرف ننسى المعنى الحرفى لكلمة خادم.

وننسى الاتضاع اللازم للخدمة.

وتصبح الخدمة مجالاً لإظهار الذات، ويختلط بها حب السيطرة والنفوذ، والتنافس بين الخدام، الأمر الذى لا يتفق مطلقاً مع كلمة (خادم). وكأننا فى الخدمة

نركز حول ذواتنا، وليس حول ملكوت المسيح الذى قال عنه يوحنا :

« ينبغى أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص » (يو ٣ : ٣٠) .

وتصبح الخدمة مجرد معلومات يلقيها خادم مدارس الأحد ، أو مجرد أعمال إدارية ومالية يقوم بها مجلس الكنيسة ولجانه . أو مجرد أنشطة تقوم بها الهيئات العاملة فى الكنيسة ... وفى كل هذا ننسى روح الخدمة .

★ ★ ★

أما الإنسان الروحى فيخدم عن حب لله ولملكوته . وحب للناس الذين يريد أن يوصلهم إلى الله والملكوت .

إنه يخدم بروح الخادم ، وبروح الخدمة ، لكى يصلح المخدومين مع الله ، أو يعمق محبتهم له . ولذلك فخدمته تكون خدمة روحية ، وليست مجرد نشاط أو تعليم أو رسميات ، أو مراكز!

يـــوم الـــربّ

تقديس يوم الرب هو وصية قديمة ، نفذها اليهود حرفيــاً ، طاعة لقول الرب «أما اليوم السابع ففيه سبت للرب . لا تعمل فيه عملاً ما » (خر ٢٠ : ١٠) .

بالحرف هو أنك لا تعمل عملاً ما .

أما بالروح فهو سبت للرب ، أى راحة للرب . يستريح فيه الرب معك ، وتستريح أولاده أيضاً .

★ ★ ★

وهذا ما يفعله الإنسان الروحى ، حيث يجد راحته فى إراحة الناس ، وفى راحة قلبه مع الله وفى عمل الخير الذى يستريح به ضميره من نحو نفسه ومن نحو غيره . وبهذا يصبح اليوم سبتاً أى راحة ، حسب مفهوم الكلمة لغوياً وروحياً ...

وهذه النقطة كانت موضع جدل بين السيد المسيح واليهود :

هل يحل فعل الخير فى السبوت ؟ (مت ١٢ : ١٠ ، ١٢) .

وكانت اجابة الرب أنه يحل فعل الخير فى السبت ، لأن فعل الخير يريح الناس . وهذا هو روح الوصية ...

إذن لا تقتصر على الحرف ، الذى هو عدم عمل أى عمل من الأعمال ، حتى لو كان خيراً ... !

لأنك بهذا تريح روحك ، ولا تريح الناس .

الطقوس

الإنسان العادى ، السطحى غير العميق ، ربما لا يدرى الروحيات الكامنة فى كل طقس من طقوس الكنيسة ...

أما الإنسان الروحى ، فيدخل إلى أعماق هذه الطقوس ورموزها ، ويشترك بروحه فيها ...

ويتابع بالروح تحركات الشمامسة والآباء الكهنة .

★ ★ ★

فمثلاً حينما يحمل الكاهن الإنجيل فوق رأسه ، ويدور به حول المذبح ، يدرك الإنسان الروحى أن هذه الدورة تشير إلى انتشار الإنجيل فى المسكونة كلها ... ويصلى بقلبه من أجل هذا ...

وحينما يمسك الشماس شمعة أمام الإنجيل ، يتذكر الإنسان الروحى قول المرتل فى المزمور : «سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى» (مز ١١٩) . ويصلى إلى الله أن ينير بصيرته بما يسمعه من كلامه المقدس .

وحينما يرفع رئيس الكهنة تاجه خشوعاً واحتراماً أثناء قراءة الإنجيل ، ينتقل نفس الخشوع إلى قلب الإنسان الروحى وهو يسمع ...

وبصفة عامة تشترك روحه فى كل صلوات القداس وفى كل صلوات الليتورجيات . ولا يقتصر فقط على الاشتراك بحواسه ، وإنما بقلبه أيضاً وروحه ، لأن الروح هو الذى يحيى ...

ونفس الوضع بالنسبة إلى الأعياد ...

الإنسان الروحى لا ينظر إلى العيدكمجرد يوم فرح ، انتهى الصوم فيه ، كما يفعل الكثيرون. إنما يدخل إلى روحانية المناسبة التى من أجلها نحتفل بالعيد ، و يتأملها و يعيش فيها . ففى عيد الميلاد ، يفرح لأنه البدء العملى لقصة الخلاص ، و يفرح بما فيها من اتضاع وحب و يفرح فى عيد القيامة بما يحمل من الانتصار على الموت ، وفتح باب الفردوس ، ولأنه باكورة القيامة لنا جميعاً .

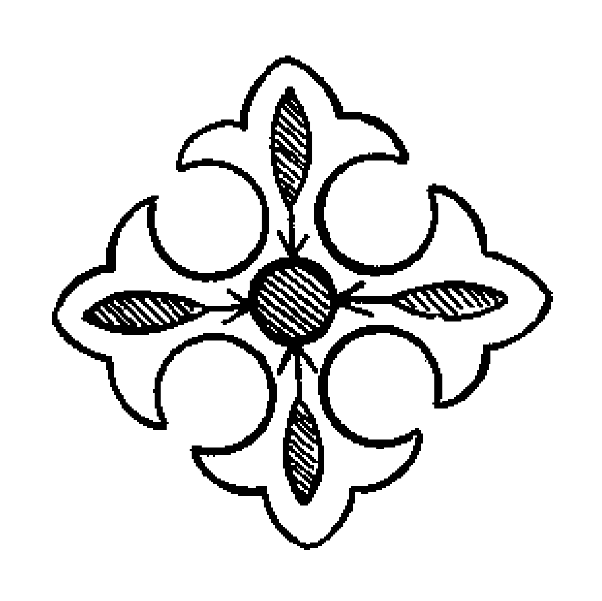
العقيدة

هى بالنسبة إلى الإنسان العادى ، ربما تكون مجرد لاهوتيات وأمور عقلية ربما تصبح معه موضع جدل مع الطوائف الأخرى . أما بالنسبة إلى الإنسان الروحى ، فهى إيمان يسرى فى دمه ، وله تأثيره على روحياته .

فالمعمودية مثلاً ، إذ يؤمن أنها موت مع المسيح وقيامة (رو٦ : ٤ : ٨) وفيها صلب للإنسان العتيق (رو٦ : ٦ ، ٤) ، يحرص أن يحتفظ بصلب هذا الإنسان العتيق . وإذ يعرف أن المعمودية ميلاد جديد (يو٣ : ٥) (تى٣ : ٥) ، يتذكر قول الرسول إن المولود من الله لا يفعل خطية ... ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله (١يو٣ : ٩) . فيبكت نفسه كلما أخطأ ، ويحاول أن يحيا فى فاعلية المعمودية ...

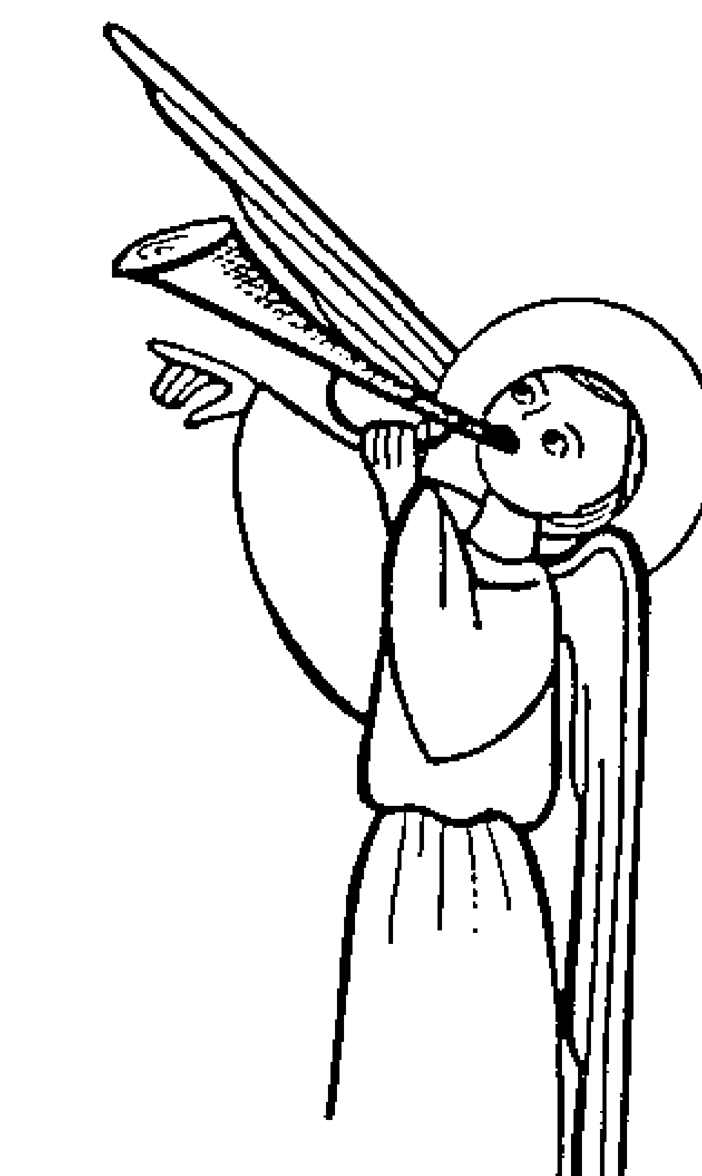
وهكذا مع باقى أسرار الكنيسة .

يدرك النعمة التى فى كل سر ، ويحيا فيها ...









الإنسان الروحي :

بين الروح والنفس والجسد

الإنسان الروحى يرتفع فوق مستوى الجسد والجسدانيات، ولا يسلك حسب الجسد.

وفى ذلك قال القديس بولس الرسول «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو٨: ١). وقال أيضاً «إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨: ١٣). وشرح هذا الأمر بقوله «الذين هم حسب الجسد، فبما للجسد يهتمون. ولكن الذين حسب الروح، فبما للروح. لأن اهتمام الجسد هو موت. ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله» (رو٨: ٥-٧). وهنايواجهنــا سؤال هام:

* * *

هل الجسد خطية؟ والجواب: كلا. فلماذا؟

★ إن الجسد ليس شراً فى ذاته، وإلا ما كان الله قد خلقه. لأن الله لا يخلق الشر. بل إن الله بعدما خلق الإنسان بهذا الجسد، «رأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جداً» (تك١: ٣١).

★ ولو كان الجسد شراً، ما كان السيد المسيح له المجد قد لبس جسداً (يو١: ١٤).

★ وأيضاً لأن الجسد يمكنه أن يشترك فى العبادة ويخدم الله. يركع ويسجد، ويرفع نظره إلى فوق، ويرفع يديه فى الصلاة، ويصوم، ويتعب فى الخدمة.

★ وهكذا فعل كثير من القديسين. اشتركت أجسادهم مع أرواحهم فى العمل الروحى، وعاشوا وهم فى الجسد حياة بارة. وكانت أجسادهم مقدسة.

★ والجسد ليس شراً، وإلا ما كان الله يقيمه، ويمنحه نوعاً من التجلى، فيصير جسداً روحانياً نورانياً سماوياً (١كو١٥: ٤٤، ٤٩). يقام فى مجد...

★ ولو كان الجسد شراً ، ما كنا نكرم اجساد ورفات القديسين . وما كانت تحدث معجزات من أجسادهم ، كما حدث مع عظام اليشع النبى (٢مل١٣ : ٢١) .

إننا نكرم أجساد القديسين ، ونضع عظامهم فى أديرتنا وكنائسنا ، ونحتفى بها ، ونفرح باقتنائها ، ونبخر لها ، وندهنها بالاطياب . وننال منها بركة .

★ ولو كان الجسد شراً ، ما كان الرسول يقول : «مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله» (١كو٦ : ٢٠) . إذن يمكن أن يكون الجسد أداة لتمجيد الله .

★ الجسد أيضاً ليس شراً ، لأن الكتاب يقول «ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟... أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم» (١كو٦ : ١٥ ، ١٩) «هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو» (١كو٣ : ١٦ ، ١٧) .

★ ★ ★

الجسد إذن ليس خطية ولا شراً . ولكن الخطية هى فى السلوك حسب الجسد ، فى شهواته ورغباته الأرضية . الخطية هى فى تغليب الجسد على الروح .

مادام الجسد إذن ليس شراً ، فلماذا الحديث عن الصراع بين الجسد والروح ؟ ولماذا إذن قول الرسول «اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد . لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد» (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) .

هنا لا يتحدث الرسول عن الجسد كما خلقه الله .

فآدم وحواء - قبل الخطية - كان لكل منهما جسد . وكانا يعيشان فى براءة كاملة «وكان كلاهما عريانين ، وهما لا يخجلان» (تك٢ : ٢٥) . والأطفال الصغار والرضعان ، لهم أجساد وليست فيها شهوة للخطية ... إنما يتحدث الرسول عن الجسد الخاطىء .

★ ★ ★

الجسد إذن فى ذاته ليس شراً ، ولكن ...

الجسد من تركيب مادى . وقد يميل إلى المادة وينفعل بها ، وينفصل عن سيطرة الروح ، ويقاومها .

وهنا يبدأ الصراع . وتبدأ الشهوة الخاطئة ...

على أن احتياج الجسد المادة ، بطريقة طبيعية غير شهوانية ، ليس فى ذلك خطأ . فالجسد مثلاً يحتاج إلى أطعمة مادية وإلى ألوان من التغذية ، وليس فى ذلك خطأ . بل الرسول يقول إن الإنسان «يقيت جسده و يربيه» (أف ٥ : ٢٩) . وقد طوب الرب المهتمين بالجياع والعطاش والعرايا ...

واعتبر اهتمامهم بهؤلاء ، كأنه موجه إليه شخصياً . فقال للذين عن يمينه فى اليوم الأخير «تعالوا إلى يا مباركى أبى ... لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ... عرياناً فكسوتمونى» (مت ٢٥ : ٣٥- ٣٦) ... وكلها أعمال موجهة إلى صالح الجسد ...

هذا هو نصف الحقيقية . فما هو النصف الآخر ؟

* * *

الإنسان الروحى يردد قول الكتاب : أقمع جسدى وأستعبده (١كو٩ : ٢٧) أى أقمع شهوته .

أن يعطى الجسد احتياجه الطبيعى من المادة ، وليس أكثر . فإن وصل الجسد إلى اشتهاء المادة والتعلق بها ، مما يخرجه عن النطاق الروحى حينئذ فالإنسان الروحى يقمع الجسد و يستعبده ، أى يجعله عبداً للروح ، لا يتمرد عليها ، ولا يستقل عنها فى تدبير ذاته .

و يصل الإنسان الروحى إلى ذلك عن طريق النسك والصوم وصلب الجسد .

وعن هذا الأمر يقول الرسول «ولكن الذين هم للمسيح يسوع ، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥ : ٢٤) ... هؤلاء يقاومون «شهوة الجسد ، وشهوة العين» (١يو٥ ، ١٦) هذه التى قال عنها الرسول إنها من محبة العالم ...

نحن لا نقتل الجسد ، فقتل الجسد خطيئة ، ولذلك لا نصلى على المنتحر ، إلا لو كان فى حالة جنون لا يحاسب فيها عن أفعاله ... ولكننا نعمل على قتل شهوات الجسد الخاطئة . أى أننا نخضع شهوات الجسد ، لرغبة الروح فى الالتصاق بالله .

وغرض النسك عند الإنسان الروحى ، هو منح فرصة للروح ، لتعمل عملها منطلقة من ثقل الجسد .

الإنسان الروحى يهتم بجسده ، ولكن بأسلوب روحى . ويمتنع عن الاهتمام الذى يغذى شهوات الجسد ، الذى حذر منه الرسول (رو٨ : ٦ ، ٧) .

وحينما يقود الجسد فى حياة النسك ، لا يكتفى بهذا الوضع السلبى ، إنما من الناحية الإيجابية يجعل نسك الجسد فرصة لغذاء الروح . و يشرك الروح مع الجسد فى هذا النسك . فلا يكون مجرد زهد من الجسد ، إنما أيضاً معه زهد النفس .

★ ★ ★

والإنسان الروحى يقيم توازناً فى اهتمامه بكل من الجسد والروح

ففيما يعطى الجسد غذاءه يعطى الروح أيضاً غذاءها ، فكما يعطى الجسد طعاماً كل يوم ، بوجبات متعددة ، وعناصر غذائية منوعة ، كذلك يعطى الروح غذاءها من القراءة الروحية والتأمل والصلاة والألحان والترانيم ، والتناول أيضاً .

وكما يعالج الجسد إذا مرض ، يعالج الروح أيضاً من أمراضها ، بل يلجأ إلى الوقاية بالأكثر . وكما يمنح الجسد نصيبه من الرياضة ، كذلك يستخدم الرياضة الروحية . وكما يهتم الانسان العادى بزينة جسده وهندامه وحسن ملابسه ، كذلك يهتم الإنسان الروحى بزينة الروح الوديع الهادىء . ويجعل روحه تتزين بالفضائل وثمار الروح (غل٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

★ ★ ★

الإنسان الروحى يجعل اهتمامه الأول بروحه وبأرواح الغير أيضاً .

و يتحاشى كل شيء يعطل طريق الروح ، سواء من الخطأ بالنسبة إلى نفسه ، أو العثرة بالنسبة إلى غيره ... يهتم بسلامة روحه ، و بالنمو فى الروح . ذلك لأن روحه هى نفخة الله فيه (تك٢ : ٧) ، بينما جسده من التراب ... بالروح يصير مثل ملائكة الله فى السماء ، وتصير له صلة مع الله ومحبة ، وصلة مع العالم الروحانى من الملائكة والقديسين .

★ ★ ★

وباهتمامه بروحه يعود إلى الصورة الإلهية التى خلقه بها الله منذ البدء (تك١ : ٢٧) .

على شبه الله ومثاله (تك ١ : ٢٦) ما أروع هذا !

وباهتمامه بروحه ، انما يهتم أيضاً بأبديته، تلك الأبدية التى لا يقاس بها أبداً هذا العمر المادى على الأرض... وباهتمامه بروحه أيضاً ، إنما يدخل فى شركة الروح القدس ويعمل مع الله...

★ ★ ★

وهنا نسأل سؤالاً أساسياً : ما هى الحياة الروحية ؟ ونلخص هذه الحياة فى أمرين اثنين :

١ ـ أن يخضع الجسد للروح .

٢ ـ أن تخضع روح الإنسان لروح الله .

فى هذين الأمرين الأساسيين تتلخص كل حياة الإنسان الروحى .

يخضع الجسد للروح ، فلا يقاومها ، ولا يشتهى ضد ما تشتهى الروح ، ولا يدخلها فى صراع معه، كما يحدث مع المبتدئين وغير الكاملين. هذا كله من الناحية السلبية. أما من الناحية الإيجابية، فيشترك الجسد مع الروح فى عملها الروحى. وبهذا يكافأ الجسد مع الروح فى الحياة الأبدية، لأنه اشترك مع الروح فى عمل البر. وسلك فى حياة الروح ، فيستحق لذلك أن يصير جسداً روحانياً (١كو١٥).

★ ★ ★

كذلك نقول إن روح الإنسان تخضع لروح الله ، لأن الروح البشرية وحدها لها أخطاؤها.

فليست كل أخطاء الإنسان سببها الجسد، بل هناك أخطاء للروح. والكتاب يقول «قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح» (أم١٦ : ١٨). ونحن نصلى فى الساعة الثالثة ونقول «طهرنا من دنس الجسد والروح ...» ونقول فى القداس الإلهى طهر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا.

والشيطان ، وهو روح ليس له جسد مادى ، له سقطاته وخطاياه المستمرة. فقد وقع فى الكبرياء (اش١٤: ١٤). وقد صار المقاوم والمتمرد، وسماه الرب «الكذاب وأبو الكذاب» (يو٨ : ٤٤). ونقول فى القداس الإلهى «والموت الذى دخل إلى العالم بحسد ابليس». إذن وقع وهو روح فى خطية الحسد وطبعاً وقع فى

اعثار الآخرين وتضليلهم ... كل ذلك وهو روح . لذلك هو وشياطينه يسميهم الكتاب الأرواح الشريرة ، والأرواح النجسة .

* * *

الروح إذن يمكن أن تخطىء ، إذا انفصلت عن الله . تحتاج الروح إذن إلى شركة الروح القدس .

لذلك منحنا الله المسحة المقدسة (١يو٢ : ٢٠ ، ٢٧) ، التى بها يسكن روح الله فينا ، ويكون معنا إلى الأبد ، ويرشدنا إلى كل الحق (يو١٦ : ٣) . ويعلمنا كل شىء (يو١٤ : ٢٦) ويبكتنا على الخطية (يو١٦ : ٨) وباختصار فإن حياتنا الروحية كلها تتوقف على عمل الروح القدس فينا ، واستجابتنا لعمله ، واشتراكنا معه فى العمل ...

* * *

الإنسان الروحى لا يعمل وحده ، إنما روح الله يعمل فيه ، ويعمل معه ، ويعمل به .

إنه أداة فى يد الله ، وأداة طيعة . هو غصن فى الكرمة (يو١٥ : ١) تسرى فيه عصارة الكرمة ، ويأخذ منها حياة . والله يعمل فيه ، وبدون الله لا يستطيع أن يعمل شيئاً (يو١٥ : ٥) .

سلوكه بالروح ، لا يعنى بروحه البشرية وحدها ، وإنما باشتراك روحه مع روح الله فى العمل . وعلى هذا الاساس وحده ، يسمى انساناً روحياً .

روح الله هو الذى يوجهه و يرشده ، وهو الذى يمنحه الحرارة الروحية ، وهو الذى يمنحه المواهب والامكانيات التى يعمل بها ، و يهبه أيضاً القوة والقدرة .

* * *

والإنسان الروحى له الروح المطيعة ، لا يحزن روح الله ، ولا يقاومه ، ولا يطفىء الروح .

إنه لا يدعى لنفسه أنه عمل عملاً من ذاته . إنما يسجد أمام الله قائلاً : لتكن يارب مشيئتك . أنا من ذاتى لم أعمل شيئاً «فكل شىء بك كان . وبغيرك لم يكن شىء مما كان» (يو١ : ٣) .

المستوى الروحى والمقارنة بالمستوى النفسانى والمستوى الجسدانى

الروحانية هى أولاً السلوك بالروح .

وقد ورد الكثير عن هذا الأمر فى رسالة بولس الرسول إلى رومية إذ قال « لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو٨ : ١) . وقال أيضاً « فإن الذين هم حسب الجسد ، فبما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ، فبما للروح (يهتمون) . لأن اهتمام الجسد هو موت . ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله ... فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله .

* * *

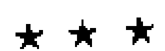
إذن الروحانية هنا هى ارتفاع عن مستوى السلوك بالجسد .

هنا وأحب أن أقول لكم إن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر: الروح والنفس والجسد . وقد وضح القديس بولس هذا الأمر ، حينما قال فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى « إله السلام نفسه يقدسكم بالتمام . ولتحفظ روحكم ونفوسكم وجسدكم كاملة بلا لوم ... » (١تس ٥ : ٢٣) .

إذن الإنسان يتكون من روح ونفس وجسد . وهنا نقول إن الإنسان الروحانى لا يسلك حسب الجسد ولا حسب النفس . السلوك حسب الجسد واضح جداً للجميع ...

كالإنسان الذى يسلك فى شهوات الجسد كشهوة الزنى ، أو شهوة الطعام ، أو شهوة الملبس ... إلخ . ولكن ماذا إذن عن السلوك النفسانى ؟ نقول أولاً :

* * *



لقد حارب الآباء الرسل السلوك النفسانى وأدانوه .

فالقديس يهوذا الرسول يقول فى رسالته «إنه فى الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون سالكون بحسب شهوات فجورهم . هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم نفسانيون لا روح لهم» (يه ١٨ : ١٩) . لاحظوا إذن قوله :

نفسانيون ، لا روح لهم .

هؤلاء «سالكون بحسب شهوات فجورهم» . ولعله يفهم من هذا أن شهوات الجسد تقودها عوامل نفسانية خاطئة ، بعيدة عن اتجاه الروح ...

والقديس يعقوب الرسول يفرق بين الحكمة الإلهية ، وحكمة أخرى يقول عنها إنها «ليست نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية» وإنها تسبب الغيرة المرة والتحزب والتشويش وكل أمر ردىء (يع ٣ : ١٤ - ١٦) .. لاحظوا أن وصف نفسانية ارتبط أيضاً بعبارة «أرضية شيطانية» .. ما أصعب هذا الوصف ...

ربما هذا التفصيل غير مستخدم كثيراً . فالناس غالباً ما يتحدثون فقط عن السلوك الروحانى ، والسلوك الجسدى . ونادراً ما يتحدثون عن السلوك النفسانى الممقوت ...

* * *

الإنسان النفسانى تقوده النفس وغرائز النفس وعقلية النفس ومشاعرها بدون روح .

وهذا أمر فيه أخطاء وخطايا كما سنرى .

والإنسان الجسدانى تقوده شهوات الجسد ورغباته .

فماذا إذن عن الإنسان الروحانى ؟

* * *

الإنسان الروحانى يتصف بصفتين وهما :

١ - ينتصر على الجسد وعلى النفس ، ويسلك حسب الروح .

٢ - الصفة الثانية أن روحه تخضع لروح الله ...

يوجد إنسان فى داخله صراع بين شهوات الجسد وشهوات الروح (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) . أما الروحانى فقد خضع فيه الجسد تماماً للروح . ولكن هذا وحده لا يكفى ،

لأن أخطاء الإنسان ليس سببها فقط شهوات الجسد . فهو قد يخطىء بروحه وحدها ... ولا تتعجبوا من هذا فالشيطان روح ، ومع ذلك فقد أخطأ . فهو روح متمردة وروح شريرة .

والكتاب يتحدث كثيراً عن الأرواح الشريرة .

والسيد المسيح أعطى تلاميذه سلطاناً على اخراج الأرواح الشريرة ، أى أرواح الشياطين . إذن ممكن أن الأرواح لا تخطىء . وممكن أن الإنسان يخطىء بروحه ...

أما الإنسان الروحى ، فإنه لا يخطىء بروحه ، لأن روحه خاضعة تماماً لروح الله ...

* * *

إذن الإنسان الروحى : نفسه وجسده يخضعان لروحه ، وروحه تخضع لروح الله .

ولذلك نقرأ فى الرسالة إلى رومية عبارة جميلة جداً وهى « لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فاؤلئك هم أولاد الله » (رو٨ : ١٤) . هؤلاء هم الروحانيون ، الخاضعون لروح الله . الذين يقودهم روح الله ، وهم طائعون لقيادة روح الله . ولكى تنقاد بروح الله ينبغى أن يكون روح الله ساكناً فيك .

من أجل هذا ، جعل الله روحه يسكن فينا .

فقال الكتاب « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله ساكن فيكم » (١كو٣ : ١٦) . وروح الله الذى فيك يعطى روحك معرفة ، و يعطيها إرشاداً . يقودها فى الطريق .. يوبخها على خطية ، ويحثها على الخير، و يذكرها بكل ما قاله الرب و يعلمها كل شىء (يو١٤ : ٢٦) .

لذلك الكنيسة تمنحك المسحة المقدسة ، مسحة الروح .

وعن هذه المسحة تحدث القديس يوحنا الحبيب مرتين فى رسالته الأولى ، فقال « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شىء » « وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ، ثابتة فيكم » (١يو٢ : ٢٠ ، ٢٧) . ونحن ننال هذه المسحة فى سر الميرون المقدس . وكانوا ينالونها فى بداية العصر الرسولى بوضع اليد .

* * *

إذن تعتمد على قيادة روح الله لك، وليس على الحكمة البشرية وحدها ...

الحكمة البشرية وحدها هى جهالة عند الله (١كو٣: ١٩). وقد شرح القديس بولس الرسول هذا الأمر بعمق شديد وتفصيل، فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، فى الاصحاح الثانى ...

أمثلة للمستويات الثلاثة

الشهـــوة

هناك شهوات للجسد والنفس والروح .

شهوة الجسد هى الخطية كشهوة الحواس، وشهوة الزنى، وشهوة البطن .

وشهوة النفس أحياناً تكون نوعاً من حب الذات وحب النفس . ولنضرب مثالاً فى كل ذلك بسليمان الحكيم :

لقد سلك فى هذه الشهوات فقال « مهما إشتهته عيناى، لم أمنعه عنهما » (جا ٢ : ١). وشرح تفاصيل ذلك فقال « بنيت لنفسى بيوتاً . غرست لنفسى كروماً . عملت لنفسى جنات وفراديس، وغرست فيها اشجاراً من كل نوع ثمر. عملت لنفسى برك مياه. قنيت عبيداً وجوارى ... جمعت لنفسى فضة وذهباً ... اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات » (جا ٢ : ٤ - ٨) .

هنا شهوة الجسد، وشهوة العيون، وشهوات باقى الحواس ... هذه هى شهوة الجسد، ووجدها باطلة وقبض الريح .

وماذا إذن عن شهوات النفس ؟ يقول « لم أمنع قلبى من كل فرح . لأن قلبى فرح بكل تعبى. وهذا كان نصيبى من كل تعبى ... » ... وهنا نقول :

فرح سليمان بكل غناه وشهوات جسده كان فرحاً نفسانياً .

ولم يكن فرحاً روحياً على الاطلاق . فما هو الفرح الروحى ؟

الفرح

الفرح النفسانى ، هو فرح بشهوات الجسد ، كما فرح سليمان بكل متعه وغناه. أما فرح الروح فهو الذى يقول عنه الكتاب :

« افرحوا فى الرب كل حين ... » (فى ٤ : ٤).

تقرأ عن فرح سليمان فى (جا ٢). فلا تجد إسم الرب اطلاقاً..! إنه فرح بالجنات والفراديس ، والشجر ، والبقر ، والذهب ، والفضة ، والسيدات والمغنيات... وليس بروحه وصلة روحه بالله. إنه مجرد فرح نفسانى ، باطل وقبض الريح ... لهذا نحن نفرق فى أمور الفرح بين تعبيرات عديدة مثل اللذة (وهى خاصة بالجسد والحواس) ، والسرور ، والفرح (و بعضها خاص بالنفس والآخر بالروح).

الفرح بالرب هو فرح روحانى :

تفرح لأنك عرفت الله ، تفرح لأن لك صلة بالله وعشرة ، تفرح بسكنى روح الله فيك وارشاده لك. تفرح لأنك نلت مذاقة الملكوت ، تفرح لانتصار روحك التى حررها الله (يو٨ : ٣٦). تفرح لأنك استطعت أن توصل الناس إلى الله.

★ ★ ★

تلاميذ المسيح وقعوا أحياناً فى الفرح النفسانى.

إنه فرح ليس من نوع فرح سليمان ، بل هو نوع أرقى منه ، ولكنه مرفوض أيضاً.

رجع السبعون إلى الرب فرحين ، بعد إرساليتهم التبشيرية ، وقالوا له «حتى الشياطين يارب تخضع لنا باسمك» (لو١٠ : ١٧) فوبخهم الرب على هذا الفرح النفسانى ، وقال لهم «لا تفرحوا بهذا ، إن الأرواح تخضع لكم. بل افرحوا بالحرى أن اسماءكم قد كتبت فى السموات» (لو١٠ : ٢٠). وهكذا فرق الرب بين نوعين من الفرح : نوع وبخ عليه ، ونوع دعا إليه.

★ ★ ★

مثال آخر وهو فرح البعض بموهبة الألسن وما يشابهها.

إنه فرح بشىء يمجده أمام الناس و يرفع شأنه!! يريد أن يتعظم على حساب

مواهب الله ... وكان الأفضل أن يهتم بنقاوة قلبه وامتلاء القلب بثمار الروح . وفى ذلك قال الرسول « لو كنت اتكلم بألسنة الناس والملائكة ، وليس له محبة ، فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن » (١كو١٣) .

* * *

إذن افرح بثمار الروح ، أكثر مما تفرح بالمواهب .

ثمار الروح التى هى « محبة وفرح وسلام ، وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف » (غل٥ : ٢٢ ، ٢٣) . وهذه توصلك إلى الملكوت بينما المواهب والآيات والرؤى ربما لا توصل ... ! يقول السيد الرب :

« كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم « يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم : إنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

قيل عن القديس يوحنا المعمدان ، إنه لم يصنع آية واحدة (يو ١٠ : ٤١) . ومع ذلك شهد له الرب إنه أعظم من ولدته النساء (يو ١١ : ١١) . وفى التبشير بمولده قيل عنه إنه « من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) . فلا تفرح إذن بالآيات .

القديس بولس الرسول خاف من كثرة الرؤى والاستعلانات .

لأنها خطيرة ، ربما ترفع قلبه . ولذلك قال « ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات ، أعطيت شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع » (٢كو١٢ : ٧) . وصلّى ثلاث مرات أن يرفع الله عنه هذه الضربة ، ولم تقبل صلاته فى ذلك ...

* * *

أم يعقوب ويوحنا الرسولين وقعت فى الفرح النفسانى الباطل .

فجاءت إلى السيد الرب تطلب إليه أن يجلس أحد إبنيها عن يمينه ، والآخر عن يساره فى ملكوته (متى ٢٠ : ٢٠ ، ٢١) . ولكن الرب لم يشأ أن يكون لها فرح بالعظمة ، بل أن يكون لإبنيها فرح بالألم . فقال لهما « لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها » (متى ٢٠ : ٢٢) .

واستجاب الرب لطلبة هذه القديسة، فكان ابنها أول الشهداء من الرسل الاثنى عشر (أع ١٢ : ٢)، وجلس مع الرب عن يمينه ...

* * *

حقاً إن الفرح بالألم هو جزء من الفرح الروحى.

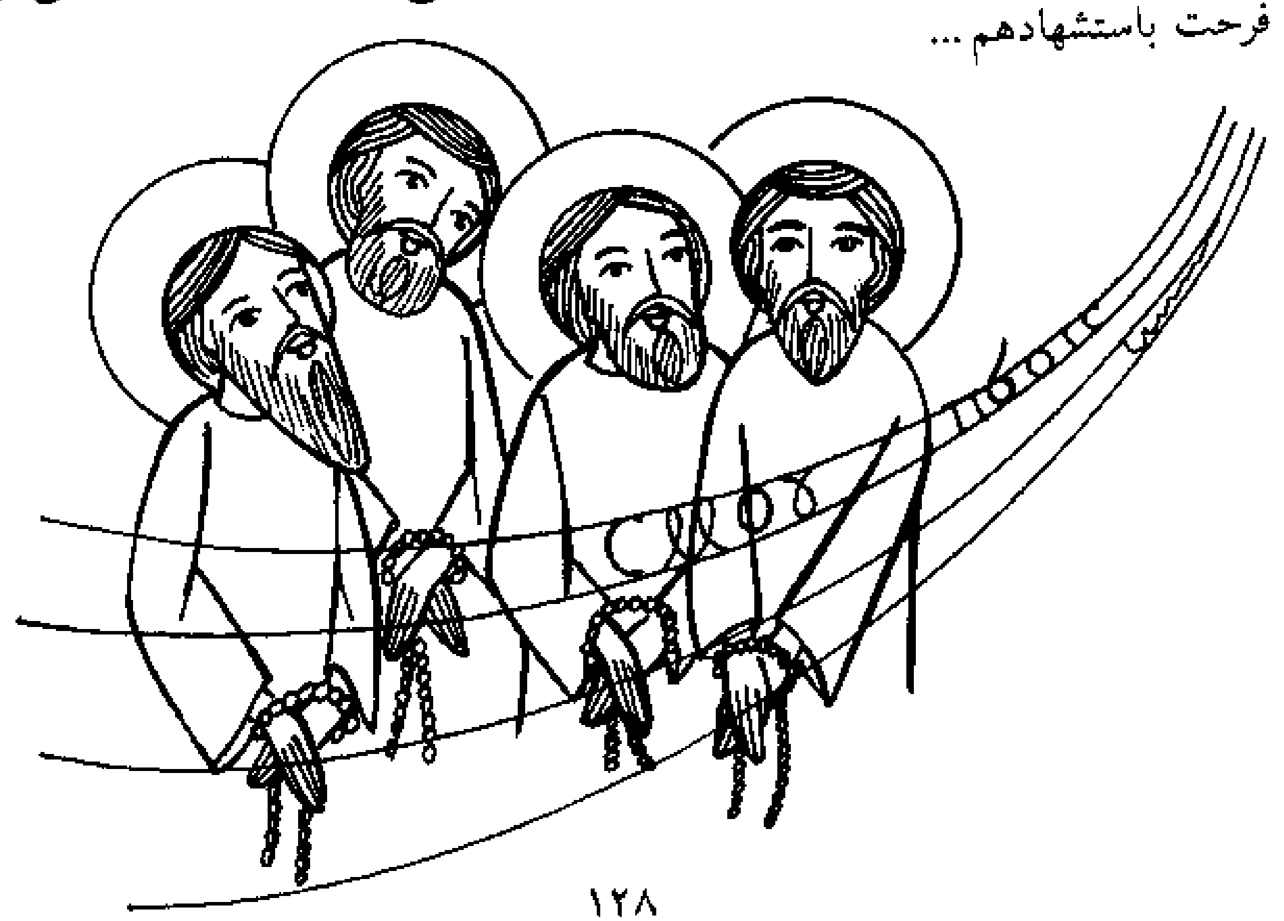
ولذلك بعدما سجنوا التلاميذ وجلدوهم، يقول الكتاب عنهم «وأما هم فذهبوا فرحين، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه» (أع ٥ : ٤١).

ويقول القديس بولس الرسول «لذلك أُسَرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات لأجل المسيح» (٢كو ١٢ : ١٠)... وهكذا كان سرور الشهداء والمعترفين القديسين بملاقاة العذابات والموت. إنه فرح روحانى.

* * *

إن الذى يفرح بأن ينال موهبة المعجزات والآيات، هو ما يزال فى مستوى الفرح النفسانى. أما الفرح الروحانى، فهو الفرح بالرب وليس بمواهبه، وما تجلبه المواهب من عظمة ...

* ولعل من الأمثلة البارزة تلك القديسة العظيمة التى ذبحوا أبناءها الخمسة على حجرها وهى تشجعهم على الاستشهاد، لكى يفرحوا مع الرب فى ملكوته. وهى أيضاً فرحت باستشهادهم ...









الإنسان الروحي :

من صفاته : ضبط النفس

من ضمن الصفات الأساسية التى يتصف بها الإنسان الروحى «ضبط النفس».

فهو لا يترك نفسه تخضع لرغبات الجسد وشهواته بل كلما اشتهت نفسه شهوة خاطئة، يخضعها بكل حزم لقيادة الروح. وكما يقول الكتاب:

« مالك روحه خير ممن يملك مدينة » (أم ١٦ : ٣٢).

يملك نفسه أو يضبطها، أى لا يعطيها كل ما تريد. بل يقف ضدها، عملاً بقول السيد الرب «من يحب نفسه يهلكها. ومن يبغض نفسه فى هذا العالم، يحفظها إلى حياة أبدية» (يو١٢: ٢٥).

إن ضبط النفس يشمل بلا شك عناصر كثيرة :

١ـ ضبط اللسان.

٢ـ ضبط الفكر.

٣ ـ ضبط القلب، بضبط الرغبات والشهوات.

٤ـ ضبط الأعصاب.

٥ـ ضبط البطن من جهة الأكل.

★ ★ ★

والذى يحكم نفسه، يجعلها خاضعة لقيم ومبادىء، وأنظمة وقوانين. لأن الذى لا يحكم نفسه، إنما يسلمها فى الواقع إلى الضياع...

والذى يضبط نفسه، يحبها المحبة الحقيقية...

لأن الذى يدلل نفسه، يضيعها و يضيع غيرها معها. أما الذى يكون حازماً مع نفسه، فإنه بهذا الحزم ينقذها، و ينقذ غيرها منها، ويحفظها فى علاقة طيبة مع الله... و ينظم اهتماماته وعلاقاته هكذا: الله أولاً، الناس ثانياً، نفسه أخيراً...

ضبط اللسان

الإنسان الروحى لا يتكلم بكل ما يأتى على فكره من كلام وأفكار. بل يزن كل كلمة قبل أن يقولها. وميزانه لا يقتصر فقط على كنه الكلمة هل هى فى حد ذاتها

إنما يهمه أيضاً تأثير الكلمة على الآخرين، وردود فعلها، ونتائج ذلك...

فالذى يعرف نتائج أخطاء اللسان، وأى نار يحرق، وكيف يدنس الجسم كله (يع٣: ٥، ٦)... هذا الإنسان يحترس جداً قبل أن يتكلم، و يقول:

« ضع يارب حافظاً لفمى، وباباً حصيناً لشفتى » (مز ١٤١ : ٣).

إنه يعرف أن الكلمة التى تخرج من فمه، لا يمكن أن ترجع مرة أخرى، لأنها قد وصلت إلى آذان السامعين وحُسبت عليه، مهما حاول أن يسحبها أو يعتذر عنها أو يحاول إصلاح نتائجها..! بل أصبحت سبباً للدينونة، حسب قول الرب إنه «بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان» (مت ١٢ : ٣٧).

ضبط الفكر

الإنسان الروحى، كما يضبط لسانه، يضبط فكره أيضاً. فلا يترك عقله يسرح فى أى فكر، ولا يقبل أى فكر خاطىء يأتى إليه، بل يطرده بسرعة، ولا يتساهل أبداً معه...

كذلك لا يقبل الأفكار التى تبدو بسيطة فى أولها، ثم تتدرج إلى ما لا يليق... إنه يكون حازماً مع هذه الأفكار التى تلبس ثياب الحملان وهى ذئاب خاطفة... و يقول فى داخله عن الشيطان، مثلما قال الرسول «نحن لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١).

وإن خدعه فكر ثم اكتشفه، يوقفه بسرعة.

لأن التمشى مع الفكر الخاطىء خيانة للرب، وإعطاء الفكر لأن يثبت أقدامه، ويكبر و يتطور، إلى أن يؤثر على القلب، و يتحول إلى شهوة فيه. فالأفضل التخلص منه من بادىء الأمر.

والإنسان الروحى لا يكتفى بضبط الفكر ومنعه من الخطأ، إنما بالأكثر يشغل عقله بأفكار روحية نقية. حتى إذا جاء الشيطان ليحاربه بفكر ردىء، يجد عقله منشغلاً

بتأمل روحى وغير متفرغ له ... و يستطيع الجو الروحى الذى فى عقله ، أن يمنع أى فكر خاطىء من الاقتراب إليه ... كحصن حصين ...

ضبط الحواس

لما كانت الحواس هى أبواب للفكر...، لذلك فالإنسان الروحى يضبط حواسه ، لكى يضبط فكره . فهو يحفظ عينيه ، ويحفظ سمعه . وإن وصل إلى حواسه شىء يجلب الفكر، يخليه خارجاً بسرعة .

يلجأ إلى سياسة الاحلال . فيضع فكراً بدلاً من فكر .

كما كان القديس الأنبا يوحنا القصير يفعل ، إن سمع شيئاً غريباً ... أو كما قال الأنبا أور لتلميذه «أنظر يا ابنى ، لا تُدخل هذه القلاية كلمة غريبة» ...

ضبط الأكل والشرب .

كثيرون يهتمون بضبط أنفسهم فيما يختص بالأكل بما اصطلح على تسميته بالريجيم، لتخفيف الوزن . إما للعلاج من السكر، أو من الكلوسترول ، أو بسبب مرض القلب ، أو لتحاشى السمنة ... إلخ .

أما الإنسان الروحى فيضبط نفسه فى الأكل والشرب لأسباب روحية ، يدخل فيها النسك والصوم . و يتخذ من ضبطه لنفسه وسيلة لإخضاع الجسد ، لكيما يعطى فرصة للروح ...

★ ★ ★

إن أمنا حواء لم تضبط نفسها من جهة الأكل ، فخالفت وصية الرب وأكلت من الشجرة المحرمة ، وهكذا فعل أبونا آدم أيضاً ... وكانت الخطيئة الأولى ...

وسبق ذلك السقوط عدم ضبط الحواس ، سواء فى السماع للحية ، أو فى النظر إلى الشجرة ، فإذا هى «جيدة للأكل ، وبهجة للعيون ، وشهية للنظر» (تك ٣ : ٦) ... حقاً إن خطيئة يمكن أن تقود إلى خطيئة أخرى ... فتنتقل من الحواس ، إلى الفكر، إلى القلب ، إلى العمل .

مــن جهــة الغضب

أو ما يمكن أن نسميه « ضبط الأعصاب » .

الإنسان الروحى يحاول أن يبعد عن الغضب ، عملاً بقول الكتاب «إن غضب الإنسان لا يصنع بر الله» (يع ١ : ٢٠).

وإن وجد الغضب تحرك فى قلبه ، لا يتركه يسيطر على لسانه وعلى أعصابه .

وهكذا يبذل جهده فى السيطرة على الألفاظ فى وقت الغضب . إما أن يصمت ، أو يتحكم فى كلامه ، أو بالأكثر يصرف الغضب من داخل قلبه ... وبكافة الطرق يحاول أن يهدىء نفسه ، فلا يثور، ولا يرتفع صوته ، ولا يحتد ... كما يحاول أن يهدىء ملامحه أيضاً ... و يعمل بقول الرسول «ليكن كل إنسان مبطئاً فى التكلم ، مبطئاً فى الغضب» (يع ١ : ١٩) . فالذى يسرع إلى الغضب ، يقع فى التهور، و يسقط فى خطايا كثيرة . وقد يتصرف تصرفات يندم عليها جداً حينما يهدأ . و يشعر أنه فى غضبه قد فقد صورته الإلهية ، وصار عثرة لكثيرين ...

★ ★ ★

والإنسان الروحى لا يكتب خطاباً فى ساعة غضب .

ولا يتخذ قراراً فى ساعة غضب .

ولو كتب خطاباً فى وقت غضبه ، لا يسرع بارساله ، إنما يتركه يوماً أو يومين ، ثم يعود إلى قراءته وتنقيحه ، أو يمزقه و يكتب غيره ، حتى لا يصبح وثيقة خطية ضده ، وتكون له نتائجه غير المرضية . وبالمثل بالنسبة إلى القرارات التى يتخذها إنسان فى ساعة غضب ، وتسمى قرارات انفعالية ، غالبيتها مخطئة وغير حكيمة . و يقول الكتاب إن «الغضب يستقر فى حضن الجهال» (جا ٧ : ٩) .

فــى العقيــدة والتعليــم

والإنسان الروحى يضبط نفسه أيضاً من جهة العقيدة والتعليم :

فلا يسرع بنشر أى فكر يدخل إلى ذهنه، نتيجة للقراءة مثلاً ... فيعلّم به، أو يكتبه فى مقال، أو يصدره فى كتاب، أو يلقيه فى دروس ... فكثير من الأفكار تحتاج إلى فترة حضانة طويلة، يأخذ فيها الإنسان مع الفكر ويعطى، ويناقش الفكر داخل ذهنه، قبل أن يصدره إلى أذهان الناس ...

الفكر داخل ذهنك هو تحت سيطرتك . فإذا نشرته ، أصبح تحت سيطرة الناس .

خرج من نطاقك إلى نطاق أوسع، يُحكم فيه عليه وعليك. وما أصدق القديس مقاريوس الكبير حينما قال «احكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك» ولعله أخذ هذه العبارة من القديس بولس الرسول «لأننا لو حكمنا على أنفسنا، لما حكم علينا» (١كو١١ : ٣١) ... لذلك فالإنسان الروحى يضبط نفسه، فهذا خير من أن يضبطه غيره ...

فى الطاعة والالتزام

وهو يضبط نفسه أيضاً من جهة الالتزام، ومن جهة الطاعة والخضوع .

لأن هناك نوعاً من الناس، باسم الحرية، وباسم الكرامة الشخصية أو الاعتداد بالنفس، يفعل كل ما يريد، ولا يبالى بنظام، أو تقاليد، أو قواعد معينة ... ! حقاً إننا نؤمن بديمقراطية، ولكنها أيضاً ديمقراطية منضبطة .

وما أجمل مثال النهر، يجرى فى مجراه ولكن يحده شاطئان. لا يعتديان على حريته فى مجراه، وإنما يضبطانه . فلا يفيض ويتحول إلى مستنقعات ...

الإنسان الروحى هو إنسان ملتزم . يحترم النظام والقواعد المرعية، ويحترم غيره أيضاً.

ويطيع الرسول حينما يقول «اعطوا الجميع حقوقهم ... الإكرام لمن له الإكرام، والخوف لمن له الخوف» (رو١٣ : ٧) ... أما الذى يسير على هواه، ولا يخضع لأحد، لا يخضع لكبير ولا لنظام، بل لفكره فقط ... فهذا ليس إنساناً روحياً، وهو أيضاً لا يطيع تعليم الكتاب، ولا يلتزم بشىء ...

الإنسان الروحى يضبط نفسه من جهة الطاعة ...

طاعة الوالدين ، وطاعة أب الإعتراف ، وطاعة النظام ، وطاعة المواعيد ، وطاعة الله قبل الكل... ولا يرى فى الخضوع أى إنقاص من كرامته إطلاقاً . فالخضوع دليل على الإتضاع ، والإتضاع فضيلة . والإنسان الذى لا يخضع لأحد ، هو بالضرورة خاضع لكبريائه ، أو خاضع لنزواته .

فـى الطـمـوح والـرفـعـة

الإنسان الروحى يضبط نفسه من جهة الطموح وحب العظمة والارتفاع .

كلما يجد ذاته حكيماً فى عينى نفسه ، أو باراً فى عينى نفسه ، يحاول أن يضبط نفسه حتى لا يرتئى فوق ما ينبغى (رو١٢ : ٣) . ولا يرفع نفسه فوق ما قسم له الله (رو١٢ : ٣) .

إن الشيطان لم يستطع أن يضبط نفسه من جهة محبة الارتفاع ، ففيما أراد أن يرتفع فوق كواكب الله (أش ١٤ : ١٤) سقط وكان سقوطه عظيماً ...

★ ★ ★

الإنسان الروحى يضبط نفسه ليس فقط من جهة محبة الارتفاع ، إنما حتى من جهة المواهب .

أو أن الله نفسه يقيم له ضابطاً حتى لا يرتفع . انظر إلى بولس الرسول وهو يقول « ولئلا ارتفع من فرط الاعلانات ، اعطيت شوكة فى الجسد . ملاك الشيطان ليلطمنى لكيلا ارتفع » (٢كو١٢ : ٧) .

كلما يرتفع فكرك يا أخى ، اضبطه . ولا تظن فى نفسك أكثر من حقيقتك . وضع حدوداً لطموحاتك التى قد تدفعك إلى مقارنة نفسك بغيرك . فتجد أنك أعلى وأكبر ، فتفقد الطاعة ، وتفقد الاتضاع ، وتفقد الالتزام ، وتفقد احترامك لغيرك... بل ضع أمامك باستمرار قول الكتاب «قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح» (أم١٦ : ١٨) .

فـى الحيـاة كلهـا

إن ضبط النفس يشمل الحياة كلها ...

فالإنسان الروحى يضبط نفسه من جهة محبة الراحة أو المتعة. يضبط نفسه من جهة الوقت وحسن توزيعه على المسئوليات، واحترام المواعيد ... يضبط نفسه من جهة الانتقام لنفسه إذا لحقته إهانة أو إساءة. يضبط نفسه من النواحى المالية، ومن جهة أخذه وعطائه. يضبط نفسه فى علاقاته مع الآخرين، وإلى أى حد تكون... يضبط مشاعر قلبه وأحاسيسه، فلا تنحرف يمنه ولا يسره.. وحتى من جهة العبادة، ومن جهة الخدمة، وفى اشرافه على الغير، وفى جميع مسئولياته، يضع لنفسه ضوابط.

★ ★ ★

وأخيراً أحب أن أقول ملاحظة هامة وهى :

الذى لا يضبط نفسه، قد يأتيه الضبط اللازم من الخارج :

إن لم ينضبط داخلياً، يأتيه الانضباط على الرغم من إرادته : من المجتمع الذى يرقب تصرفاته ويحاسبه، من عيون الناس التى ترى، وآذانهم التى تسمع ... يضبطه الخوف أو الخجل، أو تضبطه القوانين والعقوبات، أو يضبطه التأديب من سلطة أعلى. أو يضبطه المرشدون الروحيون. أو تضبطه مقاومة خارجية توقفه عند حده، وتمنعه من أى تصرف خاطىء... عجيب أن داود النبى، لما لم يستطع أن يضبط نفسه ويمنع نفسه من الانتقام لذاته، أتاه الانضباط من الخارج، من توبيخ ابيجايل له، فى حكمة وأدب (١صم ٢٥).

خير للإنسان أن يضبط نفسه روحياً، وينال أجراً إلهياً على ذلك، من أن يضطر إلى الانضباط بقوة خارجية، أو أن ينضبط بغير إرادته ...

أما الإنسان الروحى، فإنه يضبط نفسه من الداخل. وإن وجد مقاومة، يلجأ إلى التغصب وإلى التداريب الروحية، ساعياً باستمرار إلى نقاوة القلب، وإلى قداسة التصرف ...







الإنسان الروحي يحيا :

فوق مستوى المرئيات

الأمور التى تُرى وقتية . أما التى لا تُرى فأبدية .

المادة والعالم والجسد ، من الأمور المرئية الزائلة . عش فى العالم ، ولا تجعل العالم يعيش فيك . ما هى الأشياء التى لا تُرى ، لنهتم بها ؟

قال القديس بولس الرسول « ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى ، بل إلى التى لا تُرى . لأن التى ترى وقتية ، أما التى لا تُرى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨)

الأشياء التى لا تُرى

فما هى إذن الأشياء التى لا ترى ؟ نذكر منها الأبدية !

الذى يفكر فى أبديته ، إنما يفكر فى ما لا يرى ، لأنه لا يرى هذه الأبدية بعينيه . ولأن هذه الأبدية كما قال بولس الرسول هى « ما لم تره عين ، وما لم تسمع به أذن ، وما لم يخطر على قلب بشر » .

والذى ينظر إلى أبديته ، لاشك أنه سوف لا يهتم بهذا العالم الحاضر ، بل يزهده ولا يتمسك به .

* * *

وفى الأبدية ننظر الله بالروح .

الله الذى قال عنه الكتاب « الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب ، هو خبر » (يو ١ : ١٨) .

والمتعة بالله شىء لا يدخل تحت نطاق الحواس ، لذلك فهى أبدية . هى فرح لا ينطق به وعجيب ، ولا يستطيع أحد أن ينزعه منا ...

ليتنا ننشغل بالله ، المحيط بنا ، الحالل فى وسطنا ، القارع على أبوابنا ، الذى قال

لنا « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » والذى قال « إذا اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) .

هو إذن معنا وفى وسطنا ، وإن كنا لا نراه، ولكننا نحس وجوده . وفى الأبدية سنراه « وجهاً لوجه » كما قال الرسول (١كو١٣ : ١٢) .

* * *

سنراه ونرى ملائكته وأرواح قديسيه، الذين لا نراهم الآن .

ملائكة الرب حالة حول خائفيه وتنجيهم، وتملأ الكنيسة، وكلهم « أرواح خادمة، مرسلة للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) . ومع ذلك فنحن لا نراهم بهذه العيون المادية، ولكننا سنراهم فى الأبدية ، وكذلك أرواح القديسين .

أما الآن ، فنحن ننظر إلى كل هؤلاء بالروح ونراهم بالإيمان، ونستحى من حضرتهم معنا إن فعلنا خطية .

* * *

الروح من الأشياء التى لا ترى .

أما الجسد فإنه من المرئيات ...

لذلك فالشخص الروحى المحب لله ، لا يعيش ناظراً إلى الجسد وطلباته ، إنما إلى الروح التى لا ترى . يهتم بها وبغذائها الروحى ، وبمصيرها الأبدى وبكل ما يربطها بالله الذى لا يرى ، ويجعلها ملتصقة به ...

* * *

والذى ينظر إلى ما لا يرى ، يهتم بالمعنويات وبالإيمان والخير .

فالإيمان هو « الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) .

والإنسان الروحى الذى يعيش فى الإيمان ، إنما يعيش ناظراً دائماً إلى ما لا يرى ، لأن الأمور التى لا تُرى هى خاصة بالعيان وليس بالإيمان . وقد قال الرسول « لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان » (٢ كو ٥ : ٧) .

وبالروح نعيش فى المعنويات التى لا ترى ، السلامَ الذى نحسه ولا نراه ، الخير الذى نتبعه ولا نراه ... وكذلك كل الفضائل غير المرئية .

* * *

وفى كل أمورنا ، ننظر إلى قوة الله غير المنظورة العاملة معنا .

ولا ننظر إلى ضعفنا الظاهر... وإلى المشاكل التى أمامنا ... وإنما ننظر إلى معونة الله ، كما صلى أليشع النبى من أجل تلميذه جيحزى « إفتح يارب عينى الغلام ليرى أن الذين معنا أكثر من الذين علينا » . وأهم شىء معنا هو قوة الله ، التى نراها بالإيمان عاملة فى الكون . وبهذه القوة نفرح ونغنى مع الرسول « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » ...

* * *

فما هى هذه الأشياء التى ترى ، التى ينبغى على الإنسان الروحى ألا ينظر إليها .

الأشيَاء التى ترُىٰ

المادة من الأشياء التى ترى ، لذلك فهى وقتية ، لا تدوم إلى الأبد . إن لم نفارقها نحن ، فلابد أنها هى ستفارقنا . لذلك قال الله للغنى الغبى من جهة كل أمواله ، ومخازنه « هذا الذى أعددته ، لمن يكون ؟! » .

لذلك سعيد من يكنز له كنوزاً فى السماء ، فى نطاق ما لا يرى ... فتتحول كنوزه من اشياء مرئية ، إلى أشياء غير مرئية ... تتحول إلى روحيات ...

* * *

العالم أيضاً من الأشياء التى لا ترى ، من الأشياء الوقتية .

لذلك قال الرب إن السماء والأرض تزولان . وقال يوحنا الرائى « أبصرت سماءاً جديدة ، وأرضاً جديدة . لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا ، والبحر لا يوجد فيما بعد » (رؤ٢١ : ١) .

كلها أمور زائلة ، لأنها من المرئيات لهذا فإن الكنيسة تردد على آذاننا فى كل قداس قول الرسول :

« لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . لأن العالم يبيد ، وشهوته معه » (١يو٢ : ١٥ ، ١٧) .

من هنا وجدنا أن آباءنا القديسين قد بدأوا حياتهم الروحية بالموت عن العالم.

وفترة حياتهم فى العالم، قضوها فيه كغرباء وليست لهم هنا مدينة باقية، بل يبتغون وطناً أفضل سماوياً» (عب ١١ : ١٣، ١٦). غيرناظرين إلى المرئيات.

* * *

ولعل البعض يسأل: ماذا أفعل عملياً؟ كيف أترك العالم والمادة، وأنا أحيا فيهما؟ إن الرسول يجيب على هذا بقوله «يكون الذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه، لأن هيئة هذا العالم تزول» (١ كو٧ : ٣١).

إذن عش فى العالم، لكن لا تجعل العالم يعيش فيك.

يمكنك أن تملك المادة ولكن لا تجعل المادة تملكك.

العالم مكانه فى الخارج و لا يدخل إلى داخل قلبك أو فكرك أو مشاعرك تستعمل ما فيه من مادة، وأنت متحرر فى الداخل من سيطرتها ومن محبتها.

وكل ما تفقده من أمور العالم، لا تحزن عليه، لأنه لا يصحبك فى اليوم الأخير. وبالتالى لا تشتهى أن تقتنى من العالم شيئاً، فقد قال الرب:

«ماذا ينتفع الإنسان، لوربح العالم كله، وخسرنفسه» (مت ١٦ : ٢٦).

* * *

وعبارة «غير ناظرين» تعنى عدم الاهتمام، وعدم الانشغال، بشىء من أمور المادة والعالم، لأن الفكر منشغل بشىء آخر روحى من الأمور التى لا ترى. وكما قال الرسول «أريد أن تكونوا بلا هم» (١ كو٧ : ٣٢).

* * *

والإنسان الذى لا يهتم بشىء من المرئيات، يعيش بلا شك سعيداً، و يتحرر من الشهوة ومن الخوف...

وفى ذلك قال القديس أوغسطينوس **جلست على قمة العالم حينما أحسست فى نفسى أنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً.**

* * *

إن الإنسان الذى ارتفع فوق مستوى الماديات، هو حصن منيع لا ينهدم، هو فوق

العالم ، وهو فوق الجسد أيضاً .

فهذا الجسد المادى هو أيضاً من الأمور الوقتية الزائلة ، لأنه خاضع للحواس . وسيأتى وقت ننطلق فيه منه ، حينما نخلعه ، ونلبس جسداً آخر روحانياً نورانياً غير قابل للفساد هو جسد القيامة الممجد ...

أما هذا الجسد فسيأكله الدود ، ويتحول إلى تراب ، وحينما يقوم سوف يقام جسداً روحانياً قد تخلص من سيطرة المادة ومتطلباتها وضعفاتها .

* * *

أنت على صورة الله ومثاله والله روح . عش إذن فى الروح .

والروح من الأشياء التى لا ترى . وفى حياة الروح ، تخلص من شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة وتمسك بالأشياء التى تبقى معك فى الأبدية . أما الأمور المرئية فلا تهتم بها ، ولا تجعلها تسبب لك هماً ...

كان السيد المسيح على الجبل ، مع الآب ، منشغلاً بالأمور التى ترى فماذا كانت تجربة الشيطان له ، فى صورها الثلاثة المتحدة فى الهدف ؟

كانت التجربة هى محاولة جذبه مما لا يرى ، إلى عالم المرئيات ...

جذبه إلى الحجارة التى يصيرها خبزاً لطعام الجسد ... إلى المناظر التى تستهوى الحواس ، إلى ممالك الأرض ومجدها .

أما السيد المسيح ، فتمسك بالأشياء التى لا ترى ... بالروح التى تتغذى بكل كلمة تخرج من فم الله ... لذلك رفض كل تلك الماديات ، ولم تترك فى نفسه أثراً .

* * *

إن الإغراء الذى تعرض له أبوانا الأولان كان هو المرئيات ...

إنه الشجرة ، والثمرة ، التى كانت أمامهما « شهية للنظر وبهجة للعيون » (تك ٣ : ٦) . وبنفس الوضع كانت سادوم بالنسبة إلى لوط ، أرضاً معشبة ، صالحة للمرعى « كجنة الله ، كأرض مصر » (١٣ : ١٠) .

* * *

أنظروا إلى قصة يوسف وإمرأة فوطيفار ، كانت هى ناظرة إلى الأمور التى تُرى ، إلى جمال الجسد وشهوته . أما يوسف فكان ناظراً إلى الرب « كيف أخطىء إلى الله ؟! » (تك ٣٩ : ٩) . ولم ينظر مطلقاً إلى الأشياء التى تُرى ، الوقتية ... لذلك خلُص يوسف ، وسقطت المرأة ...

* * *

وبنفس الوضع سقط سليمان :

إن مأساة سقوطه كان سببها قوله « ومهما أشتهته عيناى ، لم أمنعه عنهما » (جا ٢ : ١٠) .

لذلك قال « بنيت لنفسى بيوتاً . غرست لنفسى كروماً . عملت لنفسى جنات وفراديس ... جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً ... أتخذت مغنين ومغنيات ، وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات ... » (جا ٢ : ٤ - ١٠) .

وماذا كانت النتيجة ؟ قادته كلها إلى البعد عن الله (١ مل ١١) .

واكتشف أخيراً أن كل هذه المرئيات هى « باطل الأ باطيل . الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس » . (جا ٢ : ١١) .

ولكنه أكتشف هذه الحقيقة متأخراً بعد أن أثرت على روحه ، وبردت نفسه وأسقطته فيما لا يسقط فيه الحكماء !

إن الغنى قد أتلف سليمان ، وأوقعه فى شهوات متعددة ، وأمال قلبه إلى النساء . والغنى أيضاً أبعد الشاب الغنى عن المسيح ، فمضى حزيناً ...

* * *

ولكن بعض الأغنياء احتفظوا بمحبتهم لله ، لأنهم لم يحبوا المال ، ولم ينشغلوا بجمعه وتكويمه وخزنه ، وإنما باعوا كل أموالهم وأعطوها للفقراء ، كما فعل القديس أنطونيوس الكبير والقديسة ميلانيا ، وكما كان يفعل أيضاً أيوب الصديق .

العيب إذن ليس فى المال ذاته ، إنما فى النظر إليه ، فى محبته ، وفى الإتكال عليه ، وفى الكبرياء بسببه .

كل هذا عن الأشياء الى ترى .

بالنظر إلى ما لا يرى عاش الرهبان والنساك والسواح .

نظروا إلى كل ما يرى ، فإذا هو زائل وفانٍ ، لا يستحق اهتمامهم . فارتفعوا فوق مستواه وفوق كل رغبة فيه . وماتوا عن العالم ، عن المرئيات ، ناظرين إلى ما لا يرى ، من فرط محبتهم للملك المسيح .

وبالمثل عاش آباؤنا ، الذين حسبوا أنفسهم غرباء على الأرض .

ناظرين إلى المدينة التى لها الأساسات التى صانعها و بارئها الله (عب ١١: ١٣ ، ١٠) . كانت نظرتهم مركزة فى الأبدية التى وعدهم الرب بها . لم يروها بالعين ، ولم ينالوا المواعيد ، لكنهم نظروها من بعيد وصدقوها . وهكذا كان داود النبى يقول « غريب أنا على الأرض » « نزيل مثل جميع آبائى » (مز٣٩ : ١٢) (مز١١٩)... كذلك موسى النبى ، الذى كان أميراً فى القصر الملكى . ولكنه لما كبر لم ينظر إلى هذه العظمة المرئية ، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر... (عب ١١ : ٢٦) .

نفس الوضع بالنسبة إلى الشهداء والمعترفين .

تقدموا إلى الموت ، غير ناظرين إلى العالم وكل ما فيه . ورافضين الاغراءات التى عرضت عليهم ، لأنهم كانوا مركزين نظرهم فى ما لا يرى ، فى الحياة الأبدية التى لا ترى ، فى ما لم تره عين... (١كو٢: ٩)... ماذا نقول إذن عن الذين لا يدفعون العشور ، لأنهم ينظرون إلى ما يرى . ولا يلتفتون إلى البركة التى لا تُرى .

السيد المسيح كان مثالاً فى النظر إلى ما لا يرى .

فى معجزة الخمس خبزات والسمكتين ، لم ينظر المسيح إلى الخبز الذى يُرى ، إنما رفع نظره إلى فوق ، وبارك . وفى حديثه مع السامرية ، لم يهتم بهذا الماء الذى يرى ، إنما إلى الماء الحى الذى لا يُرى ... وهكذا فى السجود ، لا أورشليم التى تُرى ، أو ذلك الجبل ، إنما الروح والحق وهما أمور لا تُرى ... وفى الملكوت لم يهتم بالملكوت الأرضى الذى لا يُرى ، بل بالملكوت الروحى .

إن النظر إلى ما لا يُرى ، ينجى العالم من المذاهب المادية ، ومن الاباحية واللاأخلاقية ، ومن الوجودية التى تهتم فقط بالوجود فى هذا العالم الأرضى .







الإنسان الروحي له :

الشخصية المتكاملة

أهميـــة التكـــامـــل

الإنسان الروحى إنسان يجمع بين الفضائل حتى التى تبدو متضادة .

الفضائل عنده لا تناقض فيها ولا تناقص ، بل تكامل .

لا يقتصر على فضيلة واحدة ، بل يجاهد لأجل اكتساب الكل ، حسب قول الرب «كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» (مت ٥ : ٤٨) .

والإنسان الروحى لا يكتسب فضيلة على حساب ضياع فضيلة أخرى .

فضائله لا يهدم بعضها بعضاً ، بل يتمشى الكل معاً .

الله تبارك اسمه ، فيه كل الفضائل ، تتمشى معاً . وقد اظهر لنا ربنا يسوع المسيح هذا المثال الكامل . ففى شخصيته نرى الحب والحزم ، الرحمة والعدل ، الوداعة والشجاعة ، البساطة والحكمة ، الطيبة والقوة ، الخدمة والتأمل ... إلخ .

وسنبدأ الحديث الآن عن التكامل بين الفضائل

البسـاطة والحكمـة

من الأخطاء الواضحة أن إنسان قد يوصف بالبساطة ، ولا تكون له حكمة ، بل تكون بساطته لوناً من السذاجة .. وتؤخذ عليه بعض التصرفات . ويحاول الناس أن يعذروه . قائلين أنه بسيط ...

ليست هذه البساطة الحقيقية ، فالإنسان الروحى يكون بسيطاً وحكيماً ، كما دعانا الرب قائلاً كونوا بسطاء وحكماء» (مت ١٠ : ١٦) ولا تناقض .

فالبساطة هى عدم التعقيد ، وليست عدم الحكمة .

البساطة المسيحية بساطة حكيمة . والحكمة المسيحية حكمة بسيطة . ومن الجائز أن يقول إنسان كلاماً حكيماً جداً ، وبأسلوب بسيط .

تكون له حكمة فى عقله ، وبساطة فى قلبه ...

يتصرف فى عمق الحكمة ، وبكل بساطة ، حكمة ليس فيها تعقيد الفلاسفة وإنما فى بساطة يمكن أن يفهمها الكل .

كذلك ليست البساطة أن تصدق كل شيء بلا تفكير ، أو تعطى مجالاً للبعض أن يخدعك أو يلهو بك . إنما مع بساطتك مع الناس تكون مفتوح العينين حاضر الذهن . تستطيع أن تميز الذئاب التى تلبس ثياب الحملان ...

وفى حكمته لا يعيش فى جو من الشك والحذر والظنون .

إنه لا يخلط الأوراق ، ولكن يرتبها ...

عبارة « المحبة تصدق كل شيء » (١كو ١٣ : ٧) يفهمها من جهة الله ، ففى محبته لله . يصدق كل وعوده وكل معجزاته . ويصدق أن التجارب التى يسمح بها للخير. أما من جهة الناس، فإلى جوار « المحبة تصدق كل شيء » يضع قول الرسول « لا تصدقوا كل روح ، بل ميزوا الأرواح هل هى من الله ... » (١يو٤ : ١) وأيضاً « امتحنوا كل شيء ، وتمسكوا بالحسن » (١تس ٥ : ٢١) .

ببساطة يطيع . ولكن أيضاً يخلط الطاعة بالحكمة .

كما قال الرسول « اطيعوا والديكم فى الرب » (أف ٦ : ١) . وأيضاً « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢٩) .

الشخصية المتكاملة لا تقاد بفضيلة واحدة .

بل كل فضيلة يمزجها بالحكمة والمحبة والاتضاع .

الطيبة والقوة

كان السيد المسيح طيب القلب جداً . لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) . وفى نفس الوقت كان فى منتهى القوة . شخصيته قوية . كان قوياً فى كلامه ، فى اقناعه ، فى محبته ، فى تأثيره على الآخرين ...

كان طيب القلب ، يحب الأطفال ويحتضنهم ويحنو عليهم ، و يتكىء تلميذه يوحنا فى صدره ، و يدافع عن المرأة الخاطئة . وفى نفس الوقت لم تفارقه هيبته .

سمح للشيطان أن يجربه . ولما زاد عن حده ، انتهره فمضى (مت ٤) .

سمح للجند أن يقبضوا عليه . وفى نفس الوقت لما قال لهم «أنا هو» سقطوا على الأرض من هيبته (يو١٨ : ٦) .

المفروض فى الآباء والمدرسين أن يكون فى طبعهم الحنو، وتكون لهم أيضاً الهيبة .

وليس من الصالح أن حنوهم يفقدهم هيبتهم .

الهيبة لازمة لحفظ النظام وحفظ القيم . والحنو لازم حتى يطيع الناس بدافع من الحب ، وليس بدافع من الرعب .

الحب والحزم

قد يقال عن راهب أنه إنسان طيب ، يصلح أباً، ولكنه لا يصلح أن يكون اسقفاً ، لأنه تنقصه الإدارة ، وضميره يتعبه إن أخذ موقفاً حازماً !!

كأنما الادارة والحزم ضد الروحيات .

الإنسان الروحى يمكن أن يجمع الأمرين معاً : الحنو والحزم ، والطيبة والإدارة ، والأبوة والرئاسة ...

يوسف الصديق كان حازماً جداً ، حتى أن أخوته خافوه وارتعبوا منه ، لما قال لهم «أنا يوسف . أحي أبى بعد؟» (تك ٤٥ : ٣) . ومع ذلك لم يستطع أن يضبط نفسه لما عرف أخوته بنفسه ، واطلق صوته للبكاء (تك ٤٥ : ١ ، ٢) .

وصفة الطيبة مع القوة ، والحب مع الحزم ، تظهر فى السيد المسيح . وقيل عنه فى تطهيره للهيكل :

يا قوياً ممسكاً بالسوط فى كفه والحب يدمى مدمعك

هذا هو التكامل فى الشخصية الذى يلزم للسير فى الفضائل .

السيد المسيح كان يحب تلاميذه ، وكان ينتهرهم أحياناً .

قيل إنه « أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو١٣ : ١) . ومع ذلك لما أراد بطرس أن يمنعه عن الصلب ، قال له « أذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى » (مت١٦ : ٢٣) . هنا نجد الحزم واضحاً . وبنفس الحزم وبخ الرب تلميذيه لما قالا له « أتشاء أن تنزل نار من السماء وتحرق هذه المدينة » (لو٩ : ٥٥) .

من الأشياء الغريبة فى محيط الأسرة أن الوالدين يوزعان أحياناً الحب والحزم فيما بينهما ، فيكون للأم الحب وللأب الحزم !! بينما الحب والحزم ينبغى أن تكونا لكل منهما ...

فإذا أخطأ الابن ، أو حاول أن يخطىء تقول له الأم « ... لئلا يغضب أبوك و يعاقبك » دون أن تقول له إنها هى أيضاً لا ترضى عن هذا الأمر !! ويختلط الأمر على الابن ، ولا يعرف أين الحق . كل ما فى الأمر أنه يتقى غضب الأب .

ويحدث أحياناً أن كاهناً يريد أن يكسب محبة شعبه ، أو رئيس يحب أن يكسب محبة مرؤسيه ... من أجل هذا الحب يتهاون فى حقوق العمل وفى وصية الله ، و يفقد الحزم . وربما تكون لذلك نتائج سيئة جداً ...

الوداعة والشجاعة

كان السيد المسيح وديعاً جداً ، حتى قال « تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) . ومع ذلك كان فى منتهى القوة والشجاعة . وقد وقف ضد الكتبة والفريسيين وأظهر رياءهم . ووقف ضد الصدوقيين واخجلهم وضد الشيوخ و وبخهم .

داود النبى كان وديعاً ، وكان شجاعاً .

كان شجاعاً إذ وقف ضد جليات الجبار وهزمه ، فى وقت كان فيه كل الجيش خائفاً » (١صم١٧) . وكان وديعاً إذ يقال عنه فى المزمور « اذكر يارب داود وكل دعته » (مز ١٣١ : ١) .

وموسى النبي كان وديعاً وشجاعاً وقوياً .

وديعاً إذ قيل عنه « وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣) . وكان شجاعاً وقوياً إذ وقف ضد الشعب كله لما عبد العجل الذهبي ، الذى صنعوه ، وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء » (خر ٣٢ : ٢٠) .

وابراهيم أبو الآباء كان وديعاً وشجاعاً .

وديعاً إذ سجد أمام بنى حث لما اشترى منهم مغارة المكفيلة لتكون قبراً لسارة (تك ٢٣ : ١٢) . ومع ذلك تظهر شجاعته ، إذ أنه « لما سمع أن أخاه لوط قد سبى ، جمع رجاله المدربين » (تك ١٤ : ١٤) . وقام ضد أربعة ملوك وهزمهم ورد سبى لوط وسادوم ، ولما أراد ملك سادوم أن يعطيه من الغنائم ، قال له فى عزة نفس « لا آخذن خيطاً ولا شراك نعل ... فلا تقول أنا أغنيت أبرآم » (تك ١٤ : ٢٣) .

كان الرهبان ودعاء ، وكانوا شجعاناً فى الدفاع عن الإيمان .

من الخطأ أن تظن أن صفة الوداعة تمنعك من الشجاعة ، وتحولك إلى جثة هامدة لا نخوة فيها ولا شهامة ولا حياة ... ! إنما اكتسب الفضائل . وضع أمامك قول الكتاب :

« لكل شيء زمان . ولكل أمر تحت السماوات وقت » (جا ٣ : ١) .

تستخدم الوداعة حين تحسن الوداعة . وتستخدم الشجاعة حين تلزم الشجاعة . كلاهما فيك . وتظهر كل منهما فى الحين الحسن المناسب لها ...

الوداعة ليس معناها الضعف . والقوة ليس معناها العنف .

والوداعة والقوة تمتزج كل منهما بالحكمة والفهم . الإنسان الضعيف لا يمكن أن يكون صورة الله ومثاله . ولكن لكى يكون قوياً لا ينحرف إلى التهور ، ولا يفقد وداعته وأدبه .

والوداعة لا تدفع إلى الخمول والطيبة لا تدفع غيرك إلى اللعب بك .

فإن كان إنسان طيباً ، ليس معنى هذا أن يلعب به الناس ، ويفقد كرامته وحقوقه وهيبته .

وإلا فإن البعض سيكرهون الطيبة ، و يرون أن الناس سيستغلونها ضدهم . المشكلة ليست فى الطيبة، إنما فى اساءة فهمها ، وفى عدم مزجها بالحكمة وقوة الشخصية ...

كل فضيلة تزنها بميزان دقيق . ولا تمارسها منفردة عن باقى الفضائل . وإن رأيت من نتائجها سلبيات ...

اعرف أن السلبيات ليست نتيجة للفضيلة ، إنما لسوء فهمها، أو لسوء استخدامها، أو لنقص الحكمة فيها.

يمكن أن تكون طيب القلب ولكن ليس معنى الطيبة أن تسلم قيادتك لغيرك . أو أن تشرك بضعف شخصية فى أخطاء الآخرين . أو أنك خوفاً من أن تغضب غيرك ، تشترك معه فى خطأ ، أو تجامله فى ذنب واضح ...

المحبة والمخافة

نحن نحب الله . ولكن محبتنا له لا تمنع فضيلة المخافة ، ومعاملتنا لجلاله الأقدس بكل ما يستحق من مهابة وتوقير.

نحبه ونسجد له . ندخل إلى الكنيسة بحب وفرح . وفى نفس الوقت نقول للرب « أما أنا فبكثرة رحمتك ، أدخل إلى بيتك ، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك » .

نحب كتابه المقدس ووصاياه ونقول له فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة (مز١١٩) . ومع ذلك يصيح الشماس قبل قراءة الإنجيل « قفوا بخوف من الله ، وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس » .

نعامل الله كأب ، ولكن فى السموات .

تمتزج المحبة والمخافة ... وتتحول إلى حب بمهابة .

لأن هناك كثيرين فى إيمانهم بمحبة الله ، يفقدون مخافتهم له ، وبالتدريج يتحولون إلى الاستهتار والاستهانة ، حتى أنهم يتحدثون مع الآباء بغير توقير...

ما أكثر الآيات عن مخافة الله . إن نسيناها يقول لنا الرب :

« تضلون إذ لا تعرفون الكتب » (مت ٢٢ : ٢٩) .

أما عبارة « المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج » (١يو٤ : ١٨) . الخوف هنا أى الرعب . ولكنه ليس الخوف بمعنى المهابة . فنحن فى صلاة الشكر فى كل يوم نقول « امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلام مع **مخافتك** » ...

الخدمة والتأمل

هناك أشخاص من اهتمامهم بالخدمة وانشغالهم الكثير بها ، يفقدون أهمية الصلاة والتأمل فى حياتهم ، و يهملون هذه الروحيات . ولاشك أن هذا ضد التكامل فى حياة الروح .

إن السيد المسيح كان يطوف المدن والقرى يكرز ببشارة الملكوت ، ومع ذلك كان يقضى الليل كله فى الصلاة ، وكانت له خلواته فى جبل الزيتون (يو٨ : ١) . وفى بستان جثسيمانى .

و يوحنا المعمدان كانت له خدمته الناجحة جداً التى بها أعد الطريق أمام الرب ، ومع ذلك قضى ٣٠ سنة من حياته فى البرية حتى ظهر لإسرائيل .

وإيليا النبى كانت له خدمته التى قضى بها على أنبياء البعل والسوارى ، ووبخ فيها آخاب الملك . وكانت له فى نفس الوقت خلواته على جبل الكرمل .

بولس الرسول كانت له حياة التأمل التى صعد بها إلى السماء الثالثة (٢كو١٢ : ٢) . ومع ذلك كانت له خدمته القوية التى بشر بها فى آسيا وأوروبا ، وكتب ١٤ رسالة ، بل كتب رسائل حتى وهو فى السجن .

الإنسان المتكامل يجمع بين الحياتين . لا تكون الخدمة على حساب التأمل . ولا يكون التأمل على حساب الخدمة .

الكلام والصمت

قد يتكلم إنسان كثيراً ، فيفقد فضائل الصمت والتفكير والتأمل . وقد يصمت

إنسان ، فيفقد فائدة كلمة المنفعة ، وكلمة التعزية ، وكلمة النصح ، كما يفقد الشهادة للحق . أما الإنسان المتكامل فيعرف متى يصمت ومتى يتكلم .

لا يصمت حين يحسن الكلام ولا يتكلم حين يحسن الصمت .

إذا صمت فعن حكمة ، وإن تكلم فعن فائدة . إنه يستطيع الأمرين معاً ، ويستخدم كلاً منهما فى حينه الحسن .

الدموع والبشاشة

قد يحاول إنسان أن يكتسب فضيلة الدموع ، فلا تراه إلا باكياً كثيراً ، مما يعطى صورة مشوهة عن التدين .

بينما الإنسان المتكامل ، للدموع عنده وقتها ، غالبيتها أمام الله ، فى مخدعه وفى خلوته ، أو أمام مذبح الله . ومع ذلك تجده فى حياته مع الناس بشوشاً لطيفاً ، يكسب محبة الكل . يضع أمامه القاعدتين معاً .

افرحوا فى الرب كل حين (فى ٤ : ٤) .
وأيضاً بكآبة الوجه يصلح القلب » (جا ٧ : ٣) .

يستخدم كلا منهما فى الحين المناسب ، وبالأسلوب الروحى .

الرحمة والعدل

هاتان الفضيلتان تلاقيتا على الصليب . كان الرب عادلاً ورحيماً . عادلاً دفع ثمن الخطية ، ورحيماً اشفق على البشرية المحكوم عليها بالموت ، فمات عنها .
ولا تناقض اطلاقاً بين عدل الله ورحمته .

رحمته مملوءة عدلاً ، وعدله مملوء رحمة .

هو عادل فى رحمته ، ورحيم فى عدله .

إنها فضائل تتكامل ولا تتناقض . بغير بعض بنى البشر . يتحول عدل البعض إلى قسوة فى غير رحمة . أو تتحول رحمته إلى استهانة بحقوق العدل ، ولتشجيع الآخر على الخطأ ، ولو عن غير قصد .

في هذا التكامل الذى شرحنا بعض صوره، نلاحظ أمراً هاماً وهو :

خطورة الفضيلة الواحدة

كما نلاحظ خطورة استخدام الآية الواحدة فى أمور اللاهوت والعقيدة، كذلك خطورة الفضيلة الواحدة فى الروحيات...

فقد يسلك إنسان فى الإتضاع بغير حكمة، فتتعب نفسه من معاملات الناس له، ومن ضياع كرامته وفقدانه لاحترام الغير... ولا يكون السبب هو فضيلة التواضع! وإنما عدم ارتباطها بالإفراز وبالفهم السليم.

كذلك إنسان مسئول عن عمل وإدارة، قد يسلك فى فضيلة التسامح والعفو عن المخطئين، باسلوب تضيع به إدارة العمل، ويسوده التسيب واللامبالاة. ذلك لأنه فقد فضيلة العدل، والحزم، وظن أن المعاقبة خطية...

والأمثلة على خطورة الفضيلة الواحدة عديدة جداً...

والإنسان الروحى ينبغى أن يكون متكاملاً فى فضائله.

يعرف كيف يستخدم كل فضيلة فى الوقت المناسب لها. وكيف يستخدم الفضيلة الأخرى فى مناسبة أخرى... بغير تناقض... بل بتكامل...

يعرف متى يعفو، ومتى يعاقب. ويكون روحياً فى كلا الحالين.

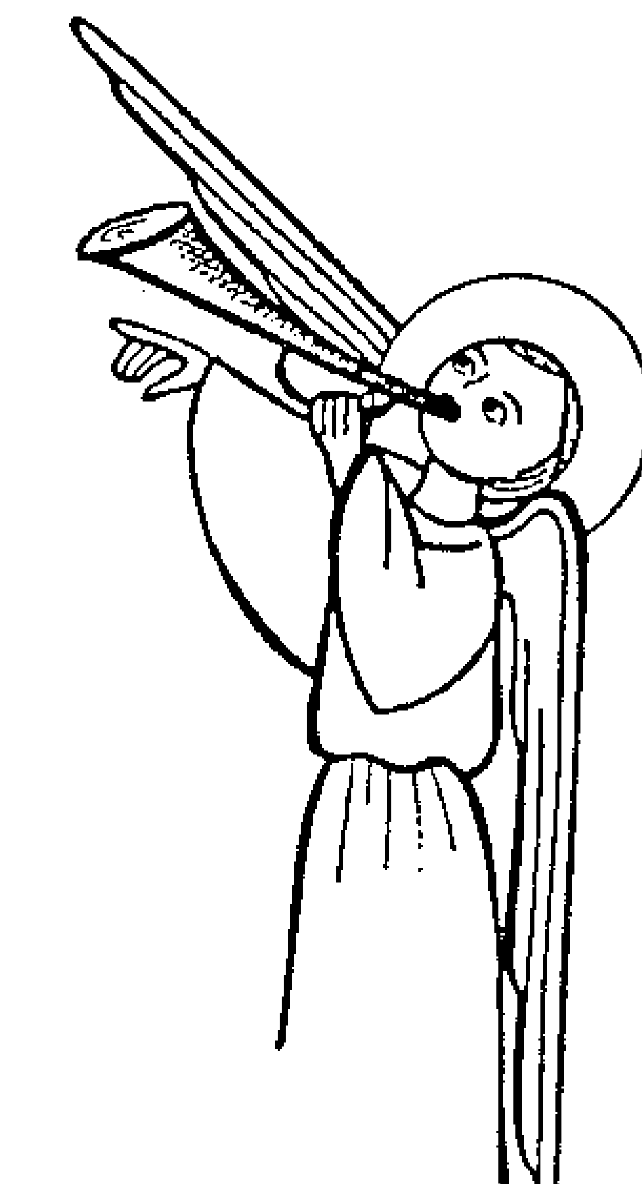
يعرف متى يختلط بالناس ويخدمهم ويبتسم فى وجوههم، ومتى يهدأ إلى نفسه فى وحدة وخلوة لا يقابل أحداً...

يعرف متى ينتهر ومتى يعظ. ومتى يقول للخاطئة اذهبى بسلام.

يعمل العمل المناسب، فى الوقت المناسب، وبالسبب الداعى إليه.







الإنسان الروحي :

من صفاته : النجاح

أهميّة النجَاح وَصِفَاتـه

كل نجاح هو سبب فرح ، لكثيرين .

فرح للشخص الناجح ، وفرح لأسرته وأحبائه ، وفرح للكنيسة كلها ، وربما للمجتمع بوجه عام ، وفرح للملائكة وأرواح القديسين ، ولله نفسه ...

القديس يوحنا الرسول يرسل إلى تلميذه غايس ، فيقول له « أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً ، كما أن نفسك ناجحة (٣يو٢) .

والنجاح صفة من صفات الإنسان الروحى

هذا الذى يقال عنه فى المزمور الأول « يكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى حينه ، وورقها لا ينتثر. وكل ما يعمله ينجح فيه » (مز١ : ٣) . وقد قيل عن يوسف الصديق « وكان الرب مع يوسف ، وكان رجلاً ناجحاً » « وكل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده » (تك ٣٩ : ٢ ، ٣) .

ونلاحظ هنا أنه نجاح فى كل شىء .

« كل ما يعمله ينجح فيه » ... « كل ما يصنعه كان الرب ينجحه » ...

نعمة الرب لا تتخلى عنه فى أى عمل ، فتكون كل أعماله ناجحة . كذلك فإن مقومات النجاح فى شخصيته ، لا تفارقه فى كل ما يمارسه من أعمال . فيكون ناجحاً فى كل شىء . سواء فى حياته الروحية ، أو فى عمله ، أو فى حياته العائلية ، أو فى كافة معلوماته . ونضرب مثالاً لذلك :

يوسف الصديق : كان ناجحاً ومحبوباً ، فى كل عمل :

فى أسرته كان محبوباً من والديه ، حتى اعطاه والده قميصاً ملوناً . وكان ناجحاً فى افتقاد أخوته . وكخادم فى بيت فوطيفار كان ناجحاً جداً ، ومحبوباً منه « فوكّله على كل بيته ، ودفع إلى يده كل ما كان له » (تك ٣٩ : ٤) . ولما ألقى فى السجن ، كان

أنجح سجين، فأحبه رئيس بيت السجن «ودفع إلى يده جميع الأسرى ... ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مما فى يده ... ومهما صنع كان الرب ينجحه» (تك ٣٩ : ٢٢، ٢٣). حتى أن المسجونين أيضاً كانوا يستشيرونه فى أمورهم، كما فعل رئيس السقاة ورئيس الخبازين (تك ٤٠).

ولما صار وزير تموين لمصر، كان ناجحاً جداً، فأنقذ مصر من المجاعة، وانقذ معها كل البلاد المحيطة. وكان محبوباً من فرعون، فترك له كل شيء وصيره الثانى فى المملكة (تك ٤١ : ٤٠ - ٤٤).

والنجاح يقدمه الكتاب باعتباره لوناً من البركة.

وهكذا فى (تث ٢٨) اصحاح البركة واللعنة، نجد النجاح بركة من الله، كما نرى الفشل من لعناته وعقوباته...

ويقدم لنا الكتاب أمثلة من الناجحين:

داود مثلاً، كان وهو فتى إنساناً ناجحاً، أمكنه أن ينتصر على جليات الجبار. وكان ناجحاً فى طرد الروح الشرير عن شاول الملك (١صم ١٦ : ٣٢). وقيل عنه إنه حيثما يخرج كان يفلح (١صم ١٨ : ٥).

ونفس النجاح كان حليف دانيال فى أرض السبى، فأعطاه داريوس الملك سلطاناً على كل أصحاب السلطة فى مملكته. ونجح دانيال فى ملك داريوس (دا ٦ : ٢٨).

ونحميا نجح مع ارتحشستا الملك، ونجح فى بناء سور أورشليم. وكذلك زميله عزرا الكاتب. أيضاً زربابل الذى قال عنه الوحى الإلهى فى سفر زكريا النبى «من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام زربابل تصير سهلاً» (زك ٤ ٧).

و بولس الرسول مثلاً من أعظم الذين نجحوا فى الخدمة.

وهنا يسأل البعض سؤالاً عكسياً:

ألا يوجد بعض من أولاد الله كانوا محطمين فى حياتهم، ولم ينجحوا؟!

أقول لك إن أولاد الله كثيراً ما تحيطهم المشاكل والضيقات والضعفات من الخارج (٢كو ٦ : ٥). ولكنهم مع ذلك يكونون ناجحين فى مقابلة الضيقات. لا

تهزهم من الداخل ولا تعصرهم ولا ينهارون أمامها . بل كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زملائه فى الخدمة « كحزانى ، ونحن دائماً فرحون ... كأن لا شىء لنا ، ونحن نملك كل شىء » (٢كو٦ : ١٠) .

البداية والنهاية

وهنا أحب أن أضع قاعدة هامة فى النجاح وهى :

لا تهتموا بالبداية ، إن بدت فاشلة .

فالمهم أن تكون النهاية هى النجاح .

★ يوسف الصديق مثلاً ، كانت تبدو بداية حياته ضائعة باستمرار : من إلقائه فى بئر جاف ، إلى بيعه عبداً ، إلى تهمة ظالمة دبرت ضده ألقت به فى السجن ... ولكن المهم أن النهاية كانت طيبة إلى أبعد الحدود ... فلا نحكم إذن بالبدايات ...

★ القديس أثناسيوس الرسولى كانت بدايات حبريته متعبة جداً فيها قويت شوكة الأريوسيين ، واستطاعوا أن يدبروا مكائد ضده ، ويحاكموه و ينفوه بالاتفاق مع السلطة الحاكمة . وعزل عن كرسيه أربع مرات ... ومع ذلك انتهت حياته كبطل عظيم من أبطال الإيمان ، استطاع أن يقف ضد العالم كله و ينتصر .

★ داود النبى : بدأ حياته ، وبعد المسحة المقدسة وبعد انتصاره على جليات ، مضطهداً من شاول الملك ، مشرداً من برية إلى أخرى ، حتى ظن أنه لابد سيقع فى يد شاول فى يوم ... ولكن كل تلك البدايات المتعبة انتهت ، وانتصر داود أخيراً .

★ السيد المسيح نفسه ، فى فترة تجسده على الأرض : كيف كانت البداية : ضيقات كثيرة ، منها قتل هيرودس للأطفال ، والهرب إلى مصر . وبدأت خدمته بمضايقات من زعماء اليهود ومؤامرات وصلت إلى صلبه ... المهم فى النهاية : القيامة والصعود ، والجلوس عن يمين الآب ، وانتشار الإيمان ...

★ ★ ★

★ موسى مع فرعون : كانت البداية قد أتت بنتيجة عكسية . فاشتد فرعون

بالأكثر. وتضايق الشعب وتذمروا على موسى وهرون، وقالوا لهما «ينظر الرب إليكما ويقضى، لأنكما أنتنتما رائحتنا فى عينى فرعون..» (خر٥ : ٧) ... وعشر ضربات يستخدمها الرب ضد فرعون، والرجل فى نفس قسوته لا يلين.. وحتى الشعب، تذمر لما خرج فرعون وراءهم. وقالوا لموسى «هل لأنه ليست قبور فى مصر، أخذتنا لنموت فى البرية ؟!» (خر١٤ : ١١)... ومع كل تلك البدايات المتعبة لم يضعف إيمان موسى مطلقاً... ونجح أخيراً فى انقاذه من عبودية فرعون...

* * *

لهذا كله لا تتعبوا مطلقاً، إن لم تحصلوا على النجاح فى بداية الطريق. واذكروا باستمرار قول الكتاب :

« بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لو٢١ : ١٩).

إن النجاح يحتاج إلى صبر وإلى مثابرة. والإنسان الذى يدركه الملل والضجر والضيق ولا يستمر... هذا لا يستطيع أن ينجح... انتظر الرب حتى يجيء لمعونتك، ولو فى الهزيع الأخير من الليل...

كل عمل تعمله لا تقلق على نتيجته... انتظر الثمرة حتى تنضج، وحينئذ تجدها فى يديك، بغير صعوبة...

* * *

أهم صفة للإنسان الناجح، أن يكون ناجحاً من الداخل.

ناجحاً فى قلبه، وفى عقله، وفى أعصابه، وفى إرادته. وقبل كل شيء ناجحاً فى صلته بالله... يكون ذا نفسية قوية، لا تتزعزع ولا تضطرب ولا تخاف.

يسير فى طريقه، كسهم نحو هدف.

مهما هاجت الأمواج على سفينته، حتى أن انقلبت الجبال فى وسط البحار، هو هو لا يضعف، ولا يفشل من الداخل. ولا يفقد إيمانه فى إمكانية النجاح على الرغم من كل العراقيل، التى تحاول أن تسد الطريق قدامه...

الإنسان الناجح، ينجح مهما كانت العقبات والصعاب.

بل يجد لذة فى الانتصار على تلك العقبات بنعمة من الله، ونجاحه على الرغم من

الصعاب، تكون له لذة أكبر، و يعطى خبرة روحية عميقة فى عمل يد الله معه ...

مرقس الرسول كانت أمامه صعاب لا تحصى فى كرازته لمصر: لم تكن فيها كنيسة، ولا شعب مؤمن بالمسيحية. وكانت هناك ديانات عديدة: الديانات الفرعونية واليونانية والرومانية والشرقية، والديانة اليهودية، والفلسفة الوثنية ... إلى جوار السلطة الحاكمة الرومانية بكل بطشها ... وعلى الرغم من كل هذا، نجح مرقس الرسول فى نشر الإيمان بالمسيح فى مصر.

مشكلة نجاح الأشرار

لعل البعض تتعبه هذه المشكلة التى أزعجت أرميا النبى فى وقت ما، فعاتب الله قائلاً «أبر أنت يارب من أن أخاصمك. ولكنى أكلمك من جهة أحكامك: لماذا تنجح طريق الأشرار. اطمأن كل الغادرين غدراً؟!» (أر ١٢ : ١).

نجاح الأشرار هو نجاح زائف، ومؤقت، وبطرق شريرة.

★ هيرودس الملك ظن أنه نجح لما قتل كل أطفال بيت لحم. ولكنه كان نجاحاً زائفاً. فالشخص الوحيد الذى أراد قتله، كان حياً لا يموت. كما أن وسيلة هيرودس كانت خاطئة.

★ هيرودس الذى أتى بعده، قتل يوحنا المعمدان. فهل نجحت هيروديا وسالومى وهيرودس بقتل يوحنا، أم كان نجاحاً زائفاً ومؤقتاً، ظل بعده هيرودس منزعجاً من يوحنا حتى بعد قتله (مت ١٤ : ١، ٢). وانتهى أمر هيرودس بأن ضربه الملاك فمات وأكله الدود (أع ١٢ : ٢٣).

★ أخاب استطاع أن يقضى على نابوت اليزرعيلى و يدبر له مؤامرة و يقتله و يستولى على حقله (١مل ٢١). وكان نجاحاً مؤقتاً وزائفاً وأثيماً. و بعده أتى غضب الله على آخاب وكان كلام الرب: «فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلى، تلحس دمك» (١مل ٢١ : ١٩).

★ اليهود ظنوا أنهم تخلصوا من المسيح بصلبه، ونجحت مؤامرتهم وأتت بنتيجتها وصلبوا المسيح. وكان نجاحاً زائفاً ومؤقتاً، انتهى بمجد القيامة ...

★ هامان ظن أنه قد قضى على مردخاى، ودبر له المؤامرة، وأعد له صليباً. وكاد أن يقضى لا على مردخاى وحده، وإنما على الشعب كله. وتدخل الله أخيراً بعد الصوم الذى أمرت به استير الملكة. وتحول الموقف إلى العكس تماماً. وصلب هامان على نفس الصليب الذى أعده لمردخاى (إس ٧: ١٠).

★ القديس أوغسطينوس قال إن الأشرار كالدخان الذى يرتفع وتتسع رقعته، وفى كل ذلك يتبدد.

أما النار فتبقى تحت، لا تعلو مثل الدخان. ولكنها تظل فى قوتها وحرارتها وفاعليتها، لا تتبدد مثله فى ارتفاعه...

كذلك فإن نجاحهم فى أمور مادية عالمية، ليس نجاحاً بالحقيقة. قارن فى ذلك مع قصة الغنى ولعازر (لو١٦). ومع قصة الغنى الذى اتسعت كورته، فقال «أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها... وأقول لنفسى استريحى وكلى واشربى..» (لو١٢: ١٦-٢٠).

إن النجاح الحقيقى هو النجاح الروحى.
وإن كان فى الماديات، يكون باسلوب روحى.

لذلك لا تغر من الأشرار إذا نجحوا. وبخاصة إن كانت وسائل نجاحهم بعيدة عن الله... كمن يلجأ إلى الكذب والمكر والحيلة... أو إلى الغش... أو إلى الرشوة... أو إلى التملق والنفاق والرياء والمحسوبية... أو التاجر الذى يحتكر الأسواق. ويبالغ فى الأرباح. وينجح مالياً، ويفشل روحياً. هؤلاء ينطبق عليهم قول الرسول:

«مجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات» (فى ٣: ١٩).

وقال عنهم أيضاً نهايتهم الهلاك:

★ ★ ★

ومن أكبر الأمثلة على النجاح الزائف: الشيطان وجنوده.

★ الشيطان حينما يحل من سجنه، سيخرج «ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض» (رؤ٢٠: ٧). ويحاول أن يضل لو أمكن المختارين أيضاً» (مت ٢٤: ٢٤).. فهل نجح الشيطان؟!

★ وقيل عن الوحش أنه «اعطى أن يصنع حرباً مع القديسين و يغلبهم» (رؤ١٣ : ٧). فهل نجح الوحش بعد هذه الغلبة المؤقتة.

لقد حسم الكتاب هذا الأمر فقال «وابليس الذى كان يضلهم، طرح فى بحيرة النار، حيث الوحش والنبى الكذاب، وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين» (رؤ١٠ : ٢٠).

★ كذلك ضد المسيح «المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً» «الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم فى الهالكين» الذى سيتسبب فى ارتداد الكثيرين (٢تس٣- ١٠). ونجاحه أيضاً مؤقت وزائف شرير. وسوف يبيده الرب بنفخة فمه (٢تس ٢ : ٨).

مقومات النجاح

★ أول شيء هو البركة وطاعة الوصية.

كما قيل عن يوسف الصديق فى نجاحه «وكان الرب معه، فكان رجلاً ناجحاً» (تك ٣٩ : ٢). وكل ما كان يصنعه، كان الرب ينجحه» (تك ٣٩ : ٣).

ابحث عن النجاح الذى يأتيك من الله، من شركة الله معك فى عملك، أو من هبة الله لك، أو من مكافأة الله لك على طاعتك لوصاياه...

وتذكر قول الله ليشوع بن نون «لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه النهار والليل... لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه، لأنك حينئذ تصلح طريقك، وحينئذ تفلح» (يش ١ : ٨).

★ اهتم قبل كل شيء بالنجاح الروحى.

نجاحك فى حروبك ضد الشياطين، وفى انتصارك على نفسك من الداخل. ونجاحك فى التخلص من عاداتك الرديئة، ومن كل ضعفاتك ونقائصك وسقطاتك... كذلك نجاحك فى عدم مقابلة الشر بالشر، إنما كما قال الكتاب «لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير» (رو١٢ : ٢١)..

نجاحك فى ضبط لسانك، فى ضبط حواسك، فى ضبط مشاعرك، فى ضبط أعصابك... هذا هو النجاح الحقيقى.

★ النجاح أيضاً يحتاج إلى قلب قوى. يحتاج إلى شخصية غير ضعيفة... إلى إنسان لا تهزمه المشاكل، بل هو الذى ينتصر عليها. ولا ينزعج أمامها ولا يخاف. كما قال داود النبى «إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى. وإن قام علىَّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن» (مز ٢٦)... الفكر الهادىء، والأعصاب الهادئة، والنفس الهادئة... كل هذه من مقومات النجاح...

★ ★ ★

★ النجاح أيضاً يحتاج إلى حكمة وذكاء.

فكثيرون يفشلون فى حياتهم الروحية أو المادية أو العائلية أو فى معاملاتهم، بسبب نقص فى الحكمة وحسن التصرف، أو بسبب عدم افراز فى السلوك الروحى. أمثال هؤلاء يحتاجون إلى إرشاد، وخضوع لأبوة واعية حكيمة. ويحتاجون إلى صلاة لكى يرشدهم الرب فى طرقه، ويمنحهم حكمة من فوق من عند أبى الأنوار...

★ والنجاح أيضاً يرتبط بعدل إلهى يقول:

الذى يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضاً (غل ٧: ٧).

★ النجاح أيضاً يحتاج إلى إيمان وصلاة.

وهكذا كما قال الرب «كل شىء مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٣). وكما قال القديس بولس الرسول «استطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى» (فى ٤: ١٣). لذلك التصق بالرب، وكن معه، ليكون هو أيضاً معك، ويمنحك بركة من عنده. ومن بركاته النجاح..

اطلب معونة الرب باستمرار، وهو يساعدك على النجاح...

★ لكى تكون ناجحاً، اصمد حتى النهاية.

وإن فاتتك فرصة فالتمس غيرها. وإن هاج عليك الشيطان، وكل جنده، ودبروا كل مكائدهم لكى تفشل... لا تخف، وقل مع المرتل فى المزمور «لولا أن الرب كان معنا، حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء... مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم.

الإنسان الناجح لا ييأس أبداً ، حتى إن فشل فى الخطوات الأولى ، فإنه يعود و يقوم . . . كما قيل عن الصديق إنه يسقط سبع مرات و يقوم (أم ٢٤ : ٣١) . أى مهما سقط يقوم .

★ لكى تنجح ، ضع أمامك دائماً سير الناجحين .

وذلك لكى يكونوا مُثلاً عليا أمامك تقتدى بهم ، ولكى تعرف وسائل نجاحهم فى الحياة ، وأسلوب ذلك النجاح ومظاهره . . .

سواء فى ذلك أمثلة النجاح فى كل نواحى الحياة : الروحية ، والإجتماعية ، والعائلية ، والحياة الخاصة . . . ولا تنس تأثير سير القديسين .

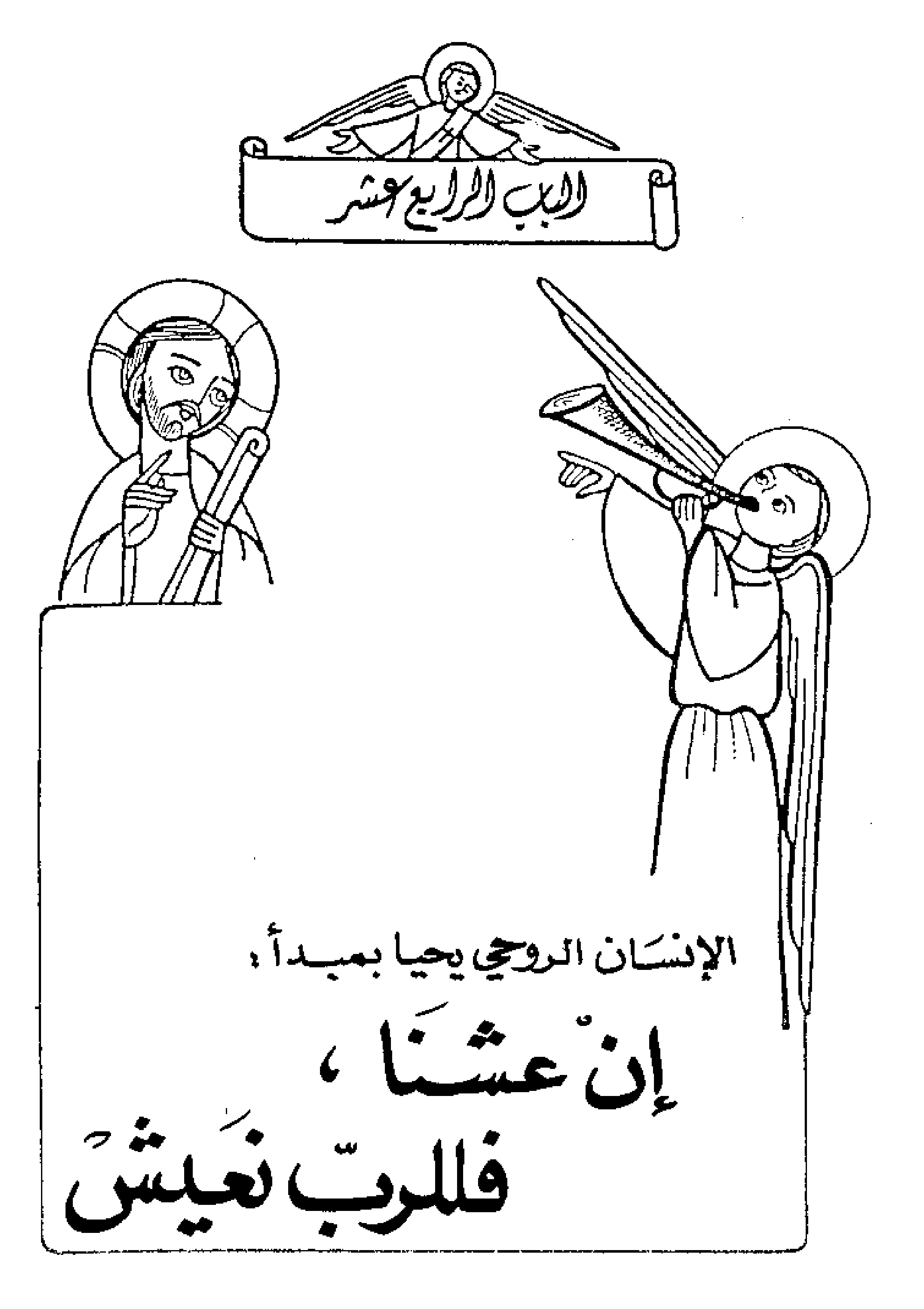
تذكر أنك صورة الله . والذى على صورة الله يكون ناجحاً .

ولذلك فالإنسان الفاشل ، أو الساقط أو الراسب ، ليس هو على صورة الله ، فالذى على صورة الله ، يكون « كالشجرة المغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى حينه . وكل ما يفعله ينجح فيه . وهكذا قيل عن يوسف الصديق « وكان الرب مع يوسف . فكان رجلاً ناجحاً » (تك ٣٩ : ٢) .

قل لنفسك : إذا لم أنجح فى حياتى ، فلا شك أكون فاقداً لصورتى الإلهية ، بل أفقد أيضاً الكمال الذى طلبه منا الرب قائلاً « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) .

هذا من الناحية الإيجابية . أما من الناحية السلبية ، فلا تنس أنك إذا لم تكن ناجحاً فى حياتك ، فبالتالى ستكون عثرة فى كل وسط تعيش فيه ، سواء فى وسط العائلة ، أو فى الكنيسة ، أو فى الخدمة ، أو فى محيط العمل . ستعثر الناس الذين سوف يتساءلون متعجبين : أهكذا يكون أولاد الله ؟!




الباب الرابع عشر
الإنسان الروحي يحيا بمبدأ :
إنْ عشنَا ،
فللربّ نعَيشْ

كتب القديس بولس الرسول إلى أهل رومية يقول « إن عشنا فللرب نعيش ، وإن متنا فللرب نموت . فإن عشنا أو متنا ، فللرب نحن » (رو١٤ : ٨) .

ليس المهم إذن أن نحيا أو نموت ، إنما المهم أن نكون للرب فى حياتنا وفى موتنا .

إن أكلنا ، فللرب نأكل، لكى نأخذ طاقة للجسد نستطيع بها أن نعمل ما يرضيه ، وإن صمنا ، فللرب نصوم ، لكى تقوى الروح ، وتكون فى صلة قوية بالله . إذن طاقة الجسد من أجله ، وقوة الروح من أجله . تماماً كما قال الرسول « فمجدوا الله فى أجسادكم ، وفى أرواحكم ، التى هى الله » (١كو٦ : ٢٠) .

* * *

كذلك إن تكلمنا ، فللرب نتكلم . وإن صمتنا فللرب نصمت .

من أجله نتكلم ، ومن أجله نصمت . من أجله نتكلم ، فنشهد للحق وللإيمان وللملكوت ، ونعلن وصاياه للناس ، ونعزى الآخرين ونقويهم ، وننطق بكلام الحكمة النافع للبنيان... وكما قال الكتاب « فم الصديق ينبوع حياة » (أم١٠ : ١١) . ومن أجل الله نصمت ، عاملين بقول الكتاب « كثرة الكلام لا تخلو من معصية . أما الضابط شفتيه فعاقل » (أم١٠ : ١٩) . نتكلم حينما يفتح الله شفاهنا ، فتنطق أفواهنا بتسبحته (مز٥٠) . ونصمت حينما نخشى الخطأ ونقول « ضع يارب حارساً لفمى ، احفظ باب شفتى » (مز١٤١ : ٣) .

* * *

كل عمل نعمله ، من أجل الله نعمله ... نعمله له ، ومعه ، وبه ...

نعمله له ، لأجل ملكوته ، ولمجد إسمه . ونعمله معه ، فى شركة الروح القدس الذى يشترك معنا فى العمل ، ونعمله به ، أى بنعمته وقوته ومعونته ، وهكذا لا يكون

أى عمل من أعمالنا مستقلاً عن الله... ذلك لأننا للرب نعيش . لا لأنفسنا ، ولا للعالم ولا لأهداف خاطئة كما يحدث للبعض...

أهداف خاطئة

هناك أشخاص يعيشون لذواتهم فقط ، وبطريقة خاطئة :

كل ما يريده فى الحياة ، هو أن يبنى ذاته ، ويمتع ذاته وليته يفعل ذلك بطريقة روحية وإنما بأسلوب مادى أو عالمى أو جسدى ! وفى سبيل ذلك قد يضيع الآخرين ، إذ يزيحهم من طريقه ليبقى هو... والأعجب من ذلك، أنه فيما يحاول أن يبنى نفسه ، يضيعها و يهلكها . كما قال السيد له المجد :

« من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (متى ١٠ : ٣٩) .

وهكذا تحدث اليسد الرب عن إنكار الذات (تى١٦ : ٢٤) ، وعن بذل الذات «يو١٠ : ١١) (يو١٥ : ١٣) . إن مشكلة الغنى الغبى هو أنه أراد أن يمتع ذاته على الأرض «بخيرات كثيرة» (لو١٢ : ١٩) . ومشكلة غنى لعازر أنه كان «يتنعم كل يوم مترفهاً» (لو١٦ : ١٩) . وسليمان الحكيم جرب كل متع العالم ، فإذا الكل باطل وقبض الريح (جا ٢ : ١١)... إن الذى يعيش لنفسه فقط ، هو شخص أنانى . وقد صدق المثل القائل :

ما عاش قط ، من عاش لنفسه فقط .

ينبغى أن توضع الذات فى آخر القائمة ، حينما نرتب الأولويات. فنقول الله أولاً . ثم الآخرين . ثم الذات . على أن هذا الترتيب لا يكون سليماً ، إن كانت فيه انفصالية . فالعمل لأجل الآخرين ، والعمل لأجل الذات ، ينبغى أن يكون كلاهما داخل الحياة لأجل الله، وليسا منفصلين عنه . وهكذا يكون الله هو الكل فى الكل (١كو١٥ : ٢٨) .

* * *

وقد يقول إنسان : أنا أعيش لأجل أولادى .

من أجلهم يعمل و يتعب و يشقى . ومن أجلهم يكنز مالاً ، ليترك لهم ميراثاً . والعناية بالأولاد واجب مقدس . ولكن الخطأ هو أن يركز الإنسان على أولاده ، و يهمل واجباته تجاه الآخرين وتجاه الله ! فيهمل نصيب الله فى ماله ، ونصيب الفقراء أيضاً ، ويجعل الكل لأولاده ، يقول سليمان الحكيم « فكرهت كل تعبى الذى تعبت فيه تحت الشمس . حيث أتركه للإنسان الذى يكون بعدى . ومن يعلم هل يكون حكيماً أو جاهلاً ! و يستولى على كل تعبى الذى تعبت فيه وأظهرت فيه حكمتى... هذا أيضاً باطل (جا ٢ : ١٨ ، ١٩) .

إن الخير الذى يحسب لك عند الله ، هو الخير الذى تفعله أنت ، وليس الذى يفعله أولادك ...

إذن أهتم بأولادك ، واهتم بباقى الناس أيضاً . عش لأولادك ... وعش للمجتمع كله ... بحيث تحب أولادك ، وتعطيهم من تعبك وكدك . وتحب أيضاً الفقراء والمحتاجين ، وتعطيهم من تعبك وكدك . وتحب المجتمع كله ، وتخدمه ، وتبذل لأجله ، وتحب الكنيسة وتخدمها وتكون محبتك للكل هى داخل محبتك لله ...

* * *

ولا تكن لك محبة خاطئة ، خارج محبة الله ، ولا محبة طاهرة أزيد من محبتك لله ...

فهوذا الرب يقول « من أحب أباً أو أماً أكثر منى ، فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى » (متى ١٠ : ٣٧) . وهكذا يكون الحب كله لله ، والقلب كله لله ، ومحبة الأولاد والناس داخل محبة الله . وتكون محبتك الأولى لأولادك ، هى أن تجعلهم يعرفون الله ويحبونه ، حتى تستطيع أن تقول له كما قال السيد « عرفتهم إسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به » « الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم » (يو١٧ : ٢٦ ، ٨) .

* * *

لا تجعل لله منافساً فى قلبك ، سواء كان المنافس شخصاً أو شيئاً .

لهذا نرى الرب قد شبه القديسين بخمس عذارى حكيمات (متى ٢٥) . ذلك لأن العذراء ليس لها تعلق بإنسان آخر . وعذراو ية القلب تعنى أنه ليس له تعلق بشهوة

أخرى غير الإلتصاق بالرب . وهكذا قال القديس بولس الرسول «خطبتكم لرجل واحد ، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢كو١١ : ٢) . أنظروا إلى داود النبى والملك ـعلى الرغم مما يحيط به من كل عظمة الملك ورفاهيته ـ نراه يقول :

« أما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب » (مز٧٣ : ٢٨) .

و يقول للرب « معك لا أريد شيئاً على الأرض » (مز٧٣ : ٢٥) . إنه بهذا يصل إلى فضيلة « الاكتفاء بالله » فيقول « ولا يعوزنى شيء » (مز٢٣ : ١) . وحينما عبر عن الرغبة التى تشبع قلبه ، لم يلتفت إلى رفاهية الملك ، وإنما قال « واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس : أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى ، لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فى هيكله » (مز٢٧ : ٤) . ولذلك قال « طلبت وجهك ، ولوجهك يارب ألتمس . لا تحجب وجهك عنى » (مز٢٧ : ٨ ، ٩) . كانت هذه هى الطلبة الوحيدة التى للملك العظيم داود ...

* * *

الذى يعيش للرب ، لا تهمه الأوضاع الخارجية ، بل يعيش للرب فى أى وضع ، وفى كل موضع .

ولعل من الأمثلة الواضحة فى هذا الأمر : يوسف الصديق كان يعيش للرب وهوابن فى أسرة . فتغير وضعه إلى عبد فى بيت رجل ثرى ، فظل يعيش للرب فى وضعه الجديد . تغير وضعه أيضاً إلى سجين ، ثم إلى وزير . ولكن الأوضاع الخارجية لم تؤثر على علاقته بالرب إطلاقاً . إنه يعيش للرب كإبن ، أو كعبد ، أو كسجين ، أو كوزير . إنه هو هو . يتغير الوضع والموضع . أما هدفه الوحيد أن يعيش للرب ، فهو هدف لا يتغير .

نقول هذا لأن أناساً يرفضون أن يعيشوا للرب ، إلا إذا كان لهم وضع معين ... !

إما أن يكون لهم فى الكنيسة مركز خاص ، وإلا فإنهم يغضبون و ينعزلون و يرفضون أن يعملوا ... ! إما أن يعاملهم الله معاملة خاصة ، و يدللهم باسلوب معين ، وإلا يتخذون من الله موقفاً مضاداً ... ! وهكذا يشترطون شروطاً للمعيشة مع الله ! ... وإلا يتركونه ... ما هذا يا أخى ؟! لنفرض حتى أنهم طردوك من الكنيسة ، أترفض

لهذا السبب أن تعيش مع الله ؟!

ينبغي أن تكون للحياة مع الله أهمية كبرى فى قلبك ، لا تتخلى عنها مهما كانت الأسباب والدوافع والظروف المحيطة .

لماذا نعيش للرب ؟

أولاً : لأننا خليقته . هو الذى منحنا هذه الحياة :

وهكذا أصبحنا له . وهذه الحياة هى أيضاً له . كان يمكن أن لا نوجد ، ولكنه أوجدنا . منحنا هذا الوجود ، فصرنا له ... إن عشنا فللرب نعيش ... وبخاصة لأنه خلقنا ، كشبهه ، وعلى صورته ومثاله (تك١ : ٢٦)... ولا يمكن أن نحتفظ بهذه الصورة ، إلا إذا عشنا له ومعه .

★ ★ ★

ثانياً : لأنه فدانا ، واشترانا بثمن ، فصرنا له .

وفى هذا يقول الرسول « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله . وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن . فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » (١كو٦ : ١٩ ، ٢٠) .

★ ★ ★

ثالثاً : لأننا أولاده ... دعى علينا إسمه ...

فينبغى أن نعيش له ، لأنه بهذا « أولاد الله ظاهرون » (١يو٣ : ١٠) . يعيشون له ، وبهذا لا يخطئون . لأن « كل من هو مولود من الله لا يخطىء » « لا يستطيع أن يخطىء ، لأنه مولود من الله » (١يو٣ : ٩) . إن لم نعش له ، وعشنا لأنفسنا أو للعالم أو للجسد أو للمادة ، حينئذ سنخطىء ، ولا نصير أولاداً لله ... فنحن نعيش لله ، لكى نحتفظ ببنوتنا له ، ولكى نحتفظ بصورته . فالإبن الضال قال له « لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً » (لو١٥ : ١٩) .

★ ★ ★

رابعاً : نعيش للرب ، لأن هذه هى الحياة الحقيقية .

الله هو الحياة (يو١١ : ٢٥) (يو١٤ : ٦) . من يلتصق به ، يلتصق بالحياة ،

ويكون حياً بالحقيقة . ومن ينفصل عنه يعتبر ميتاً ، مهما كانت له حياة بالحقيقة... وقد قيل عن الابن الضال أنه ـ فى حالة خطيته ـ « كان ميتاً » (يو١٥ : ٢٤) . وقال الرب لراعى كنيسة ساردس « أن لك اسماً أنك حى ، وأنت ميت » (رؤ٣ : ١) . المفروض إذن أن نفهم المعنى الحقيقي للحياة ، وأنه هو أن نعيش للرب . فى هذا أتذكر أننى وأنا شاب صغير كتبت مرة قصيدة عنوانها « أحقاً نحن أحياء » ؟!

★ ★ ★

ليتنا إذن نذوق الحياة مع الرب ...

كما قال المرتل فى المزمور « ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب » (مز٣٤ : ٨) . الذى يذوق هذه الحياة ، يشعر بلذتها ، ويرى أنه حينما يعيش للرب ، إنما يحيا الحياة الطيبة المثلى المشتهاة ، وأن ذاك أفضل جداً (فى١ : ٢٣) . بل أن هذه الحياة مع الرب هى عربون الحياة الأبدية السعيدة .

نعيش للرب هنا ، لكى نستحق أن نعيش معه فى الأبدية السعيدة

كيف نعيش للرب ؟

ليس معنى ذلك حياة التكريس الكامل .

مثل حياة الرهبان والراهبات ، ورجال الكهنوت ، وكل المكرسين والمكرسات... فليس الجميع مكرسين للرب ، بينما هذه الآية « إن عشنا فللرب نعيش » هى للجميع ، لكل مؤمن ، لكل عضو فى مدينة الله ، لكل مؤهل للملكوت .

وأيضاً لا نعيش للرب ، بالعبادة الشكلية ...

فكثيرون يواظبون على الصلاة والصوم والقراءة والإجتماعات الدينية ... ولهم علاقة بالكنيسة ، ولكن ليست لهم علاقة بالله . لا يعيشون معه ، ولا يعيشون له ... وكأن كل عبادتهم مجرد مظاهر خارجية لا ترقى إلى مستوى المعيشة مع الله . وعن هؤلاء قال الرب « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » (متى١٥ : ٨) (اش٢٩ : ١٣) . عليك إذن أن تعيش للرب ، بالقلب والعمل ، بالروح والحق (يو٤ : ٢٣) . فتشعر فى عبادتك بوجود الله فى حياتك ، وبوجودك فى حضرته ، وصلتك به ...

إن الذى يعيش للرب ، يظهر ذلك فى فضائل كثيرة يحياها ، أو تتميز بها حياته :

إنه يحيا حياة التسليم وحياة الطاعة . لأنه فى معيشته للرب ، يسلم له حياته ومشيئته . وبالتالى يحيا حياة الطهارة والنقاوة ، وحياة الحب التى ينفذ فيها وصايا الرب عن حب لا عن تغصب ... فيقول للرب مع المرتل « فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة » (مز١١٧) « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » (مز١٢٢ : ١) . وهكذا يعيش فى حياة الفرح بالله .

★ ★ ★

والذى يعيش للرب ، يحيا فى العالم كغريب .

إنه « ليس من هذا العالم » (يو١٥ : ١٥) . يضع أمامه قول الرسول : « .. والذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه ، لأن هيئة العالم تزول » (١كو٧ : ٣١) . وهكذا عاش آباؤنا « أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » (عب ١١ : ١٣) ... إنهم يعيشون للرب . أما العالم فيبيد وشهوته معه (١يو٢ : ١٧) . ماشأنهم إذن به ؟! قال أحد الآباء :

خير الناس من لا يبالى بالدنيا فى يد من كانت .

وهكذا فإن الذى يعيش للرب ، سيصل بالضرورة إلى الزهد فى الدنيا (١يو٢ : ١٥ ، ١٦) . والناس فى هذا الزهد على درجات متفاوتة ... والذى يعيش للرب لا يهتم ويضطرب لأجل أمور كثيرة ، كما كانت تفعل مرثا (لو١٠ : ٤١) . متيقناً أن الحاجة إلى واحد وهو الله . والبعض الذى يختار هذا النصيب الصالح ، قد يصل إلى حياة التكريس .

★ ★ ★

والذى يعيش للرب ، لا يخاف الموت ، بل يقابله بفرح :

وهذه النقطة تنقلنا إلى الجزء الثانى من الآية وهو « وإن متنا ، فللرب نموت » ...

مَـامعنَى : للـربّ نمـوت ؟

نموت له ، لكى نلتقى به ، «ونكون كل حين مع الرب» (١تس ٤ : ١٧) ...

لذلك فالذى يعيش للرب ، يسر أن يخلع هذا الجسد ، و يلبس عدم الفساد ، يلبس الجسد الروحانى السماوى (١كو١٥ : ٤٤ ، ٤٩) . و يكون كل حين مع الرب . وهذا هو الذى اشتهاه القديس بولس الرسول حينما قال «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣) ... نكون معه فى الفردوس ، وفى أورشليم السمائية ، فى الملكوت ، حسب وعده الصادق «حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً» (يو١٤ : ٣) .

نموت له ، لكى نراه وجهاً لوجه (١كو١٣ : ١٢) .

وكما قال الرسول «إننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه . الآن اعرف بعض المعرفة ، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت» (١كو١٣ : ١٢) .

* * *

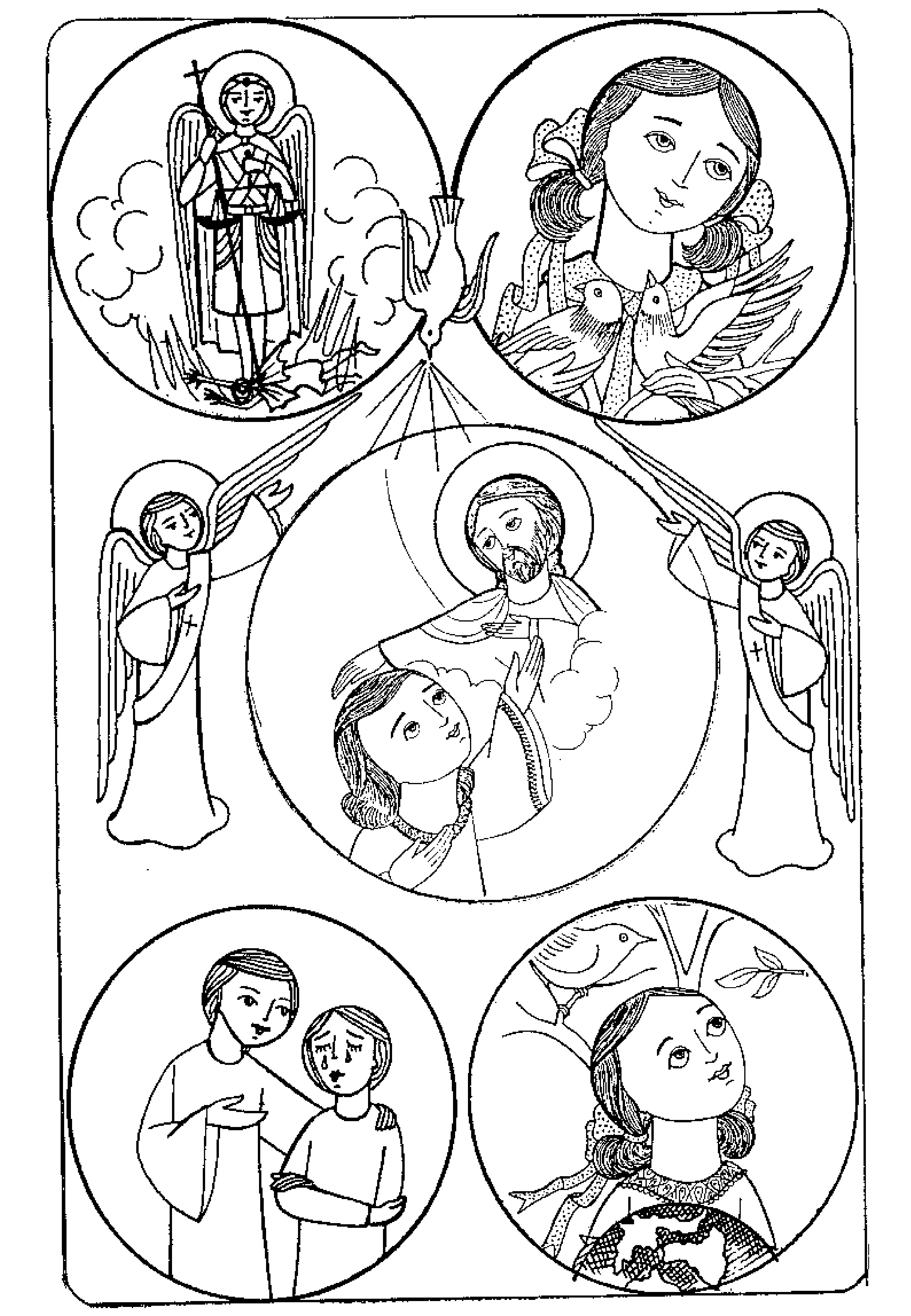
نموت له ، تعنى أيضاً أن نموت من أجله .

كما مات الشهداء وكل المدافعين عن الإيمان . وأيضاً كما قال الرسول «لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع ، لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت . إذن الموت يعمل فينا» (٢كو٤ : ١١ ، ١٢) . أو كما قال الكتاب «لتمت نفسى موت الأبرار . ولتكن آخرتى كآخرتهم» (عد٢٣ : ١٠) .

* * *

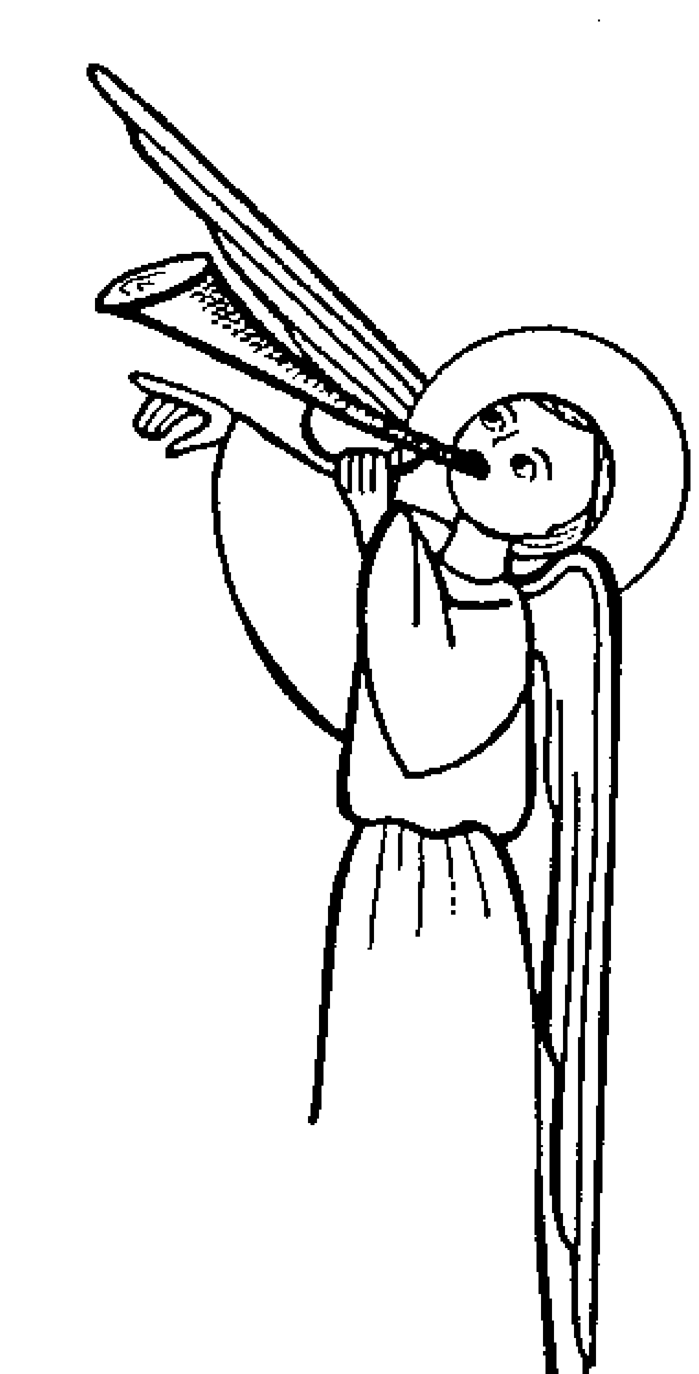
أخيراً ، ليتنا نجرب أن نعيش للرب ، لكى نموت أيضاً له .

نجرب أن نعيش للرب ، ولو يوماً كتداريب (اليوم المثالى) الذى كان يعطى لنا ، ونحن شباب ... وإن نجحنا فى هذا التدريب نكثر منه . ولنتأمل مثال اللص اليمين . إنها ساعات عاشها مع الرب ، ثم مات معه ، ونال الفردوس . كذلك مثال القديسة بائيسة . لعلها ساعات أو أقل عاشتها معه فى توبتها ، ونالت الحياة ... فلنبدأ إذن أن نعيش للرب .









حياة الغلبة والانتصار

نحن أعضاء الكنيسة المجاهدة على الأرض، نجتاز هنا فترة اختبار نتعرض فيها لحروب روحية كثيرة، شرحها القديس بولس الرسول فقال «إن مصارعتنا ليست مع لحم ودم، بل... مع أجناد الشر الروحية فى السماويات» (أف ٦ : ١٢). وقال إنها حرب تحتاج إلى «سلاح الله الكامل، لكى نقدر أن نثبت ضد مكايد ابليس» (أف ٦ : ١١).

إن الله يريدنا أن ننتصر فى هذه الحرب. والسماء كلها ترقب جهادنا، وتفرح إذ ترانا غالبين.

الملائكة وأرواح القديسين فى السماء، يصلون لأجلنا لكى ننتصر، «ويكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب» (لو ١٥ : ٧). كذلك نعمة الله تعيننا لكى ننتصر، وروح الله يعمل فينا لكى نغلب... أما إن سقطنا وانهزمنا، فإننا بهذا نحزن روح الله القدوس الذى خُتمنا به» (أف ٤ : ٣٠).

* * *

الإنسان الروحى هو إنسان منتصر.

لأن روحه قد انتصرت على شهوات الجسد، وقد انتصرت فى حروب الشياطين. وقد غلبت العالم والمادة. روحه تزفها الملائكة بتهليل إلى السماء، حينما تأتى ساعته.

والإنسان الروحى ينتصر، لأنه إنسان قوى، يعمل فيه روح الله بقوة. وقد صارت إرادته فى تسليم كامل لإرادة الله.

الإنسان الروحى لا يحاول أن ينتصر على غيره.

لأنه يحب غيره، ويقدمه على نفسه فى الكرامة (رو ١٢ : ١٠)، بينما يأخذ هو المتكأ الأخير (لو ١٤ : ١٠). إنه يحب أن ينتصر على الشر، وليس على الأشرار. يجب

أن ينتصر على نفسه، وليس على الآخرين. وهو لا يجب أن ينتصر على الضعفاء والمخطئين، بل بالأكثر أن يحتملهم. كما قال الرسول «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء» (رو١٥ : ١).

★ ★ ★

هناك مجالات كثيرة ينتصر فيها الإنسان الروحي :

★ **إنه ينتصر أولاً على نفسه .**

ينتصر فى الداخل أولاً ، لأن انتصاره الداخلى هو الذى يساعده فى الانتصار على الحروب الخارجية.

الابن الضال (لو ١٥) لم يستطع أن يرجع إلى أبيه، إلا بعد أن انتصر من الداخل، ولم تعد له شهوة فى الكورة البعيدة، بل شعر فيها بسوء حالته ...

ومن أعظم الأمثلة على الانتصار الداخلى ، يوسف الصديق. لقد كانت الاغراءات من الخارج قوية جداً، وكانت تلح عليه كل يوم (تك ٣٩ : ١٠). كانت الخطية هى التى تسعى إليه. ومع ذلك رفض كل تلك الإغراءات، لأنه كان منتصراً من الداخل، فاستطاع فى نقاوة قلبه أن يقول «كيف أفعل هذا الشر العظيم، وأخطىء إلى الله» (تك ٣٩ : ٩). صدق القديس ذهبى الفم حينما قال :

لا يستطيع أحد أن يضر إنساناً ، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه .

أى أن العوامل الخارجية لا تهزمه إلا إذا كان مهزوماً من الداخل أولاً. ولهذا يقول الرب «فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة» (أم ٤ : ٢٣).

إن القديس أوغسطينوس كان يعيش فى الخطية حينما كان مغلوباً منها ، أى حينما كان يشتهيها. ولكنه حينما انتصر على نفسه من الداخل ، حينئذ قال عبارته الجميلة «جلست على قمة العالم، حينما أحسست فى نفسى إنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً».

★ ★ ★

فإن تعبت يا أخى يوماً ، تأكد أنك متعب من الداخل. هناك ثقب فى نفسك تدخل منه المتاعب الخارجية. لذلك قال الرب عن الإنسان الروحى المنتصر إنه «جنة

مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم» (نش ٤ : ١٢).

الخطية الخارجية، تبحث عن خطية داخلك، لكى تتحد معها، وتفتح لها أبواب القلب وأبواب الفكر.

والإنسان الروحى الذى يود داخله روح الله، هذا لا تجد الخطية التى فى الخارج مكاناً لها فى داخله. تطرق على بابه فلا يفتح لها، فتتركه وترحل... عدو مثلاً يريد أن يثيرك لكى تخطىء، فيجدك غير قابل للاستثارة لأنك قوى فى الداخل. ماذا يفعل إذن؟ أما أن يخجل و يتركك، أو أن يعتذر لك، أو يكف عن استخدام هذا الأسلوب معك...

* * *

*** الإنسان الروحى ينتصر على الخطية والشيطان ...**

مادام قد انتصر على شهوة القلب من الداخل، فلابد أن ينتصر على الخطية من الخارج، على كل حروبها وكل أفكارها. ولا تخدعه مطلقاً حيل الشيطان، بل كما قال القديس بولس الرسول عنه: لا يطمع فينا الشيطان، لأننا لا نجهل أفكاره (٢كو٢: ١١).

والإنسان الروحى إن حاربته الخطية، يقاومها بكل قوة.

مستفيداً بذلك من توبيخ القديس بولس الرسول للعبرانيين «لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢ : ٤). ومستمعاً إلى قول القديس بطرس الرسول «اصحوا واسهروا، لأن ابليس خصمكم كأسد زائر... فقاوموه راسخين فى الإيمان».

إن الإنسان الأول انخدع من حديث الحية (تك٣)، وفقد صورته الإلهية، منهزماً أمام الخطية. أما الإنسان الروحى فليس كذلك. إنه يجب أن ينتصر، مستفيداً من دروس الماضى.

* * *

إن أسوأ ما فى هزيمة الأشرار، افتخارهم بخطاياهم :

هؤلاء الذين قال عنهم القديس بولس « والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء

صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك... ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات» (فى٣: ١٨، ١٩).

أما الإنسان الروحى، فإن مجده فى الآلام التى يتحملها لأجل الرب، منتصراً على ذلك الخزى الذى يفرح به الخطاة.

* * *

★ الإنسان الروحى ينتصر على العوائق التى تقف فى طريق حياته الروحية.

و ينتصر أيضاً على العوائق التى تعترض نموه الروحى. إنه لا يسمح لشىء أن يعطله عن شركته مع الرب، مهما كان ذلك الشىء صعباً، أو مهما كان معطلاً لغيره. انظروا ماذا قال القديس بولس:

«من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟! أشدة أم ضيق أم اضطهاد، أم جوع أم عرى، أم خطر أم سيف ؟! ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا. فإنى متيقن أنه لا موت، ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا» (رو٨: ٣٥- ٣٩).

* * *

الإنسان الروحى لا يقدم أعذاراً إذا لم ينتصر. بل يقدم اعترافاً بالخطأ وتوبة.

إن الأعذار لا تبرر الهزيمة أمام العدو. لقد لجأ كل من آدم وحواء إلى تقديم الأعذار، فلم تكن مقبولة منهم أمام الله. فالله قد وضع أمامنا كل وسائل النصرة. وهو مستعد أن يقودنا فى موكب نصرته» (٢كو٢: ١٤)... العيب إذن فى إرادتنا. وكل محاولة لتبرير هزيمتنا فى حروبنا الروحية، هى خطية أخرى تضاف إلى هذه الهزيمة...

* * *

★ **الإنسان الروحى ينتصر أيضاً على الضيقات والمشاكل.**

المشكلة لا تهزه، ولا تهزمه، ولا تضعف معنوياته، ولا تعكر نفسيته، ولا

يستطيع أن تلقيه فى دوامات القلق والاضطراب والشك. إنما هو ينتصر على المشكلة. ولا يضيق قلبه بها، ولا يفقد سلامه بسببها.

إنه ينتصر على المشاكل بالإيمان وبالصلاة والصبر.

ولعل من الأمثلة البارزة فى هذا المجال: أيوب الصديق. كانت المشاكل التى حلّت عليه، أصعب من أن يحتملها قلب إنسان عادى. من ذا الذى يستطيع أن يحتمل فقد كل بنيه وبناته فى يوم واحد؟. ويفقد معهم كل ثروته وغناه؟! ولكن هذا الإنسان الروحى لما سمع هذه الأخبار المحزنة قال «الرب أعطى، الرب أخذ. فليكن اسم الرب مباركاً» «عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك» (أى ١: ٢١). لذلك حسناً قال الله عنه إنه «ليس مثله فى الأرض. رجل كامل ومستقيم» (أى ٢: ٣).

* * *

الإنسان الروحى، لا ينتصر فقط على الضيقة، بالاحتمال، بل أكثر من هذا يفرح بها.

كما قال القديس يعقوب الرسول «احسبوه كل فرح يا أخوتى، حينما تقعون فى تجارب متنوعة» (يع ١: ٢). وكما قال القديس بولس الرسول «بكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى، لكى تحل علىّ قوة المسيح. لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح ...» (٢كو١٢: ٩، ١٠).

وما أجمل ما قيل عن الآباء الرسل بعد أن سجنوهم، ثم جلدوهم وأطلقوهم.. قيل «وأما هم فذهبوا فرحين... لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه» (أع ٥: ٤١).

* * *

الإنسان الروحى إذا حلت به ضيقة، يقول فى إيمان: إنها للخير:

متذكراً قول الرسول «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو٨: ٢٨). لذلك فالضيقة لا تهزه، بل تقوى إيمانه، لأنه يعرف تماماً أن الطريق الموصل إلى الله، هو طريق ضيق (مت٧: ١٤). فهو يتوقع إذن هذا الضيق، ويسرّ به لأنه

دليل على أنه سائر فى طريق الله . ثم هو بالإيمان ينتظر تدخل الله لإخراجه من الضيقة . وعلى أية الحالات فإنها تحمل له اكليلاً ... وبهذه المشاعر كلها ينتصر على الضيقة ...

* * *

★ والإنسان الروحى لا يجد لذته فى العالم ، بل يفرح بالانتصار على العالم وما فيه من المادة والشهوات ...

وما أجمل ما قاله أحد الأدباء « افرحوا لا لشهوة نلتموها ، بل لشهوة أذللتموها » .
وبالانتصار على الشهوات يثبت الإنسان الروحى إنه ابن لله ، لأن « كل الذين ينقادون بروح الله ، أولئك هم أولاد الله » (رو٨ : ١٤) . وإذ ينقادون بروح الله ينتصرون على الخطية و يفعلون البر ، « المولود من الله لا يخطىء » (١يو٣ ، ٥) .

★ ★ ★

وحياة الإنتصار مفرحة ، لأن الإنسان الروحى يصبح بها قدوة لغيره .

و يقدم للناس مثالاً على إمكانية حياة البر ، وعلى أن حياة الانتصار هى واقع عملى يلمسونه أمامهم . كما يعطى مثالاً عن قوة أولاد الله التى ساعدتهم على الانتصار ، كما قال القديس يوحنا للشباب « كتبت إليكم أيها الشباب ، لأنكم أقوياء ، وكلمة الله ثابتة فيكم ، وقد غلبتم الشرير» (١يو٢ : ١٤) . وكرر أيضاً تلك العبارة « وقد غلبتم الشرير» (١يو٢ : ١٣) .

* * *

★ وحياة الانتصار مفرحة من أجل الوعود التى أعطاها الرب للغالبين .

وقد سجلت فى الرسائل التى أرسلها الرب إلى الكنائس السبع التى فى آسيا (رؤ٢ ، ٣) .

فقال لملاك كنيسة أفسس « من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله » (رؤ٢ : ٧) . وقال لملاك كنيسة سميرنا « من يغلب فلا يؤذيه الموت الثانى (رؤ٢ : ١١) . والمعروف أن الموت الأول هو مفارقة الروح للجسد . أما الموت الثانى فهو الموت الأبدى ، أو هو الحرمان من الله ، والإلقاء فى الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان (مت١٣ : ٤٢) .

وقال لملاك كنيسة برغامس «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى... وأعطيه اسماً جديداً» (رؤ٢ : ١٧).

وقال لملاك كنيسة ثياترا «من يغلب ويحفظ أعمالى إلى النهاية، فسأعطيه سلطاناً على الأمم... كما أخذت أنا أيضاً من عند أبى، وأعطيه كوكب الصبح» (رؤ٢: ٢٦-٢٨).

وقال لملاك كنيسة ساردس «من يغلب سيلبس ثياباً بيضاً، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبى وأمام ملائكته» (رؤ٣: ٥).

وقال لملاك كنيسة فيلادلفيا «من يغلب فسأجعله عموداً، فى هيكل إلهى» (رؤ٣: ١٢).

وقال لملاك كنيسة لاوديكية «من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه» (رؤ٣: ٢١).

* * *

ما أجمل هذا ... السيد المسيح يريدك أن تغلب، وأن تجلس معه فى عرشه، فى الملكوت الأبدى...

وإن كنت من الغالبين، تأكل من شجرة الحياة، ومن المن المخفى، وتلبس ثياباً بيضاً، وتصير عموداً فى هيكل الله، ويصبح لك سلطان، واسمك فى سفر الحياة، بل يكون لك اسم جديد...

وإن غلبت تسكن فى مدينة الله، فى أورشليم السمائية مع الله والملائكة والقديسين (رؤ٢١)، وترث الملك المعد للأبرار منذ تأسيس العالم (مت ٢٥: ٣٤)، وحيث يكون المسيح، تكون أنت أيضاً (يو١٤ : ٣)، وتتمتع بما لم تره عين، ولم تسمع به اذن، ولم يخطر على قلب بشر (١كو٢ : ٩). ولا يقوى عليك الموت الثانى، بل تقوم فى مجد، بجسد سماوى روحانى (١كو١٥: ٤٣، ٤٤، ٤٩)... كل هذه الأمجاد للغالبين.

* * *

حيـاة النصرة .. والحـرب للـربّ

مـوكب المنتصرين

لقد قدم لنا السيد المسيح فى تجسده الصورة المثالية لحياة الغلبة والانتصار، إذ كان منتصراً فى كل شىء:

لقد انتصر فى كل حروب الشيطان، كما فى التجربة على الجبل (مت ٤). وانتصر فى كل حوار له مع الكتبة والفريسيين والصدوقيين وكل قيادات اليهود (مت ٢١- ٢٣). وانتصر وهو على الصليب، إذ أمكنه أن يقدم فداء وخلاصاً للعالم كله، وداس على الموت بموته (عب ٢ : ١٤، ١٥). كما انتصر على الموت بقيامته. وانتصر على العالم، إذ قال:

« ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣).

ومن جهة البر كان منتصراً، فقد شابهنا فى كل شىء ما عدا الخطية (عب ٤ : ١٥). وقد تحدى اليهود قائلاً «من منكم يبكتنى على خطية ؟!» (يو٨ : ٤٦). وانتصر فى كسب محبة الناس، فقيل عنه «هوذا العالم قد ذهب وراءه» (يو١٢ : ١٩). ودخل أورشليم منتصراً كملك، وارتجت المدينة كلها (يو٢١ : ١٠). وقيل عن مجمل انتصاراته:

« هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا » (رؤ ٥ : ٥).

وقيل أنه يغلب كل الملوك الذين يحاربونه « لأنه رب الأرباب وملك الملوك» (رؤ١٧ : ١٤). وإذ قد انتصر باستمرار وعدنا الكتاب أنه «يقودنا فى موكب نصرته» (٢كو٢ : ١٤). وفى مجيئه الثانى سيأتى فى موكب الغالبين «فى ربوات قديسيه» (يه ١٤) «بقوة ومجد كثير» (مت ٢٤ : ٣٠).

★ ★ ★

وكما قدم لنا الكتاب مثالية انتصارات ربنا يسوع المسيح، كذلك قدم لنا الكتاب وتاريخ الكنيسة أمثلة لانتصار القديسين :

نذكر في مقدمة هؤلاء المنتصرين أبا الآباء ابراهيم :

لقد انتصر انتصاراً عميقاً وعجيباً، حينما أخذ ابنه وحيده اسحق ليقدمه محرقة لله (تك ٢٢). انتصر على مشاعر الأبوة، وعلى آماله في نجوم السماء ورمل البحر (تك ١٥ : ٥). (تك ١٣ : ١٦). بل انتصر من جهة الإيمان أيضاً «إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات» (عب ١١ : ١٧ - ١٩).

وانتصر ابراهيم أيضاً على مشاعر القرابة والوطن، حينما قال له الله «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك» (تك ١٢ : ١). فأطاع «وخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب» (عب ١١ : ٨).

* * *

نذكر مثالاً آخر في الانتصار هو أبونا يعقوب :

انتصار من نوع آخر، هو الصراع مع الله، إذ أمسك به، وصارعه حتى الفجر، وقال له «لا أطلقك إن لم تباركني» (تك ٣٢ : ٢٦) ونال البركة فعلاً، وقال له الرب «لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (تك ٣٢ : ٢٨).

كان يعقوب خائفاً من أخيه عيسو. ولكنه لم يعتبر أن الصراع قائم بينه وبين عيسو. وإنما صارع مع الله، مؤمناً أنه إذا انتصر في صراعه مع الله، ونال منه البركة والوعد والقوة، حينئذ لابد سينتصر في علاقته مع أخيه، وقد كان...

كان في صراعه مع الله، قد أخذ الإيمان الذي يقابل به عيسو. إنه درس لنا في الصراع مع الله، حتى ننال منه وعده «يحاربونك ولا يقدرون عليك، لأني أنا معك - يقول الرب - لأنقذك» (أر ١ : ١٩).

* * *

مثال ثالث في النصرة، هو أبطال الإيمان.

بولس الرسول الذي قال «جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان. وأخيراً وضع لي إكليل البر» (٢تي ٤ : ٧). بولس الذي وقف أمام ولاة

وملوك ، وخرج منتصراً (أع ٢١ : ٢٨).

أثناسيوس الرسولى الذى بكل قوة انتصر على أريوس والأريوسية ، ورد على كل هرطقاتهم. وقيل له «العالم كله ضدك يا أثناسيوس» فقال «وأنا ضد العالم».

* * *

مثال رابع للانتصار ، هو الشهداء والمعترفون :

انتصروا على كل التهديدات ، وعلى السجون ، وعلى العذابات التى تفوق احتمال البشر. وثبتوا على الإيمان ، وقابلوا الموت ببسالة عجيبة. وكانوا مثالاً رائعاً جذب الكثيرين إلى الإيمان. لذلك تكرمهم الكنيسة تكريماً عظيماً ، ونقول إن دماء الشهداء هى بذار الإيمان.

* * *

مثال خامس فى النصرة ، هو قديسو الرهبنة والنسك

القديس الأنبا أنطونيوس مثلاً ، كيف انتصر على محبة المال ، ووزع كل أمواله على الفقراء. وانتصر فى حروب الشكوك وفى كل المخاوف والمفزعات التى وضعها الشيطان فى طريقه. وانتصر فى احتمال الوحدة والفقر والنسك ، وفى بقائه فى البرية بلا مرشد أو أنيس لعشرات السنوات. وانتصر أيضاً فى قيادته لكثيرين فى هذا الطريق الملائكى ، حتى أصبح نوراً للعالم.

ونضع مع القديس أنطونيوس فى موكب المنتصرين ، كل آباء الرهبنة الكبار ، والنساك والمتوحدين والسواح والعموديين ، وكل صفوف هؤلاء «الملائكة الأرضيين أو البشر السمائيين» كما سماهم التاريخ ... هؤلاء الذين انتصروا ثابتين فى حياة الوحدة والصلاة والتأمل والموت عن العالم ، والبعد عن المناصب والشهرة ...

كيف ننتصر

كل هذه وغيرها أمثلة من نوعيات عاشت حياة الغلبة والنصرة ، وتركوا لنا مثالاً لنتبع خطواتهم. بقى علينا أن نسأل : كيف يمكننا نحن أيضاً أن نغلب وننتصر.

لا يمكننا إطلاقاً أن ننتصر ، إلا إذا حارب الرب عنا ...

إذا اعتمدنا على مجرد إرادتنا ، وقوتنا ، وخبرتنا ، وذكائنا فلا يمكن أن ننتصر، لأن العدو أكثر قوة وخبرة وحيلة ، والرب نفسه قال «بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً» (يو١٥: ٥).

إذن لابد أن يحارب عنا ، هو الذى يدافع عنا و ينتصر . وكما قال الكتاب «الحرب للرب ... والرب قادر أن يغلب بالكثير و بالقليل» (١صم١٤: ٦) . وأما النصرة فهى من الرب (أم٢١: ٣١).

أما الانتصار فكقول الرسول « يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (رو٨: ٣٧).

الرب ينتصر فيها ، حينما نسلمه إرادتنا ، ونسلمه تدبير أمورنا ، وحينئذ « يقودنا فى موكب نصرته » (٢كو٢: ١٤).

* * *

قال السيد المسيح « فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» . لم يقل «ثقوا أنكم ستغلبون» وإنما «أنا قد غلبت» فما معنى هذا ؟ معناه إنى أنا الذى سأغلب (فيكم) هذا العالم مرة أخرى إن سكنت فيكم . كما قال بولس الرسول «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ» .. (غل٢: ٢٠).

إذن إن أردت أن تنتصر ، التصق بالمسيح ، اجعله يحارب عنك خذ منه القوة التى بها غلب العالم ، فتغلب ...

(بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً) بدونى لا تنتصرون (يو١٢: ٥).

إذن تمسك بالرب ، بكل قوتك . قل له : لا تتركنى ولا تتخل عنى . أنا بدونك لا أستطيع أن أقاتل أصغرهم ، كما قال القديس أنطونيوس ، ولكننى بك أقول مع القديس بولس الرسول «أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى» .

إذن الغلبة الحقيقية هى التصاقك بالرب كل حين .

* * *

مشكلتنا الكبرى ، هى أننا نريد أن ننتصر بقوتنا الخاصة ، بارادتنا بخبرتنا ، بذكائنا ، دون أن ندخل ربنا فى المعركة ...

وفى كل ذلك ننسى قول الرسول «شكراً لله ، الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (١كو١٥: ٥٧).

نعم ، هذا هو سر الغلبة ، ربنا يسوع المسيح ، إن قاتل معك ، ولهذا يقول بولس أيضاً « يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (رو٨ : ٣٧) .

* * *

ما أجمل قول الكتاب « الحرب للرب ، والرب قادر أن يغلب بالقليل وبالكثير» (١صم ١٤ : ٦) .

مادامت الحرب للرب ، إذن هو الذى سيقاتل وليس أنت . يجب إذن أن تسلمه قيادة المعركة فى قتالاتك مع العدو ، مع العالم ، مع الخطية ، مع ذاتك ...

عبارة رائعة قيلت فى حروب موسى « للرب حرب مع عماليق » (خر١٧ : ١٦) . إذن موسى لم يكن هو الذى يحارب عماليق ، ولا يشوع ، ولا يشوع ، بل الرب ... لا تقل : أتركنى يارب أحارب عماليق ، كلا . بل قل فى تواضع ، أنا لا استطيع فحاربه أنت ...

* * *

نفس الوضع رأيناه واضحاً فى الحرب بين داود وجليات ...

قال داود لذلك الجبار « اليوم يحبسك الرب فى يدى » (١صم ١٧ : ٤٦) . لست أنا الذى يغلبك، وإنما الرب . الرب هو الذى سيحبسك فى يدى . وعندئذ أستطيع أن أجعل لحمك طعاماً لطيور السماء ... هذه هى الغلبة...

« أنت تأتينى بسيف ورمح ، وأنا آتيك باسم رب الجنود » (١صم ١٧ : ٤٥) . لقد فهم داود السر، فأدخل الله إلى ميدان المعركة .

قبل مجىء داود ، كان الناس يتحدثون عن « الرجل الصاعد » عن الجبار وقوته ، ومكافأة من يغلبه . فلما وصل داود ، بدأ يتحدث عن الرب ، و يدخل الرب إلى ميدان القتال ...

هل انتصر داود إذن لأن يده كانت ماهرة فى القتال ، أم لأن الرب حبس جليات فى يد داود ؟ السر كله فى الرب نفسه . لذلك ما أجمل قول داود فى كل حروبه «مبارك الرب الذى علم يدى القتال، وأصابعى الحرب » (مز١٤٤ : ١) .

* * *

وأنت يا أخى ، هل تحارب وحدك ، أم الله يحارب عنك ؟

مسكين أنت ، إن حاربت وحدك . لأن الشيطان أكثر منك خبرة . له أكثر من سبعة آلاف سنة يحارب البشر. وهو أيضاً أكثر منك حيلة ومعرفة وقوة، فحذار أن

تحاربه بمفردك .

خذ معك إذن سلاح الله الكامل ، الذى تستطيع به أن ترد كل سهام العدو الملتهبة (أف ٦ : ١٣ ، ١٦) . وإن كان قائد الجيش لم يستطع أن يخرج للحرب وحده ، دون أن تخرج معه دبورة النبية (قض ٤ : ٨) . فأنت لا تخرج للحرب بدون الله معك ...

وقبل أن تحارب ، أطلب من الرب أن يدربك ، أن يعلم يديك القتال ، وأصابعك الحرب ... تتلمذ على الرب ، فيستطيع مقلاعك أن يفعل الأعاجيب . وبحصاة واحدة تكسب الحرب . وفى كل حروبك ، استمع إلى قول نبى بطل كموسى :

قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٤) .

الرب يقاتل عنك فى كل حروبك : فى الحروب الذى هى داخل القلب ، وداخل الفكر ، وفى الحروب الخارجية أيضاً ... والروح يشفع فيك بأنات لا ينطق بها . الله يرسل ملاكه إليك فى كل جب ، فيسد أفواه الأسود .

* * *

الإنسان الروحى يختبر الصلاة القوية ، لا يعرف الهزيمة إطلاقاً ...

لأنه بالصلاة يأتى بالرب ، ويدخله الميدان ، ويسلمه المعركة . لهذا قال داود «جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع ... لا أتزعزع طالما الرب عن يمينى ...

كان فى كل معاركه يصرخ إلى الرب : إلى متى يارب تنسانى ؟ يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى ؟ أسرع وأعنى ... (مز ٣ ، ٦٩) .

إنك تتعب إن قمت بمفردك ، تحارب عدوك بقوتك ...

ولكنك تغلب إن قلت (الله يغلبه لا الإنسان) (أى ٣٢ : ١٣) .

كذلك نرى خبرة روحية عميقة فى قصة أبينا القديس أنطونيوس الذى حاربته الشياطين بقوة وعنف ، وزلزلت المقبرة التى كان يعيش فيها فى بدء نسكه . فقال لهم القديس «إن كان الله قد أعطاكم سلطاناً على ، فمن أنا حتى أقاوم الله ؟ وإن لم يكن الرب قد أعطاكم سلطاناً ، فلن يستطيع أحد منكم أن يغلبنى » ...

إذن الحرب ليست بينك وبين الأعداء ، إنما هى أولاً وقبل كل شىء مع

الله . إن صارعته حتى الفجر، وأخذت منه القوة، فلن يستطيع عدو أن يغلبك ...

الحرب أولاً فى قلبك . هل أنت واثق أن الله واقف معك ، يحارب و يقاتل أعداءك إن وثقت بهذا تقول مع داود النبى «إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى ، وإن قام على قتال ، ففى هذا أنا مطمئن» (مز ٢٦) .

الله يحارب عنك ، هذا حق - ولكن ينبغى أن تجاهد .

★ ★ ★

عمل الله معك ، ليس معناه أن تكسل . بل جاهد بكل قوتك . قاوم كل شهوة وكل رغبة خاطئة . كما قال الرسول «قاوموا ابليس فيهرب منكم» (يع ٤ : ٧) وأيضاً «قاوموه راسخين فى الإيمان» (١بط ٥ : ٩) . إن مقاومتك تدل على رفضك للخطية . وبذلك تستحق معونة النعمة ...

قاوم نقط الضعف التى فيك ولا تستسلم لها ...

واثبت فى الجهاد ، إلى أن تنتشلك يد الله .

ولا تيأس أبداً فى جهادك ، مهما بدت الحرب صعبة ، ومهما كثرت الفخاخ من حولك . وثق أن السماء ترقب جهادك ، وملائكة وقديسون كثيرون يشفعون فيك... وليكن جهادك مسنوداً بالإيمان... الإيمان بيد الله القوية وذراعه الحصينة ، التى تغنى بها داود قائلاً :

« دُفعت لاسقط والرب عضدنى . قوتى وتسبحتى هو الرب وقد صار لى خلاصاً »

« يمين الرب صنعت قوة . يمين الرب رفعتنى » .

جاهد إذن مع الله ، وجاهد مع نفسك ، وجاهد الشيطان . وكن قوى القلب . وتذكر أن الله كان يختار جبابرة البأس لحروبه ، مثلما استخدم جدعون (قض ٦ : ١٢) وداود (١صم١٦ : ١٨) . وكما قال عن الكنيسة فى سفر النشيد إنها « مرهبة كجيش بألوية » (نش ٦ : ١٠) ، وهكذا النفس البشرية أيضاً ...

★ ★ ★

واستخدم أيضاً كل وسائط النعمة :

التصق باستمرار بمزاميرك ، بصلواتك ، بقراءاتك الروحية وتأملاتك ، بالترانيم والتسابيح ، بالتداريب ومحاسبة النفس واليقظة الروحية . التصق بالكنيسة ، بأب

الاعتراف، بالتناول، بالاجتماعات الروحية. فإن هذه كلها توقد الحرارة في قلبك، وتعمق محبة الله فيك، وتمنحك قوة للانتصار. أما إن بعدت عن هذه الوسائط الروحية، فما أسهل أن تفتر، ويجد العدو مدخلاً إليك... !

★ ★ ★

ثق أن كلمة الله سلاح قوى يساعدك على الغلبة.

وما أصدق وأعمق قول داود النبي في اختباراته: «لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي، لهلكت حينئذ في مذلتي» «لأن قولك أحياني» (مز١١٩). تذكر أن السيد في تجربته على الجبل، كان يرد على الشيطان بآيات من الكتاب، فأرانا أن كلمات الكتاب تصلحْ سلاحاً للرد على أفكار العدو. وكما قال داود النبي «كلمة الرب مضيئة تنير العينين من بعد» (مز١٩).

★ ★ ★

ردد المزامير والآيات التي تشجعك وتقويك.

مثل المزمور الثالث والمزمور التسعين، ومزمور الراعي (٢٣) وتغنى مع الرسول في قوله «يعظم انتصارنا بالذى أحبنا» (رو٨: ٣٧). وتذكر وعود الله وتشجيعه لأولاده، وقوله لزربابل «من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام زربابل تصير سهلاً» (زك ٤: ٧)، وقوله للقديس بولس «لا تخف.. لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك» (أع١٨: ٩، ١٠). وقوله من قبل لأرميا «يحاربونك ولا يقدرون عليك، لأنى أنا معك، يقول الرب، لأنقذك» (أر١: ١٩). وقوله كذلك ليشوع «لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك» (يش ١: ٥)...

★ ★ ★

عش في محبة الله، فتنتصر. وعلى الأقل عش في مخافته.

واستعن في جهادك بالصبر والصمود. وإن اخافك عدو الخير، تذكر قول بولس الرسول «استطيع كل شيء في المسيح. الذى يقوينى» (في ٤: ١٣).

وثق أنك كلما نلت خبرة في حروبك الروحية، سوف تزداد قوة وإيماناً بالانتصار.
وحاول ن تعيش باستمرار في جو روحي، وأن تبعد عن الأجواء التي تبرد محبة الله في قلبك. بهذا سوف تحتفظ بحرارتك الروحية، وتقوى على محاربات العدو.
وليكن الرب معك.

فهرست هذا الكتاب

صفحة



باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تقرأ في هذا الكتاب عن بعض صفات أساسية للإنسان الروحي منها ؟

إنه صورة الله ، وقلبه مع الله ، ويجعل الله أولاً ، و يعيش للرب ...

وهو إنسان روحي ، يحيا بالروح ، فوق مستوى الجسد ، والنفس ، وفوق مستوى المرئيات ...

وهو إنسان قوي ، وإنسان ناجح ، ويحيا باستمرار في حياة النصرة ، وفي ضبط النفس . وله مفهومه في الراحة والتعب .

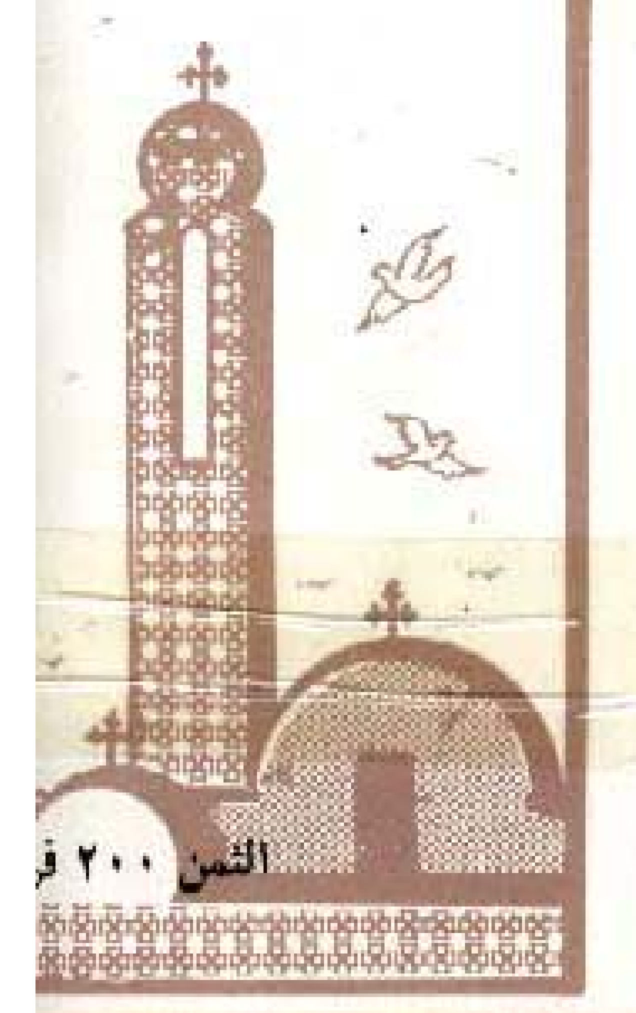
ويحيا بالروح لا بالحرف .

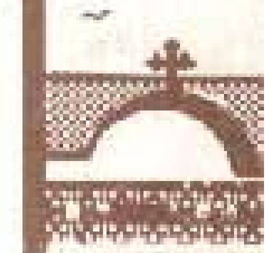
وله شخصية متكاملة .

يقدم لك هذا الكتاب بعض المبادىء والقيم الروحية ، التي يجب أن تتصف بها لتكون إنساناً روحياً .

ولتكن نعمة الله معك وتقويك لتسير في هذا النهج الروحي ...

البابا شنوده الثالث





الثمن ٢٠٠ قرش